

# كركوك

مدينة القوميات المتأخية

دار نآراس للطباعة والنشر



السلسلة الثقافية

\*

**صاحب الإمتياز: شوكت شيخ يزدين**

**رئيس التحرير: بدران أحمد حبيب**

\*\*\*

العنوان: دار نارس للطباعة والنشر - شارع گولان - اربيل- كُردستان العراق

# كركوك

مدينة القوميات المتآخية

اسم الكتاب: كركوك مدينة القوميات المتأخية

تأليف: مجموعة من الكتاب والباحثين

من منشورات ئاراس رقم: ٨٩٨

تنضيد: كوردستان كيفي

تنقيح: أوميد البناء

الإخراج الفني: آراس أكرم

الغلاف: مريم متقيان

الطبعة الأولى ٢٠٠٩

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة في إقليم كردستان: ٢٠٠٩/٢٢٧٢

## فهرست

- 7 ..... كركوك في كتابات الرحالة الفرنسيين. د. هلكوت حكيم
- 17 ..... السياسات الحكومية في كركوك خلال العهد الملكي "١٩٢١-١٩٥٨م" الدكتور جبار قادر
- 45 ..... كركوك في موسوعة عراقية صادرة عام ١٩٤٧. الدكتور نوري طالباني
- 65 ..... التكوين الإثني لسكان كركوك "خلال الفترة ١٨٥٠-١٩٥٨" الدكتور جبار قادر
- 77 ..... دور سكان كركوك في بناء التجربة الديمقراطية... دلشاد محمد نجيب الطالباني
- 101 ..... سياسة تغيير الواقع القومي لمدينة كركوك قديماً وحديثاً. الدكتور نوري طالباني
- 121 ..... اتجاهات سياسة التغيير الديمغرافي لسكان محافظة كركوك. خليل إسماعيل محمد
- 145 ..... الحياة الأدبية والثقافية في كركوك. مصطفى صالح كريم
- 155 ..... كركوك مدينة النفط. الأستاذ مير بصري
- 161 ..... كركوك: الشواهد والمواقع القرن ١٨-١٩م. الدكتورة نرمين أمين
- 167 ..... قلعة كركوك: أهميتها التاريخية وقيمتها الحضارية. د. جليل العطية
- 175 ..... حقوق الإنسان والتنوع الاثني لسكان كركوك. الدكتو منذر الفضل
- 187 ..... تقارير عن كركوك من قبل زائرين أوروبيين معاصرين. د. ميريليا كالييتي
- 207 ..... دور الحكومة العراقية في تدمير البنية الحضرية لكركوك. دكتور آزاد شيخخاني



## كركوك في كتابات الرحالة الفرنسيين

د. هلكوت حكيم

باحث كردي من العراق - جامعة باريس - فرنسا

لم تحظ المناطق الكردية بإهتمام الفرنسيين بنفس الدرجة التي كرس لها الإنكليز من اهتمام، ولو نظرنا إلى فهرسة الكتب والمقالات المطبوعة خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، أي خلال فترة ازدهار الرحلات الغربية إلى الشرق، لتبين لنا هذا الاتجاه بوضوح، فاعتماداً على إحدى أهم الفهرسات المتوفرة، أي فهرسة موساييليان في طبعته لعام ١٩٦٣م، نُشر خلال هذين القرنين ٥٣ كتاباً ومقالة بالإنكليزية و ٣٧ بالألمانية و ٢٥ بالفرنسية<sup>(١)</sup> يتحدث كتابها، كثيراً أو قليلاً، عن المناطق الكردية وسكانها، ولا يأخذ هذا العدد بنظر الاعتبار الكتب التي ترجمت من وإلى هذه اللغات الثلاث<sup>(٢)</sup> أي أن الإنكليز نشروا أكثر من ضعف مانشره الفرنسيون عن الأكراد، وبالتالي يمكن الاستنتاج بأن عدد رحالتهم إلى المناطق الكردية وصلت إلى ضعف عدد الرحالة الفرنسيين، ان لم يكن أكثر.

ونجد امتدادات هذا الاهتمام الإنكليزي الأكثر من الإهتمام الفرنسي في عصرنا الحاضر أيضاً، فدراسات الباحثين البريطانيين بشكل خاص تتجاوز كثيراً حجماً ومادة دراسات زملائهم الفرنسيين حول كردستان بشكل عام، وهذا صحيح أيضاً فيما يخص كردستان

(١) موساييليان: البيبليوكرافيا الكردية، الطبعة الأولى، موسكو ١٩٦٣، ص: ١٣ - ٢١، تجدر الإشارة إلى أن عدداً مهماً من كتابات الرحالة الأوروبيين قد فات موساييليان، إلا أن كتابه يبقى المصدر الأول حتى الآن في هذا المجال.

(٢) لم يكن مؤلفو كتب الرحلات بالفرنسية كلهم فرنسيي الأصل أو يعيشون في فرنسا، كان عدد منهم ينتمي إلى القوميات الأوروبية الأخرى وكانوا يكتبون بالفرنسية لأن الكتابة بها في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانت رائجة بين الطبقات المتعملة والميسورة. وتعتمد هذه الدراسة على الكتب التي كتبت مباشرة باللغة الفرنسية وتترك جانباً الكتب المترجمة إليها، وقد يكون قد فاتتنا بعض المصادر التي تدخل ضمن الإطار الذي وضعناه لبحثنا، ولا عذر لنا في ذلك غير الفكرة التي تؤكد أن لا كمال في الدراسات والأبحاث، وماكل دراسة إلا محاولة لفتح باب على باب مغلق آخر من أبواب المعرفة.

العراق ومشكلة الموصل التي تشمل منذ الحرب العالمية الأولى في بعض جوانبها مدينة كركوك.

ولم تكن المطبوعات الفرنسية مخصصة للأكراد بل كانت غالبيتها تخص رحلات مرّ كتابها بكرديستان في طريقهم إلى البلدان العثمانية والقفقاس وبلاد فارس والهند، فلم نجد من بينهم من كان هدفه الأول هو زيارة كردستان إلا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، لهذا بقيت الملاحظات حول كردستان في الكتب الفرنسية في غالبيتها سريعة يتقصها التفصيل إلا نادراً، ولكن أهميتها تبقى كبيرة وفي بعض المجالات أساسية، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار شحّة ماكتب حول المنطقة وسكانها في تلك الفترة، ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى أن المنطقة الكردية كانت تدخل ضمن حسابات ثانوية للدولة الفرنسية وتطور حولها العديد من القصص والحكايات غير المشجعة على السفر إليها.

ويبدو أن سيور سيزار لامبيرت<sup>(٣)</sup> هو أول فرنسي مرّ بكرديستان عبر رحلته إلى بلاد فارس بين أعوام ١٥٩٨ و ١٥٩٩ وتحدّث عنها ولو بإقتضاب كثير، إلا أن جان باتيست تافارنيه الذي وصل إليها بعد لامبيرت بسنوات عديدة كتب عنها شيئاً أكثر، وتحدّث عن عدد من جوانب المدن التي مرّ بها.

ويذكر الباحث محسن أحمد عمر في رسالته الجامعية التي قدمها إلى جامعة السوربون حول الرحالة الفرنسيين الذين زاروا كردستان في القرن السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر بأن عددهم وصل إلى اثنين وثلاثين رحالة، ولكن العدد الحقيقي هو أكثر من ذلك بكثير<sup>(٤)</sup> كانت الرحلات تتم بدوافع سياسية واقتصادية بالدرجة الأولى، ولم تكن الرحلات العلمية تتحقق دون مساندة مالية و سياسية من الدول المعنية، فتكاليف السفر جعلت منها صعبة التنفيذ، ومع أن الرحالة الفرنسيين كانوا - وربما جميعهم - ينتمون إلى الطبقات الميسورة - وخاصة العلميين و العسكريين و التجار- إلا أن رحلاتهم كانت تتم بمساندة

(٣) نشر كتاب لامبيرت بعد نصف قرن من رحلته التي قام بها ضمن قافلة قادت السفير الانكليزي آنذاك إلى بلاد فارس، سيور سيزار لامبيرت، قصة رحلة إلى بلاد فارس خلال أعوام ١٥٩٨-١٥٩٩م، باريس ١٦٥١م.

(٤) تحاول هذه الرسالة دراسة مجموعة من المواضيع الكردية من خلال ماكتبه الرحالة الفرنسيون عنها، من ضمنها التاريخ و التنظيم الاجتماعي - السياسي، والوضع العشائري، الإمارات الكردية، الوضع الإقتصادي، صورة المرأة، اليزيديين، الخ. يمكن النظر إلى هذا المصدر الذي استفدنا منه الكثير، محسن أحمد عمر، الرحالة الفرنسيون في كردستان في القرون السابع عشر و الثامن عشر و التاسع عشر، جامعة السوربون الجديدة، باريس ١٩٩٦م.



مادية وسياسية من قبل الوزارات الرسمية، وما كانوا ينشرونه فيما بعد يخضع لشيء من المراقبة و المعاينة الحكومية، أو بشكل آخر لموافقتها<sup>(٥)</sup> ولم تكن المنطقة الكردية، كالكثير من مناطق الشرق الأخرى خالية من المخاطر، فكان الدعم الرسمي للدولة ضماناً للرحالة ورا دعاً بالنسبة للرؤساء في المناطق البعيدة عن المراكز والعواصم التي يمر بها الرحالة المحملة أمتعتهم عادة بالمواد الثمينة والأسلحة النادرة، وقد وقعت لبعضهم حوادث بقيت مشهورة لفترة طويلة من الزمن<sup>(٦)</sup> كان الطريق البري الرئيسي الذي يعرفه الرحالة ويمرون به وهو طريق الحرير الذي ظل ما يقرب من ألفي عام أشهر طريق يربط أوروبا بالشرق. كان انطلاق الرحلات يبدأ بحراً من مدينتي فينيسيا وجنوا في إيطاليا وتمر القوافل البحرية جميعاً عبر البحر الأحمر لكي تصل فيما بعد إلى الخليج العربي - الفارسي وأخيراً إلى الهند و الصين، أما طريق الحرير البري فكان يبدأ من مدينة أثينا اليونانية من جانب ومن الاسكندرية في مصر من جانب آخر، ويتشعب منه فرعان بعد مدينة قونيا العثمانية: أحدهما يمر شمالاً بأرضروم وتبليسي وشمال بحر قزوين والآخر يمر جنوباً بمدينة دير الزور و بغداد وطهران ثم إلى الهند والصين أيضاً، ظل هذا الطريق خلال قرون، اقصر الطرق للوصول إلى بلاد الهند، إحدى أهم الأهداف السياسية والتجارية لأوروبا، وكان أقرب الطرق أيضاً للوصول إلى بلاد فارس، وعلى الرحالة عادة أن يسلكوه في رحلاتهم إلى ما وراء الامبراطورية

(٥) لقد تقلصت هذه المراقبة بتقلب الدعم الاقتصادي وتقلص حجم الدوافع السياسية من وراء الرحلة، وقد ازدادت عدد الرحلات الخارجة عن عيون الدولة المراقبة بيزوغ القرن التاسع عشر وبالأخص منذ منتصفه وذلك مع تطور الرحلات الأدبية التي كان يقوم بها الأدباء في عصر انتشر فيه أدب الرحلات بشكل واسع، فهناك من سخر ثرواته للقيام بمثل هذه الرحلات في الشرق، فمصطلح "الرحلة إلى الشرق" لم يظهر إلا في أواخر القرن الثامن عشر، ولا يبدو أن كردستان جلبت إلى نفسها الكثير من الرحالة الأدباء إلا أن الرحالة السياسيين والتجار اهتموا بها بشكل عام أكثر مما كانوا يتوقعون قبل مرورهم بها.

(٦) أشهر الحوادث ما وقع لأحد الرحالة الفرنسيين في كردستان وهي حادثة بيير-اماديه جويير الذي أرسله نابليون ليسلم رسالة إلى فتح علي شاه في عام ١٨٠٦-١٨٠٧م، إلا أن باشا بايزيد ألقى القبض عليه وسجنه في سرداب أحد أعوان منطقتة طمعاً في أمواله، وحاول فيما بعد عدة مرات قتله لإزالة آثاره، إلا أن صاحب القصر الذي سجن فيه اماديه وكشف خطط الباشا ولم يفسح له المجال لتطبيق خطته، وبقي اماديه أكثر من ثمانية أشهر في سجنه ثم أطلق سراحه بمساعدة صاحب القصر وبتدخل من الحكومة الفرنسية والباب العالي، وقد أصبحت قصته مشهورة بين الأكراد أيضاً وأصبح موضع حكاية يقصها الآباء للأبناء دعماً للصورة التي تكونت لديهم حول ظلم باشا بايزيد آنذاك، للمزيد حول هذا الموضوع يمكن مراجعة ترجمتنا لجزء من كتاب اماديه ونبذة عن حياته في مجلة الثقافة الكردية، العدد ١، لندن ١٩٨٨م، ص: ٣٥-٤٣.

العثمانية، فكانوا يستطيعون المرور بشمال و جنوب كردستان دون الحاجة إلى الدخول فيها، فشمالاً عبر أرمينيا وجورجيا، جنوباً عبر بغداد و البصرة، برأً أو على ظهر الناقلات البحرية. كان الرحالة يستطيعون أن يصلوا إلى أهدافهم دون المرور بأراض يقطنها أكراد أو دون أن يسمعو عنهم شيئاً و لهذا جعلت هذه الطرق من كردستان إحدى الجسور الثانوية للوصول إلى ايران والهند والصين، خاصة من الجوانب الاقتصادية، بل كانت تشكل منطقة تتفادها القوافل بشكل عام، ولكن بعض الرحالة وبحكم كون قوافلهم محدودة الحمل والهدف وسهولة التنقل، ولكونهم أكثر ولعاً بمعرفة المنطقة من قبطان القوافل التجارية فانهم كانوا ميالين إلى السير في دروب جانبية، منها المعروفة ومنها غير المعروفة.

من هنا برزت مكانة طريق ارضروم- دياربكر- الموصل - بغداد الذي يوصل فرعي طريق الحرير الشمالي والجنوبي أحدهما بالآخر دون أن يكون جزءاً منه، وظهرت مدينة كركوك كنقطة للمرور عبر هذا الطريق.

إلا أن الرحالة القادم من العاصمة العثمانية و المتوجه إلى بغداد عن طريق الموصل أو العكس كان بإمكانه أن يمر على مسافة عدة من الكيلومترات غرب كركوك، دون أن يمر بها أو يكتب عنها، وذلك عبر طريق الموصل - قصر مشعان - تكريت - سامراء - بغداد، ومن ثم الذهاب إلى ايران عن طريق خانقين أو غيرها<sup>(٧)</sup> فلم تكن كركوك خلال قرون الرحلات مدينة مركزية في ذهن الرحالة ولا مركزاً من الصعب أو الخسارة السياسية والاقتصادية أو المعلوماتية تفادي المرور به، ومع هذا فان عدداً منهم سلكوا هذا الطريق ومرّوا بكركوك ونسبتهم ليست قليلة في المجموع العام، وبالإضافة إلى طريق الموصل - بغداد، كان هناك طريق آخر يزيد من حظ كركوك كمحطة رئيسية من محطات السفر وهو الذي يمر بوسط كردستان، أي عبر السليمانية - سنندج - همدان ومن ثم اصفهان وطهران، ان كان المسافر قادماً من بغداد أو الموصل أو عائداً إليهما.

ولكن هناك عدد من الرحالة ممن شقوا الطريق الوسطي، أي عبر السليمانية دون المرور بكركوك<sup>(٨)</sup> أو أن يمر السائح رأساً من الموصل إلى السليمانية دون المرور بكركوك في طريقه

(٧) هذا ما حدث لفونتانيه الذي قام برحلات إلى الشرق في العشرينات من القرن التاسع عشر وأوشر ايلوا الذي زار المنطقة بعده بسنوات في رحلة طالت ستة أعوام تقريباً، أي من ١٨٢٥ م إلى ١٨٤٠م، يمكن العودة إلى تفاصيل رحلاتهم إلى الشرق، باريس ١٨٤٣م.

(٨) مثال ذلك رحلة المعماري باسكل كوست والرسام أوجين فلاندين إلى بلاد فارس بين عامي ١٨٤٠ و ١٨٤١م، يمكن العودة إلى كتابهم حول الرحلة: أوجين فلاندين وباسكال كوست، رحلة إلى بلاد فارس، باريس ١٨٥١.

إلى إيران أو العودة من إيران إلى السلمانية ومنها مباشرة إلى الموصل<sup>(٩)</sup> يذكر أكثر الرحالة الفرنسيين الذين كتبوا عن كركوك ما نقلته فيما بعد الانسيكلوبيديا الفرنسية الكبرى من أن كركوك تعد من أهم المدن في كردستان الجنوبية، وذكروا أنها منطقة خصبة جداً ويصل إليها العديد من المصادر المائية، وينتج فيها الحنطة والشعير والذرة والحمص و العدس و القطن و التبغ و العنب و الزيتون وأنواع أخرى من الفواكة والحبوب<sup>(١٠)</sup> ويبدو أن أول فرنسي زارها، كما ظهر لنا حتى الآن، هو أوتير الذي وصل إليها في ٢٧ نيسان عام ١٧٣٥م، بعد أربع وثلاثين ساعة من السير انطلاقاً من الموصل، وبقي فيها مدة ثلاثة أيام، وكان قد وصل عن طريق دياربكر- سيواس الذي لم يمر به قبله سائح غربي آخر، كما يذكر هو في مقدمة كتابه<sup>(١١)</sup>. يذكر أوتير بأن كركوك مدينة متوسطة الحجم، تقع في منطقة سهلية حيث يرتفع بين مسافة وأخرى عدد من التلال، ولها سور وقلعة حصينة ذات انحدار حاد وعسير، تمر بأسفلها ساقية اسمها "خاسة سوو" أي الماء العذب<sup>(١٢)</sup> ويبدو له أن القلعة تعود إلى عصور قديمة جداً، وكانت المدينة تنقسم إلى قسمين متميزين: يضم القسم الأول القلعة ويعيش فيها عدد قليل من السكان، أما القسم الثاني فإنه يمتد في المنطقة السهلية المحيطة بالقلعة ويقع فيه المركز التجاري للمدينة. إلا أن أول من يعطينا رقماً لعدد السكان هو كليمان الذي زار المدينة في شهر تموز من عام ١٨٥٦م وبقي فيها يومين، يقول بأن عددهم، من دون الجنود الذين يعيشون فيها، يبلغ قرابة ٢٥٠٠٠ شخص<sup>(١٣)</sup> ويذكر ليلا ما الذي زار المدينة بعد ذلك بسنوات قليلة بأن عدد سكان المدينة يتراوح ما بين ١٢٠٠٠ و ١٣٠٠٠ شخص<sup>(١٤)</sup> إلا أن هذه الأرقام تبدو أقل من الواقع فهي مختلفة جداً حول فترة واحدة، ولأن أحد المصادر الفرنسية التي تعتمد الإحصائيات العثمانية الدقيقة تؤكد بأن عدد سكان المدينة وضواحيها كان في أواسط القرن التاسع عشر حوالي ٨٩٠٠٠ شخص<sup>(١٥)</sup>

(٩) هذا هو ما قام به تافيرنيه خلال رحلته في أواسط القرن ١٧ مثلاً، يمكن العودة إلى كتابه: جان-

باتيست تافيرنيه، الرحلات الستة إلى تركيا وبلاد فارس و الهند، باريس ١٦٧٦م .

(١٠) الموسوعة الكبرى، الجزء ٣١، تور ١٨٨٥م، ص: ٤٨٥.

(١١) ج. أوتير، رحلة إلى تركيا وبلاد فارس، باريس ١٧٤٨م.

(١٢) ج. أوتير، المصدر السابق، ص: ١٥٠.

(١٣) أ. كليمان، رحلة في كردستان العثمانية، من كركوك إلى راندوز، مجلة كلوب، باريس ١٨٦٦م،

المجلد الخامس، ص: ١٩٩.

(١٤) أ. نيكهولت ليكلاما، رحلة إلى روسيا و القفقاس و بلاد فارس خلال سنوات ١٨٦٥، ١٨٦٦،

١٨٦٧، ١٨٦٨، باريس - امستردام ١٨٧٥م، الجزء الرابع، ص: ٨٧.

(١٥) الموسوعة الكبرى: المصدر السابق، ص: ٤٨٥.

ولكي نحصل على عدد العساكر المتواجدة في كركوك علينا أن ننتظر صدور كتاب فيتال كوينيه الذي صدر بجزأيه في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. حيث يذكر بأن الحاكم العسكري لمنطقة كركوك يجد تحت تصرفه القوات التالية: الفرقة ١٢ من الجيش العثماني، الكتيبة ٣ و ٤ من فوج المشاة ٤٥ والكتيبة ٣ و ٤ من فوج المشاة ٤٦، والفوج ٣٤ و ٣٦ من الخيالة و الفوج ٥١ و ١٠١ من الاحتياط. إلا أننا لم نستطع العثور على مصدر يدلنا على عدد أفراد الفوج والكتيبة والفرقة في الجيش العثماني.

ويقول كليمان بان ثلاثة أرباع سكان كركوك هم من الأكراد<sup>(١٦)</sup> وهو المصدر الوحيد الذي يتحدث، حسب علمنا حتى الآن، عن السكان من المنظور القومي. أما ليكلاما فإنه يذكر بان عدد المسيحيين كان يبلغ في أواسط القرن التاسع عشر مابين مائتين وثلاثمائة شخص بينهم ما يقرب من أربعين كلدانياً ونسطورياً<sup>(١٧)</sup> وكان يعيش فيها في نفس الفترة ما يقرب من ثلاثمائة عائلة يهودية.

ويشير ليكلاما إلى أن في المدينة ما يقرب من عشر كنائس تعود إلى القرون الأولى للمسيحية وتحولت إلى مساجد، ويذكر بأنه توجد في المدينة ثلاثة مساجد يحتوي أحدها على مقابر أربعة من الأنبياء اليهود هم دانيال وميكايل وحانانيا و عازريه، ويقول بأنه لا يسمح لليهود بالصلاة عند هذه المقابر<sup>(١٨)</sup> إلا أن اسرائيل - جوزيف بنجامين، الرحالة اليهودي الذي قام بجولة من عام ١٨٤٦ إلى عام ١٨٥١م في بلدان الشرق بحثاً عن الجماعات اليهودية هناك ودراسة احوالهم، كتب كلاماً مختلفاً عما كتبه ليكلاما، فمن جانب يذكر بأن بعض المصادر القديمة تذكر بأن النبي دانيال مات ودفن في بلاد فارس، وأنه رغم بحثه الدقيق عن القبر هناك لم يجد له أثراً، مثلما لم يجد أية كتابة على قبره الكركوكي الذي أكد له السكان أنه قبر النبي دانيال، ويرى أن ادعاء سكان كركوك قد يكون صحيحاً وقابلاً للتصديق، رغم عدم وجود أي دليل ملموس على ذلك واعتماد الفكرة على حكايات شفوية وصلت من الأزمنة القديمة<sup>(١٩)</sup> ويؤكد بنجامين من جانب آخر، على العكس من ليكلاما، بأن قبور الأنبياء اليهود «في وضع كامل من الصيانة والمحافظة وأنها مغطاة دائماً بالأفرشة الجديدة وبأقمشة مزركشة في قمة الروعة والجمال وأن السكان، دون تمييز في الدين، يذهبون إلى زيارة هذه المقابر والصلاة فيها بوقار عميق، وأن اليهود يزورونها بشكل خاص في اليوم الأخير من كل

(١٦) أ. كليمان، المصدر السابق، ص: ١٩٩.

(١٧) نيكلاما، المصدر السابق، ص: ٨٧.

(١٨) نيكلاما، المصدر السابق.

(١٩) اسرائيل - جوزيف بنجامين، رحلة خمس سنوات في شرق ، ١٨٤٦ - ١٨٥١م، ص: ٧٨.

شهر وأثناء عيد الحصاد»<sup>(٢٠)</sup> ويؤكد الرحالة الفرنسيون أن مدينة كركوك كانت ولفترة طويلة مركز باشالق شهرزور<sup>(٢١)</sup> يذكر أوتير الذي زار المدينة مرتين في عام ١٧٣٥ و ١٧٣٩ بان « كركوك هي عاصمة باشالق شهرزور الذي هو جزء من كردستان، وتتكون حكومة شهرزور من ٣٢ مقاطعة، ويحد باشالق شهرزور أذربايجان وبلاد بابلان<sup>(٢٢)</sup> وبلاد بغداد و الموصل وعمادية و حكاري<sup>(٢٣)</sup> ويذكر بأن باشا شهرزور جعل من كركوك محلا لاقامته<sup>(٢٤)</sup>.

أما اوليفيه الذي زار كركوك في العقد الأخير من القرن الثامن عشر فإنه يؤكد على أن المدينة محمية من قبل حامية قوية من الانكشاريين<sup>(٢٥)</sup> ويذكر أيضاً بأن باشا بغداد هو الذي يعين متسلما لكركوك بعد أن كانت تابعة ولفترة طويلة لباشالق شهرزور، ومن ثم أصبح تعيين المتسلم من صلاحية باشا بغداد و باشا شهرزور في آن واحد، إلا أن هذا الأخير فقد صلاحياته والاستقلالية التي كان يتمتع بها فيما مضى، فاصبح متسلم كركوك يُعين من قبل باشا بغداد وحده وبشكل مباشر<sup>(٢٦)</sup> ويقول دوبريه بأن المدينة أصبحت تحت الامرة المباشرة لوالي بغداد في حوالي منتصف القرن الثامن عشر إثر التهديدات المستمرة للعديد من ولاة بغداد،<sup>(٢٧)</sup> وأثناء مروره بكركوك عام ١٨٠٨ كان والي بغداد هو الذي يعين متسلم كركوك وتعتبر المدينة ضمن الحدود القانونية لولاية بغداد<sup>(٢٨)</sup> ويذكر دوبريه بأن كركوك كان يديرها في السابق باشا يعينه الباب العالي مباشرة فيدير المدينة باستقلال تام عن سلطات باشوات المناطق المحيطة بها.

وأشهر من عين على إدارتها هو ابن الأميرال الايطالي سيكالا الذي أسلم بعد أسرته، وبقي مسؤولاً عن مدينة كركوك خلال فترة طويلة، وترك وراءه العديد من الآثار التي تشهد على

(٢٠) اسرائيل - جوزيف بنجامين، المصدر السابق، ص: ٧٩.

(٢١) انظر مثلاً: كليمان، المصدر السابق، ص: ١٩٧.

(٢٢) يذكر المؤلف اسم ما تعودت عليه الكتابات التاريخية الحديثة بإمارة بابلان تحت تسمية « العراق الفارسي» التي كانت تستعمل في الكتابات العربية لتسمية تلك الإمارة.

(٢٣) ج. أوتير، رحلة إلى تركيا وبلاد فارس، باريس ١٧٤٨م، الجزء الثاني، ص: ٢٣٥.

(٢٤) نفس المصدر السابق، الجزء الأول، ص: ١٥٠.

(٢٥) ك. ق. اولفيه، رحلة إلى الإمبراطورية العثمانية ومصر وبلاد فارس، باريس ١٨٠١-١٨٠٧ الجزء الثاني، ص: ٣٧٤.

(٢٦) ك. ق. اولفيه، رحلة إلى الإمبراطورية العثمانية ومصر وبلاد فارس، باريس ١٨٠١-١٨٠٧ الجزء الثاني، ص: ٣٧٤.

(٢٧) آ. دوبري، رحلة إلى بلاد فارس خلال سنوات ١٨٠٦ - ١٨٠٨، باريس ١٨١٩، ص: ١٣٢.

(٢٨) المصدر السابق، نفس الصفحة.

حكمه، إلا أن دوبريه الذي شاهد هذه الآثار لا يعرفنا بها<sup>(٢٩)</sup> والواضح أن كركوك بقيت مسألة خلاف بين ولاة بغداد وباشوات شهرزور الذين لم يقبلوا بضياع سيطرتهم عليها، إذ يذكر روسو الذي زار المنطقة بان متسلم المدينة في أوائل القرن التاسع عشر تلقى أمراً ببناء الدفاعات اللازمة ضد هجمات الأكراد المحتملة<sup>(٣٠)</sup> ويذكر أيضاً بان سكان كركوك كانوا يستطيعون أن يرسلوا إلى باشا بغداد ما يقرب من ستمائة جندي من المشاة المسلحين بأسلحة خفيفة<sup>(٣١)</sup>. ولكن الذي جلب انتباه الرحالة الفرنسيين في كركوك أكثر من أي شيء آخر هو النفط، والمسألة لا تبدو جديدة، إذ ينقل أوليفيه عن المؤرخ اليوناني كنت - كورسه الذي عاش في القرن الأول الميلادي وألف كتاباً من عشرة أجزاء حول تاريخ الاسكندر قوله بان كركوك كانت تجلب الانتباه بسبب الكميات الضخمة من الزيت الذي يستخرج منها<sup>(٣٢)</sup>. ويقول كليمان: أن النفط يستخرج من بئر على بعد عدة أميال من كركوك يبلغ عمقه عشرين قدماً وقطره متر ونصف، ويخرج من أعماق ماء مالح خليط بدهن ثخين أسود اللون، ويستخرج من جوانب البئر نوع آخر من النفط أكثر نقاوة<sup>(٣٣)</sup> ويستخرج منه نوع من الملح نقي بارق البياض، ويذكر بأنه حين يخلو البئر من الماء ينزل رجل إلى أعماقه لاستخراج النفط الذي يوضع في اناء فخاري كبير ويُسعمل للإضاءة في جميع القرى المحيطة بكركوك ويُبَاع في أسواقها ويُصدر إلى أسواق بغداد<sup>(٣٤)</sup> ولم تكن كركوك وحدها معروفة بمثل هذا النفط، فمنطقة هيت على سبيل المثال كانت مركزاً لاستخراج نوع من النفط أكثر جودة مما كان يستخرج من بئر كركوك<sup>(٣٥)</sup>. وذكر أوتير في أواسط القرن الثامن عشر بأن هناك تلة على بعد ساعتين من كركوك تسمى كوركور بابا و حسب ما نقله الناس إليه: إذا ما حفر الانسان حفرة على قمة تلك التلة لخرجت منها مادة تحترق في الهواء إلى حد توصل الماء إلى درجة الغليان، ويختفي لهيب النار اذا ما غطيت الحفرة بالتراب، وتوجد بالقرب من المكان باتجاه الغرب ثلاث عيون من النفط تشكل جدولاً واحداً، ولو ألقيت قطعة من القطن أو القماش الملتهب في إحدى هذه العيون لخرج منها دوي حاد جداً وتبقى العين غارقة في الدخان إلى

(٢٩) آ. دوبريه، المصدر السابق.

(٣٠) ج. ف. إيكس. روسو، وصف باشا لبق بغداد، باريس ١٨٠٩م ص: ٨٢.

(٣١) المصدر السابق.

(٣٢) ك. ق. أوليفيه، المصدر السابق، الجزء الثاني، ص: ٣٧٤.

(٣٣) كليمان، المصدر السابق، ص: ١٩٦.

(٣٤) المصدر السابق، ص: ١٩٧.

(٣٥) المصدر السابق.

أن تحترق المادة تماماً عند ذلك فقط - حسبما سمع الرحالة الفرنسي من السكان - أي عند احتراق المادة تماماً تنطفئ النار المشتعلة في العين القريبة من كركوك<sup>(٣٦)</sup>.

### المصادر الفرنسية:

- 1- AHMAD OMAR, Mohsen, Les voyageurs francais au Kurdistan, XVIIe, XVIIIe et XIXe sieck, Universite de la Sorbonne Nouvelle, Paris 1996.  
الفرنسيون في كردستان في قرن السابع عشر والثامن عشر و التاسع عشر
- 2- AUCHER - ELOY, Remy, Relations de voyages en Orient, Librairie Encyclopedique de Roret, Paris 1843.  
قصة الرحلات إلى الشرق
- 3- BENGAMIN, Israel- Josef, Cinq annees de voyage en Orient 1846 - 1851, paris 1856.  
رحلة خمس سنوات في الشرق ١٨٤٦ - ١٨٥١م
- 4- CLEMENT, A., Excursions dans le kourdistan ottoman, de Kerkouk a Ravandouz, Globe, Paris 1866.  
رحلة في كردستان العثمانية من كركوك إلى راواندوز
- 5- DUPRE, A., Voyage en perse fait dans les annees 1807, 1808 et 1809, paris 1819.  
رحلة إلى بلاد فارس في أعوام ١٨٠٧، ١٨٠٨، ١٨٠٩
- 6- FLANDIN, Eugene et COSTE, Pascal, Voyage en Perse, paris 1851.  
رحلة إلى بلاد فارس
- 7- FONTANIER, V., Voyages en en Orient, Paris, Librairie Universelle, 1829. La grande Encyclopedie, tome 21, tours 1885.  
رحلات إلى الشرق
- 8- LAMBERT, Sieur, Relation d'un oyage en perse fait dans les annees 1598 - 1599, paris 1651.  
قصة رحلة إلى بلاد فارس خلال أعوام ١٥٩٨ - ١٥٩٩
- 9- LYCKLAMA. A. Nìgeholt, Voyage en Russie, au Caucase et en perse execute pendant las annees 1865, 1866, 1867 et 1868, tome IV, Paris - Amsterdam 1875.  
رحلة إلى روسيا والقفقاس وبلاد فارس خلال سنوات ١٨٦٥ - ١٨٦٨
- 10- OTTER, J ., Voyage en Turquie et en perse, paris 1748.  
رحلة إلى تركيا وبلاد فارس
- 11- ROUSSEAU, J, F, X., Description du pachalik de Bagdad, PARIS 1809.  
وصف باشالق بغداد
- 12- AVERNLER, jean - Batiste, Les six voyages faits en Turquie, en perse et aux Indes, Clousieur et Barbies, Paris 1676.  
الرحلات الستة إلى تركيا وبلاد فارس والهند

(٣٦) ج. أوتير، رحلة إلى تركيا وبلاد فارس، باريس ١٧٤٨م. ص: ١٥٢ - ١٥٣.





## السياسات الحكومية

### في كركوك خلال العهد الملكي " ١٩٢١-١٩٥٨ م "

الدكتور جبار قادر

كاتب وباحث كردي من العراق - هولندا

#### مُقدِّمة

تهدف هذه الورقة إلى القاء الأضواء على السياسات الحكومية في كركوك خلال العهد الملكي وتشخيص الدوافع السياسية والاقتصادية والإستراتيجية لتلك السياسات وابعادها. وينطلق معد هذه الورقة في توضيحه لتلك السياسات ودوافعها وابعادها من افتراضات يأتي في مقدمتها ما يلي:

أولاً: انتهجت الحكومات العراقية المتعاقبة ضمن سياساتها العامة ازاء الشعب الكردي في العراق، والتي تراوحت بين انكار الكرد كشعب وكردستان كوطن قومي لهذا الشعب ، وعدم الاعتراف بحقوقه القومية المشروعة، وقمع حركاته السياسية والمسلحة التي كانت تهدف أساساً إلى تحقيق المساواة بين جميع السكان- بغض النظر عن انتمائهم القومي والديني و الطائفي- والعدالة في توزيع ثروات البلاد بعيداً عن سياسة النهب والتسلط وافقار الكرد وتهميشهم في الحياة السياسية و الإقتصادية و الثقافية للبلاد، انتهجت سياسة جد خاصة في كركوك اتخذت صيغاً مختلفة خلال العقود الثمانية الماضية لتصل إلى مرحلة التطهير العرقي على يد الحكومة الحالية.

ثانياً: ورثت الدولة العراقية النهج العام لهذه السياسة من سلطات الإحتلال العثماني التي أدركت منذ وقت مبكر أهمية كركوك والقصبات التابعة لها لوقوعها على الطريق التجاري والإستراتيجي الذي يربط موانئ البحرين والمتوسط والأسود مع الحدود الإيرانية وولايته بغداد و البصرة وما والاها، ولم تكن الدولة العثمانية وحيدة في هذا المجال بل ان جميع القوى والإمبراطوريات التي تعاقبت على احتلال المنطقة منذ العصور القديمة أدركت أهمية هذه المنطقة وحاولت ايجاد مواطني أقدام لها لحماية هذا الطريق، ولكن هذه القوى لم تنجح

كما نجحت كل من الدولتين العثمانية و الصفوية في مهمة اسكان أتباعها وفئات من رعاياها في المدن والقصبات الرئيسية الواقعة على هذا الطريق، يضاف إلى ذلك ان الدولة العثمانية في العقود الأخيرة من عمرها انتهجت إلى جانب ايجاد أماكن لأتباعها في المنطقة سياسة تتريك جزء من السكان المحليين الذين شكلوا الأداة التي اعتمدت عليها الدولة في تنفيذ سياساتها في هذا الجزء من كردستان.

ثالثاً: بذلت سلطات الإحتلال البريطاني من أجل تنفيذ سياساتها الإستعمارية في العراق وكردستان جهوداً كبيرة لاقتطاع هذا الجزء المهم من المنطقة الكردية من الوطن الأم وربطه بالدولة العراقية، وقام مستشاروها السياسيون والعسكريون والإقتصاديون - أصحاب السلطة العليا في العراق في العهد الملكي - بادخال تحويرات جوهرية على تلك السياسات مستفيدين من تجاربهم الغنية في شبه القارة الهندية وبخاصة بعد أن أدركوا حجم بحيرة النفط التي تعوم عليها كركوك. يضاف إلى كل ذلك أن التحولات السياسية الكبرى التي شهدتها روسيا وتركيا في سني الحرب العالمية الأولى الأخيرة وبعدها، أجبرت مخططي السياسات الإستعمارية البريطانية في الشرق الأدنى على اعادة النظر في مجمل استراتيجيتهم في هذه المنطقة بما فيها سياساتهم تجاه المنطقة الكردية.

رابعاً: نظراً لتدخل السياسات الحكومية ازاء الكرد مع سياساتها الخاصة بكركوك، والتي تشكل اهم عناصر المشكلة الكردية في العراق واحد العراقيل الأساسية امام ايجاد حل سلمي لها، ويمكن دراستها والقاء الأضواء عليها بمعزل عن العناصر الأخرى، ولذلك يجب التطرق إلى بعض المسائل الأخرى التي قد تبدو للوهلة الأولى خارج نطاق هذه الورقة.

يعتقد معد الورقة بأنه بدون القاء الأضواء على جذور تلك السياسات وتحليل أبعادها ودوافعها السياسية والإستراتيجية و الإقتصادية يصعب علينا فهم السياسات الحكومية اللاحقة في كركوك بما فيها سياسة الحكومة الحالية، كما انه لن يكون بالإمكان وضع نهاية لمعضلة كركوك في المستقبل أيضاً، والتي تشكل برأيي برميل بارود قابل للإنفجار دوماً، وهنا بالذات تكمن الأهمية العلمية والسياسية لموضوع ورقتنا هذه.

### **كركوك عشية تشكيل المملكة العراقية:**

كانت كركوك ومنذ منتصف القرن السادس عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى تدخل ضمن دائرة الدولة العثمانية، وكان عهد السيطرة العثمانية على كردستان والعراق فترة مظلمة وعهدا للتدهور الإقتصادي والقهر القومي والمذهبي والتراجع الثقافي، وكان التنظيم الإداري العثماني يقوم على أساس الإيالات (الولايات) والتي كانت تقسم إلى سناجق (ألوية)،

فبعد الإحتلال العثماني مباشرة قسمت الأراضي التي تعرف اليوم بالعراق إلى أربع إيالات هي: بغداد، الموصل، البصرة، وشهرزور، وكانت إيالة شهرزور - والتي كانت كركوك مركزاً لها - قد عاشت فترة مضطربة من تاريخها وتحولت إلى ساحة كبرى للصراع العثماني - الإيراني، وضمت الإيالة في القرن السادس عشر ١٦ سنجقاً ارتفع عددها في منتصف القرن التالي إلى ٣٢ سنجقاً، وكان أكثرها عبارة عن قلاع على رؤوس الجبال وعند المضائق الجبلية المهمة، وقد اندثر معظمها بفعل الحروب المستمرة بين العثمانيين والإيرانيين، أو بين الأمراء الكرد انفسهم، ومن بين أشهر سناجق ولاية شهرزور كركوك وأربيل وحرير وكوي وشاماك وسهل مخمور وشهربازار، ومركه وشميران وقرداغ وقرذاغ وقرزاجه وجبل حميرين وغيرها<sup>(١)</sup> ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن حدود الإيالات العثمانية لم تكن ثابتة، بل إنها كانت عرضة للتغيير المستمر، سواء بسبب التغييرات الإدارية التي كانت تقوم باجرائها الدولة العثمانية نفسها، أو نتيجة للحروب والصراعات المستمرة بينها وبين ايران، والتي كانت إيالة شهرزور من بين أهم ساحاتها، وتعرض التنظيم الإداري العثماني إلى تغييرات كثيرة إلى أن استقر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد أصبحت ولاية الموصل المشكلة عام ١٨٧٩م تضم ثلاثة سناجق وهي: سنجق مركز الموصل وتتبعه أقضية دهوك، زاخو، زيبار، سنجار، عقرة، وسنجق مركز الموصل وتتبعه أقضية أربيل، رانية، رواندوز، كويسنجق، صلاحية (كفري)، أما سنجق السليمانية فقد ضم أقضية بازيان، شهربازار، قرداغ، طلعبير ومرطه<sup>(٢)</sup>

وكان سنجق شهرزور من اكبر سناجق ولاية الموصل من حيث عدد النواحي والقرى التابعة له، أقضية و ١٧ ناحية و ١٧١٢ قرية، بينما ضم سنجق الموصل ٦ أقضية و ١٥ ناحية و ١٥٩٨ قرية وسنجق السليمانية ٥ أقضية و ١١ ناحية و ١٠٨٢ قرية<sup>(٣)</sup> وكانت السلطات العثمانية - وكما كان شأنها دوماً وفي جميع المناطق الخاضعة - لسيطرتها تنهب موارد هذا السنجق دون أن تقدم من الخدمات ما يتناسب مع وارداته، فقد بلغت إيرادات سنجق كركوك عام

(١) خليل علي مراد، تاريخ العراق الإداري والإقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٧٥، ص: ٤٥، ٦٠ - ٦٢.

(٢) سالنامه دولت عليه عثمانية سنة ١٣٠٢ هجري، قرقنجي دفعة، معارف نظارت جليله سنك اثر ترتيبدر، در سعادت ١٣٨٢، ص: ٧٤ - ٧٥. أنظر كذلك: ستيفن هيمسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ترجمة جعفر الخياط، ط٦، بغداد ١٩٨٥، ص: ٣٧٦.

(٣) موصل ولايتي سالنامه رسميدير ١٣٣٠ سنة هجرية سنة مخصوص اولمق اوزره بشنجي دفعة اوله رق موصل مطبعة سنده طبع اولنمشدر، ص: ١٧.

١٨٨٨م مثلاً سبع ملايين ونصف المليون قرش، وكانت هذه الموارد تأتي من ضرائب العقار، الأملاك، الأغنام، البدل العسكري، ضرائب الدخل، الأعشار، الغابات، الطابو ورسوم المحاكم، وكانت ضريبتا الأعشار والأغنام تأتي في المقدمة إذ بلغت حوالي أربعة ملايين ونصف المليون قرش، أما الأموال التي خصصتها السلطات العثمانية للصرف على شؤون السنجق فلم تتجاوز ٣ ملايين قرش، صرف أكثر من نصفها على الجندمة والبوليس والضبطية، خصص نصف مليون قرش آخر على المحاكم ورواتب الموظفين في حين لم تكن هناك أية تخصيصات للشؤون التعليم وبناء الطرق والجسور وتقديم الخدمات الصحية وغيرها من الخدمات التي كان يفتقر إليها اللواء وأقصيته ونواحيه<sup>(٤)</sup>.

وكانت أوضاع التعليم في حالة مزرية جداً في ولاية الموصل التي كانت فيها في نفس العام (أي عام ١٨٨٨م) سبع مدارس فقط موزعة بمعدل مدرسة واحدة على الموصل، كركوك، أربيل، صلاحية (كفري)، عقرة، رواندوز والسليمانية، وكان يتلقى فيها التعليم ٣١٨ تلميذاً فقط<sup>(٥)</sup> وهذا لم تخلف السيطرة العثمانية على هذه البلاد غير الخراب والتخلف والفقر وهي العوامل التي شكلت عوائق كبيرة أمام أي تطور حقيقي، والأنكى من ذلك كله أن هذه المنطقة - شأنها شأن العديد من مناطق الشرق الأخرى - أصبحت في أواخر العهد العثماني هدفاً للتوسع الإستعماري الأوربي، وكان هناك تنافس شديد بين الإنكليز والفرنسيين والألمان والروس على السيطرة على الشرقين الأوسط والأدنى، وكانت كردستان كمنطقة غنية ومهمة من الناحية الإستراتيجية تحتل موقعاً مهماً في هذا التنافس، فقبل اندلاع الحرب العالمية الأولى بوقت طويل كانت كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وروسيا تعمل ما في وسعها لتثبيت موطئ قدم لها في هذه البلاد والسيطرة على ثرواتها وربط سوقها بأسواق تلك الدول وكان النفط عاملاً مهماً في هذا التنافس، فقد بدأ العديد من الجيولوجيين الغربيين، وقبل أن ينتهي القرن التاسع، يتحدثون عن بحيرات النفط غير المستخرجة في بابا غورگور، حتى أن Mor-gan الفرنسي تمكن من تحديد حجم حوض نفط كركوك وحتى خانقين وجبل كويخا في قصر

(٤) موصل ولايتي سالنامه سي، برنجي دفعة ١٣٠٨ هجري، موصل مطبعة سنده طبع اولنمشدر ١٣٠٨ هجري، ١٣٠٦ رومي، ص ١٠٧.

(٥) سالنامه نظارت معارف عموميه، ايكنجي دفعة اوله رق ترتيب اولنمشدر ١٣١٧ هجري ص: ١٤٠٤. وللمزيد من المعلومات عن أوضاع كردستان الجنوبية خلال العقود الأخيرة من الحكم العثماني انظر بحثنا الموسوم: أربيل في السالنامات العثمانية، بحث مقدم إلى ندوة أربيل بين الحاضر و الماضي والآفاق المستقبلية، التي نظمتها جامعة صلاح الدين عام ١٩٩٠م، والمنشور في مجلة «كاروان» العدد ٩١، أربيل، كانون الأول ١٩٩٠م ص: ١١٦ - ١٢٧.

شيرين والذي حدده بـ ٣٠٠ كم تقريباً<sup>(٦)</sup> و. أداموف أ، العراق العربي، ولاية البصرة بين  
الأمس واليوم، بطرسبورج ١٩١٣، ص: ٢٦ «بالروسية». نقلاً عن الدكتور كمال مظهر أحمد،  
كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد ١٩٧٥،  
ص: ٣ «الطبعة الكردية»<sup>(٧)</sup>.

وكانت محاولات الشركات البريطانية للإستحواذ على المناطق النفطية في كردستان  
الجنوبية (كردستان العراق فيما بعد) سبباً رئيسياً دفع بالحكومة البريطانية إلى احتلال ولاية  
الموصل، وعبر ونستون چرچل في تصريحه الشهير عام ١٩١٣م عن هذه التوجهات عندما  
أعلن دون مواربة بأنه "يجب أن نقف عند منابع النفط كأصحاب، أو مسيطرين على الأقل على  
جزء من النفط الذي نحن بحاجة إليه"

وكانت اتفاقية سايكس - بيكو التي عقدت في مايس ١٩١٦م محاولة لتسوية المشاكل  
المتعلقة بتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية بين القوى الكبرى الرئيسية، وبموجب هذه الاتفاقية  
كانت ميسوبوتاميا الجنوبية مع بغداد منطقة سيطرة بريطانية، بينما اعتبرت المناطق الداخلية  
منطقة نفوذ بريطانية، في حين اعتبرت ولاية الموصل منطقة نفوذ وليس منطقة سيطرة  
فرنسية، وقد أجبرت بريطانيا فرنسا على التخلي عن المطالبة بالموصل في مؤتمر سان ريمو  
عام ١٩٢٠ مع تعويضها بـ ٢٥٪ من أسهم شركة النفط التركية، وكانت فرنسا قد وعدت  
بالسيطرة على الجزء الأكبر من كردستان العراق سوريا والجزء الجنوبي الشرقي من  
كردستان تركيا مع ارمينيا الغربية، بينما دخلت مناطق من كردستان العراق إلى الجنوب من  
كركوك وجبل حميرين والجزء الجنوبي الغربي من كردستان ايران ضمن مناطق النفوذ  
البريطانية، وتركت الأجزاء الباقية من كردستان الشمالية والغربية إلى روسيا، وقد جرى  
تطبيق الاتفاقية فيما بعد وفق سيناريوهات أخرى بعد قيام الثورة البلشفية في روسيا  
وسيطرة بريطانيا على ولاية الموصل وظهور الحركة الكمالية في تركيا.

بدأ الإنجليز نشاطاً محموداً للسيطرة على كردستان في العام الأخير من الحرب العالمية  
الأولى، فقد تقدمت القوات البريطانية باتجاه كركوك وتمكنت في ٢٨ نيسان ١٩١٨م من  
احتلال كفري، وفي اليوم التالي احتلت طوزخورماتو ودخلت كركوك في ٧ مايس، ولكنها  
اضطرت إلى الإنسحاب منها بعد ٢٤ ساعة لتعود إليها القوات التركية، غير أن الإنجليز  
عادوا إليها واحتلوها قبل عقد هدنة مودروس بخمسة أيام - أي ٢٥ تشرين الأول ١٩١٨ -

(6) Morgan j. de, Mission Scientifique en Perse, Etudes Geographiques, T. II, paris 1985,  
page: 86.

(٧) أ. ديني، الصراع على الإحتكارات النفطية، موسكو- لينينغراد ١٩٣٤م، ص: ٤٣ «بالروسية».

وطاردوا القوات التركية حتى ألتون كوبري. وكان الإنجليز قد أرسلوا منذ احتلال كفري الرسائل إلى الزعامات الكردية في كركوك و السليمانية.

ومنذ أن وطئت أقدامهم المنطقة الكردية بدأ الإنجليز ينتهجون سياسة تقطيع أوصال كردستان، فقد كانت كردستان الجنوبية برأي آدموندز - أحد أهم أعمدة الإستعمار البريطاني في العراق - تضم الموصل و كركوك و السليمانية. وكانت أربيل وكويسنجق ورواندوز أفضية منفصلة تابعة إلى كركوك، وقد فصلت عام ١٩١٨ عن كركوك ليؤلف منها لواء رابع مستقل باسم لواء أربيل. أما قضاء خانقين و مندلي المجاوران اللذان كانا من أعمال ولاية بغداد وأغلبية سكانهما من الأكراد فقد ضما إلى لواء ديالي الذي تم تشكيله في نفس العام أيضاً<sup>(٨)</sup>.

ضمّت المملكة العراقية منذ تأسيسها ١٤ لواء كان من بينها لواء كركوك الذي ضم أربعة أفضية و ١٥ ناحية واستمر هذا التقسيم طيلة العقود الخمسة التالية دون تغيير جوهري، لكن العقدين السابع والثامن شهدا اوسع عمليات التغيير في تشكيلات العراق الإدارية، وطالت تلك التغييرات محافظة كركوك أكثر من أية محافظة عراقية أخرى، فالى جانب تغيير اسمها الجغرافي، فقد تم تمزيق أوصالها وتجزئة وحداتها الإدارية وتوزيعها على المحافظات المجاورة.

وكانت التعليمات الصادرة إلى أول ضابط سياسي بريطاني جرى تعيينه في كركوك خريف عام ١٩١٨ الميجر نوبيل تقضي بما يلي «لقد تم تعيينك بمنصب الضابط السياسي في لواء كركوك اعتباراً من الأول من تشرين الأول. يمتد اللواء من الزاب الأسفل إلى ديالي وإلى الحدود الإيرانية، وانه يشكل جزءاً من ولاية الموصل التي سيتقرر مصيرها النهائي من قبل حكومة صاحب الجلالة، وفي الوقت الحاضر يجب اعتباره واقعاً ضمن منطقة الإحتلال العسكري والإداري. وعليك أن تباشر مهامك انطلاقاً من هذا الافتراض، وعليك أن تشرح للزعماء المحليين الذين ستدخل معهم في اتصالات بأنه لا نية هناك لفرض إدارة اجنبية تخالف عاداتهم ورغباتهم وتشجيعهم لتشكيل اتحاد للنظر في تسوية قضاياهم العامة بارشاد الضباط السياسيين البريطانيين»<sup>(٩)</sup>.

تسببت الأعمال الحربية وتعبئة الناس وزجهم في فرق عمل السخرة وفرض الأتاوات

(٨) سي. جي. آدموندز، كرد وترك وعرب - سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي في العراق

١٩١٩ - ١٩٢٥م، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١م، ص: ١٢ - ١٣ و ٣٢.

(٩) الدكتور وليد حمدي، الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية، لندن ١٩٩٢، ص: ٤٧ - ٤٨.

والضرائب عليهم وسرقتهم في تدهور الوضع الإقتصادي وتردي أحوال الزراعة وتربية المواشي والحرف اليدوية.

كما أن الصناعات المحلية كانت تعاني من تراجع كبير وانقطعت سبل الإتصال وطرق التجارة التقليدية بفعل العمليات العسكرية، ورافق ذلك كلّه الحصار وصعوبات النقل ونقص توريد السلع والمنتجات الصناعية والمواد الأولية للمصانع المحلية والذي تسبب بدوره في الارتفاع الحثيث لأسعار السلع الغذائية والصناعية فضلاً عن المجاعة والأوبئة التي كانت تفتك بالآلاف من أبناء البلاد وأدى ذلك إلى إثارة حنق السكان على الإنجليز، وإذا أضفنا إلى ذلك كلّه الدعاية التركية في كركوك وولاية الموصل عموماً يمكن أن ندرك حقيقة مشاعر ومواقف الناس تجاه السادة الجدد. وبصورة عامة كان موقف سكان كركوك من الإحتلال موقفاً معادياً، وشارك سكان كركوك في الحركات المعادية للإنجليز، فقد جرى عشية ثورة العشرين تنظيم تجمع جماهيري كبير في كركوك للتنديد بالسياسات البريطانية، كما قام كرد كركوك اثناء ثورة العشرين بقطع خط سكة الحديد<sup>(١٠)</sup>

قرر الإنجليز منذ البداية الإحتفاظ بكركوك مهما كانت نتائج سياساتهم في السليمانية والألوية الكردية الأخرى، إذ لا نجد اشارات واضحة إلى مستقبل كركوك في مجمل المشاريع الإنجليزية الخاصة بالمشكلة الكردية في العراق. وكان تنامي الحركة القومية الكردية وراء اجبار السلطات البريطانية على التفكير في إيجاد حل لها يكون في صالح البريطانيين والحكومة العراقية، ولكن مثل هذه الطول كانت مرفوضة من قبل الكرد لأنها لم تكن تتجاوب مع أبسط مطالبهم القومية، فقد كان الإنجليز يخططون لاقتطاع كركوك من الكيان الكردي الذي كان يجري النقاش حول قيامه، حيث أوصى المندوب السامي البريطاني باتخاذ نهر الزاب الأسفل حدوداً شمالية لدولة العراق المزمع تشكيلها لغنى المناطق الواقعة إلى الجنوب منها بالنفط والتبغ والقمح والفحم وغيرها<sup>(١١)</sup> وفي الإجتماع الذي عقد في وزارة الخارجية والذي نوقشت خلاله المشكلة الكردية اقترح وزير شؤون الهند يي، سي، منتيجيو بأن تكون الحدود بين كردستان الجنوبية وميزوبوتاميا إلى الشمال من الخط الممتد من خانقين إلى كفري - كركوك - التون كوبري - أربيل - زاخو - فيشخابور، وكانت خطته تقضي بضم هذه المدن كلها إلى ميزوبوتاميا باستثناء أربيل، والتي ترك أمر تقرير مصيرها إلى حين

(١٠) أ. ف. فيدسينكو: العراق في النضال من أجل الاستقلال ١٩١٩ - ١٩٦٩، موسكو ١٩٧٠ ص: ١٩. فريق المزهرة الفرعون: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ونتائجها بغداد ١٩٥٢، ص: ٣٢٦.

(11) FO 371 / 3407, From Political Commissioner, Baghdad, 15 Nov. 1918, No:8744.

عرضه على الوجهاء والزعماء المحليين<sup>(١٢)</sup> وللسيطرة على مقدرات البلاد حاول البريطانيون إثارة العداء بين المكونات الأثنية في كركوك وغيرها، وخلفوا حتى بعد خروجهم من العراق ركاباً من أسباب التوتر والعداء بين الناس، ولعل حادثة ٤ مايس عام ١٩٢٤م في كركوك تشكل نموذجاً صارخاً لمحاولات زرع بذور الشقاق بين أبناء كركوك الذين وصفهم ادموندز بنفسه بأنهم كانوا يتصفون بالتسامح، فقد جرت في ٤ مايس ١٩٢٤م اضطرابات في السوق عندما هاجمت قوات الليفي الأثرية المدعومة من السلطات البريطانية التجار وبدأت بإطلاق النار على المدنيين، وكان الموقف البريطاني سبباً في تمادي قوات الليفي في غيها، فقد منعت تلك السلطات تدخل الشرطة لوقف الإضطرابات، وقتل بسبب هذا الحادث ٥٠ شخصاً وجرح ٢٠٠ شخص. وأثار هذا الحادث حنق القبائل الكردية التي تهيأت لمهاجمة المدينة والتأثر للمقتولين ، كما أن الشيخ محمود أراد تحرير المدينة ومعاقبة المجرمين<sup>(١٣)</sup>.

عرفت الحادثة عند أهل كركوك بحرب الأرمن - لعدم التمييز بين الأثوريين والأرمن- فقد احتج السكان على تصرفات المحتلين الإنكليز وقوات الليفي الأثرية، حاول بعض أفراد الليفي عشية عيد الأضحى الدخول عنوة إلى حمام النساء المعروف بـ«جوت حمام»، عند ذلك ثارت ثائرة السكان وردت عليهم قوات الليفي بإطلاق النار، أورد ادموندز صورة مشوهة للحادث حينما حاول تصوير الأمر وكأنه خلاف بين أفراد الليفي وبعض أصحاب المحلات على سعر بعض السلع ليتوسع الخلاف ويتخذ أبعاد خطيرة أدت إلى مقتل هذا العدد الكبير من الناس، وليقوم المسلمون في اليوم التالي بمهاجمة ونهب بيوت وممتلكات المسيحيين وكنائسهم.

وهناك أدلة وشواهد كثيرة على قيام سلطات الإحتلال البريطانية والمستشاريين والعسكريين الإنجليز وشركة نفط العراق بخلق وتعميق النعرات و الحزازات بين المكونات الأثنية المختلفة في كركوك، وكانت هذه الأعمال موجهة بالأساس ضد الكرد لأنهم كانوا يشكلون الخطر الأكبر على المصالح البريطانية في هذه المنطقة الغنية بالنفط، خاصة وأن الحركة الكردية كانت تطالب آنذاك بإقامة الدولة الكردية المستقلة، والأُنكى من ذلك أن الحكومات العراقية المتعاقبة في العهدين الملكي والجمهوري لم تدرك مخاطر هذه السياسة على مستقبل العراق، بل تمسكت بها ونفذتها بصورة أبشع ونجمت عنها أحداث مأساوية اتخذت أحياناً أبعاداً خطيرة، ولعل أكثرها دموية وإثارة للجدل كانت أحداث تموز ١٩٦٩م

(١٢) م. س. لازريف: الأمبريالية والمسألة الكردية ١٩١٧ - ١٩٢٣ م ، موسكو ١٩٨٩م، ص: ٨٥- ٨٦ «بالروسية».

(١٣) عبد الرزاق الحسني: تاريخ الوزارات العراقية، ج١، صيدا ٩٥٣م، ص: ١٤١- ١٤٢. انظر كذلك: سي. جي. أدموندز، المصدر نفسه، ص: ٣٤٩.



التي لا يدخل أمر الدخول في تفاصيلها في نطاق هذه الورقة.

رغم ذلك كانت الدوائر البريطانية مجبرة أن تتدارس خلال الفترة التي أعقبت احتلالهم لكوردستان الجنوبية فكرة التخلي عن المناطق الكردية الجبلية والتمسك بالمناطق السهلية- وبخاصة كركوك - بعد أن واجهت سلطات الإحتلال البريطانية العديد من الإنتفاضات الكردية في مختلف مناطق كردستان، حتى أن هذا التوجه ساد مؤتمر القاهرة الذي أكد على ضرورة ربط كركوك والموصل بالعراق والتخلي عن المناطق الأخرى من كردستان العراق بسبب المقاومة الكردية للإحتلال البريطاني، والتي شكلت عبئاً كبيراً على كاهل الخزينة البريطانية، وجرت المطالبة بالانسحاب من المناطق الكردية في بريطانيا نفسها بسبب التكاليف الباهظة لقمع ومواجهة الحركات الكردية المستمرة، وهكذا نرى بأن كركوك خضعت بعد الإحتلال البريطاني لنظام عسكري صارم وإدارة خاصة بالأراضي المعادية المحتلة ولحكام عسكريين (الضباط السياسيين) الذين خضعوا بدورهم للمندوب السامي البريطاني والذي تجمعت الصلاحيات كلها في يده<sup>(١٤)</sup> وأشار آدموندز مستشار وزارة الداخلية العراقية إلى المحاولات الكبيرة التي بذلتها بريطانيا لإبقاء سيطرتها على ولاية الموصل - بما فيها كركوك- وربط الولاية بالعراق، فقد أكد بأنه « وليس من شك ساور أحدنا في اننا الآن نخوض معركة حياة أو موت بالنسبة للعراق، ذلك ليقيننا أن البصرة وبغداد دون الموصل لا يمكن ان تبني منها دولة معقولة لأسباب اقتصادية واستراتيجية» ورغم محاولات آدموندز لإخفاء الأطماع البريطانية في نفط كركوك والموصل، إلا أنه كان مجبراً على الإشارة إلى أن الصحافة العالمية صورت المعركة على أنها معركة على النفط. وقد أجمل الملك فيصل أهمية ولاية الموصل في عبارة بليغة وردت في مذكرته إلى لجنة عصابة الأمم الخاصة بمشكلة الموصل والتي قال فيها «لذلك اعتبر الموصل للعراق بمنزلة الرأس لسائر الجسد ، واعتقادي الراسخ، هو وان كان الموضوع تعيين الحدود بين العراق وتركيا، إلا إنه في الحقيقة موضوع كيان العراق ككل، ولذلك فان سعادة وشقاء أربعة ملايين من البشر هي الآن بين يدي لجننتكم العالية». وتطابقت المصالح العراقية والبريطانية إلى حد كبير فيما يخص مصير ولاية الموصل، وقد أشار آدموندز إلى ذلك بوضوح عندما كتب يقول « وكان هناك اعتبار اخر كان يدفعنا- نحن ضباط الأقسام البريطانيين الصغار الذين كنا في موضع افضل - لنرى أن لا فرق بين المصالح العراقية النهائية وبين مصالح بلادنا المباشرة»<sup>(١٥)</sup> وكانت هذه المنطقة تعاني من تكاليف عديدة تحاول السيطرة عليها ونهبها، فقد كان الكماليون يطالبون بدورهم بها،

(١٤) عبدالرزاق الحسيني: الثورة العراقية الكبرى، صيدا ١٩٥٢، ص ٢٤.

(١٥) سي. جي. آدموندز، المصدر نفسه، ص: ٣٥٦ - ٣٥٧.

ومما يؤكد الأهمية القصوى لهذه المسألة بالنسبة للكماليين أن مصطفى كمال أكد في أول زيارة له إلى أنقرة في ٣١ ديسمبر ١٩١٩ على أن حدود تركيا تضم كل الأراضي التي كانت تقع فعلياً تحت سيطرة قواتنا يوم عقد الهدنة، ونبدأ من النقطة الساحلية جنوب خليج الإسكندرونة وتم بعد ذلك عبر انطاكية ومن ثم عبر حلب وعبر محطة سكة الحديد في قطمة وتصل إلى الضفة نهر الفرات إلى الجنوب من جرابلس، ومن هنا تسير باتجاه الجنوب إلى دير الزور وتتجه بعد ذلك نحو الشرق ضامة إلى أراضي الموصل، كركوك والسليمانية، هذه الحدود لم تحم عملياً من قبل قواتنا المسلحة فحسب، بل انها تضم مناطق من أراضي التي يسكنها الترك والکرد، وإلى الجنوب من هذا الخط يسكن اخوتنا في الدين الذين يتحدثون العربية، نحن نعتبر جميع أجزاء أرضنا الواقعة ضمن هذه الحدود كلاً واحداً لا يمكن اقتطاع وفصل أي جزء منه»<sup>(١٦)</sup> وكانت سلطات الإحتلال البريطانية، وبموازاة قمعها للحركة القومية الكردية بقوة الحديد والنار، تعمل بصورة لا تكل على ربط كركوك ربطاً محكماً بالعراق، فقد طرح المندوب السامي البريطاني في نوفمبر ١٩١٨ فكرة مد سكة حديد كفري- كركوك - التون كوبري- أربيل - رانيه - السليمانية بحجة تطوير هذه المناطق الغنية بالإنتاج الزراعي، ولكن الهدف الرئيسي للمشروع كان يكمن في تحقيق السيطرة البريطانية على كردستان، لذلك وافقت وزارة الحربية البريطانية على المشروع دون أية شروط، جرى تنفيذ مشروع سكة حديد بغداد- بعقوبة - كركوك - كركوبان - كركوك - أربيل بحلول عام ١٩٢٥م كأفضل وسيلة لربط كركوك وكردستان الجنوبية عموماً ببغداد على حد تعبير ويلسن<sup>(١٧)</sup> صوت سكان كركوك ضد تنصيب الأمير فيصل ملكاً على العراق بسبب السياسات الإنجليزية المعادية للکرد، والدعاية التركية ضد الحاق الموصل بالعراق، ولم يحضر أي مندوب من كركوك حفل تنصيب الملك في ٢٣ آب ١٩٢١ كما كان شأن السليمانية، ولكن ذلك كله لم يؤثر على مسار الأحداث وفق السيناريو الذي أعده الإنجليز، فقد كتبت المس بيل تقول «عشنا اسبوعاً صعباً ولكننا نملك الآن ملكنا المتوج»<sup>(١٨)</sup>

(١٦) مصطفى كمال ، طريق تركيا الحديثة - اعداد قاعدة أنقرة ١٩١٩ - ١٩٢٠م، ج٢، موسكو ١٩٣٢م، ص: ١١٠ - ١١٣ «بالروسية».

(17) Wilson, A. T, Mesopotamia 1917 - 1920. A clash of loyalties. A Personal and historical record. London 1930, Page: 142.

(18) Bell G. L. J, The Letters of Gerturde Bell, vol. 2, London 1927. Page. 607.

## سياسات سلطات الإنتداب البريطاني والحكومة العراقية في كركوك؛

وشهدت كركوك حركة دائبة لزيارات المسؤولين البريطانيين والحكومة العراقية خلال فترة مشكلة الموصل إلى أن زارها الملك بنفسه في ٢٠ كانون الأول ١٩٢٤ بهدف حث أبناء المنطقة على المطالبة بالإنضمام إلى الدولة العراقية الجديدة واتخذت الزيارة المذكورة مناسبة لرفع العلم العراقي على مباني الدوائر الرسمية في اللواء، أي قبل قرار الحاق الموصل وكركوك رسمياً بالعراق من قبل عصبة الأمم بعام كامل، كانت الإدارة في اللواء بيد الضباط السياسيين البريطانيين، يعاونهم في ذلك الموظفون المحليون الذين كان معظمهم من التركمان السنة<sup>(١٨)</sup> كانت السلطات البريطانية والحكومة العراقية السائر في ركبها خلال الصراع على عائدة ولاية الموصل، تحاول استمالة الكرد إلى جانبها لكسب الصراع ورد الأطماع التركية التي بدأت تفقد مواقعها الواحدة تلو الأخرى بسبب سياساتها الشوفينية ضد مواطنيها الكرد، فقد نشر الجانبان التصريح المشترك الذي أكد على أن «حكومة صاحب الجلالة البريطانية وحكومة العراق تعترفان بحقوق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق لتأسيس حكومة كردية في المناطق التي يؤلف الكرد فيها الأكثرية المطلقة، وترجو من العناصر الكردية المختلفة أن تصل فيما بينها بأسرع ما يمكن إلى اتفاق من شأنه تعيين شكل الحكومة التي يرغبون فيها وحدودها، وأن يبعثوا بممثلين رسميين إلى بغداد للمداولة بشأن علاقاتهم السياسية والإقتصادية مع حكومتي بريطانيا والعراق»<sup>(١٩)</sup> هذا فضلاً عن تصريحات كبار المسؤولين في العهد الملكي والتي كانت تطلق خلال الصراع على الموصل أو عشية حصول العراق على الإستقلال الشكلي ودخول عصبة الأمم، والتي كانت تتحول إلى فقاعات سرعان ما يطويها النسيان، بل وانتهاج سياسة مغايرة لروح ومضمون تلك التصريحات.

بدءاً حاول الإنجليز ومن بعدهم الحكومات العراقية تهميش الكرد في الحياة السياسية والإدارية والإقتصادية في كركوك المدينة واللواء، فقد سمح الإنجليز الذين احتلوا المدينة والقصبات التابعة لها فقط من دون الممتلكات الأخرى للإمبراطورية العثمانية المهزومة لموظفي الدولة المدحورة في الحرب ولجنودها وعوائلهم بالبقاء والإستقرار في كركوك والقصبات التابعة لها، والأنكى من ذلك أن سلطات الإحتلال الجديدة استعانت بنفس الموظفين في تصريف الشؤون الإدارية والتعليمية وغيرها في المدينة، ولم يكن هذا حياً برجال الدولة

(١٨) الدكتور نوري طالباني: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، ط٢، بلا. م، ١٩٩٩م،

ص: ٤٩.

(١٩) عبدالرزاق الحسيني: تاريخ الوزارات العراقية، ج١.

السابقة بقدر ما كان محاولة لمنع الكرد من لعب دور كبير في مقدرات كركوك، وبخاصة بعد ادراك أهميتها الإقتصادية والإستراتيجية بالنسبة للمصالح الحيوية البريطانية التي توافقت إلى حد كبير مع المحاولات الرامية إلى إقامة الدولة العراقية ضمن حدودها المعروفة اليوم، وكان الدافع الرئيسي لذلك هو أن الحركة الكردية كانت ترفع آنذاك شعار إقامة الكيان القومي الكردي المستقل ضمن حدودها الجغرافية والتاريخية المعروفة لدى الإنجليز قبل غيرهم، واثبتت تجربة السنوات القليلة التي اعقبت الحرب العالمية الأولى بصورة لا تقبل التأويل أن الدولة الكردية المستقلة المنوي تشكيلها لن تكون صديقة وحليفة للإنجليز بسبب سياساتهم واجراءاتهم القمعية بحق الكرد ومحاربتهم لتطلعاتهم القومية في مختلف أرجاء كوردستان<sup>(٢٠)</sup> فمن المظاهر الأساسية لتهميش الكرد في كركوك هو اسناد الوظائف الرئيسية لغير الكرد رغم انهم كانوا يشكلون وحسب جميع المعطيات الإحصائية أكثر من نصف سكان المدينة وأكثر من ثلاثة أرباع سكان اللواء، فقد تسنم منصب متصرف اللواء خلال فترة ٣٧ عاماً تناولتها هذه الورقة خمس متصرفين كرد لم يتجاوز مجموع سنوات حكمهم سبع سنوات وهم: فتاح باشا الكردي ١٩٢٢ - ١٩٢٤م وتحسين العسكري ١٩٣٠ - ١٩٣١م وسعيد قزاز ١٩٤٨ - ١٩٤٩م والشيخ مصطفى القره داغي ١٩٥٠ - ١٩٥٢م ورشيد نجيب ١٩٥٢ - ١٩٥٣م، بينما أسند منصب رئيس البلدية في أكثر الأحوال إلى الكرد من أبناء العائلة الطالبانية كمحمد حبيب الطالباني (١٩٣٤ - ١٩٤٩) وفاضل الطالباني في الخمسينات حين اقالته بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، في حين تشير المصادر إلى قائد واحد للفرقة الثانية من بين الكرد وهو الفريق أمين زكي سليمان خلال عام ١٩٣٦م ومدير شرطة كركوك لعام واحد وهو علي كمال خلال عام ١٩٣٤م، بينما كان ثلثا ممثلي لواء كركوك في المجلس النيابي العراقي طوال العهد الملكي من الكرد والثلث الباقي من النواب كانوا من التركمان والعرب، وكان التمثيل النيابي يعبر إلى حد ما عن تناسب التكوين القومي لسكان اللواء على حد تعبير الدكتور نوري طالباني رغم عدم اتفاق هذا الرأي مع ما ذكره محمد أمين زكي في مذكرته إلى الملك فيصل<sup>(٢١)</sup> وقد أشار المؤرخ والوزير الكردي محمد أمين زكي في مذكرته المشهورة

(٢٠) للمزيد من التفاصيل راجع مقالنا الموسوم: كركوك، قرن ونصف من التتريك والتعريب، الملف العراقي، العدد ٩٩، آذار ٢٠٠٠، ص: ٤٢ - ٤٦.

(٢١) عن هؤلاء وغيرهم من الشخصيات في كركوك انظر: مير بصري، اعلام الكرد، لندن ١٩٩١ ص: ١٦١، ١٦٢، ٢٣٥، ٢٤٠. الدكتور نوري طالباني: المصدر نفسه، ص: ٤٣ - ٤٤ وفهمي عرب آغا وفاضل محمد ملا مصطفى، ماذا في كركوك، كركوك ١٩٥٧م ومجلة «هاواري كركوك» العدد ٣، أربيل ١٩٩٩، ص: ١٤٩ - ١٥٠.

إلى الملك فيصل الأول في ٢٠ كانون الأول ١٩٣٠ إلى مسألة تهميش الكرد في الإدارة في العراق وكردستان وبخاصة في كركوك، وإلى تنصل الحكومة العراقية عن التزاماتها بموجب قرار عصبة الأمم والذي وافقت عليه مع حليفتها بريطانيا العظمى، وعن تعهدات رئيس الوزراء في مجلس الأمة في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٦ والتي قدم وزير المستعمرات ملخصاً لها في ٣ أيلول من نفس العام إلى عصبة الأمم، فقد ذكر رئيس الوزراء العراقي كلمته ما نصه «يجب اعطاء الكرد حقوقهم وتعيين الموظفين من بينهم، وان تكون لغتهم رسمية، ويتعلم أطفالهم في المدارس بها»<sup>(٢٢)</sup> وتكتسب المعلومات الواردة في هذه المذكرة أهمية كبيرة لأن مرسلها تسنم وزارات الداخلية والمعارف والإقتصاد والدفاع والعمل لإحدى عشرة مرة خلال الفترة ١٩٢٥ - ١٩٤٢ واستقى معلوماته من السجلات والوثائق الحكومية الرسمية وعرف بالنزاهة والتسامح والموضوعية وكان يخاطب بها الملك وليس غيره.

ويشير محمد أمين زكي إلى عدم تطبيق أية مادة من تلك التعهدات رغم مرور خمس سنوات على اطلاقها، فقد أظهرت الأرقام بصورة جلية بان عدد الموظفين الكرد في العديد من الوزارات الرئيسية لم يشهد سوى زيارة بسيطة جداً، بينما تناقص عددهم في أكثرية الوزارات الأخرى، هذا في الوقت الذي ارتفع عدد الموظفين من غير الكرد بنسبة مائة في المائة، وكان ذلك يتناقض كلياً مع بيانات وزير المستعمرات البريطاني، ويرد بأدلة قاطعة على خطئ التبريرات التي أوردتها الحكومة العراقية وحليفتها والتي كانت تشير إلى عدم وجود أشخاص مناسبين وراغبين من بين الكرد لتسنم الوظائف الحكومية في الوزارات وفي الأولوية الكردية، فقد أشار إلى أن الموظفين الكرد يشغلون في العهد العثماني جزءاً مهماً من الوظائف المدنية والعسكرية في الولايات الثلاث التي شكلت العراق فيما بعد، وأكد بأن العدد الأكبر من هؤلاء بقوا في المناطق التي الحقت بالعراق ولا زالوا موجودين ومستعدين لتولي الوظائف الحكومية، لذلك لا يمكن للحكومة الإدعاء بانها لا تجد من بين الكرد أناساً يمتلكون الرغبة والقابلية المطلوبتين لتسنم تلك الوظائف، وكان بنفسه شاهداً على العديد من الحالات لموظفين كبار في الإدارة العثمانية السابقة راجعوا الوزارات المختلفة وارتضوا بوظائف أدنى من وظائفهم السابقة إلا أن مراجعاتهم لم يجر ترويجها في حين تسنم زملاؤهم من غير الكرد أكبر المناصب، وجلسوا على كراسي الوزارات<sup>(٢٣)</sup> وعن تهميش الكرد وعدم مراعاة العدالة والمساواة بين أقوام العراق في مسألة التوظيف وبخاصة في كركوك و كتب محمد

(٢٢) مذكرة محمد أمين زكي إلى الملك فيصل الأول حول الشأن الكردي العراقي في ٢٠ كانون الأول

١٩٣٠م، تقديم وترجمة الدكتور جبار قادر، الملف العراقي، العدد ١٠٤، آب ٢٠٠٠، ص: ٦٣.

(٢٣) المصدر السابق، ص: ٦٤.

أمين زكي في مذكرته المشار إليها ما يلي «وقبل أنهي جوابي على السؤال الأول أود أن أضيف نقطة أخرى وهي أن الحكومة لا تراعي العدالة والمساواة بين اقوام العراق في مسألة التوظيف، فإذا دققنا في الوثائق الرسمية نرى بان نسبة الموظفين الكرد في لواء كركوك هي ٢٤,٥٪ والتركمان ٥٦,٥٪ والعرب والعناصر الأخرى ١٩٪ في حين وحسب الإحصاء الكيفي الذي قامت به متصرفية لواء كركوك بنفسها فان نسبة السكان هي كالاتي الكرد ٥١٪ التركمان ٢١,٥٪ والعرب ٢٠٪ والأقوام الأخرى ٧,٥٪ ومن هنا وكما يبدو لي فان الحكومة ولبعض الأسباب - غير المعروفة لدي ولا اعتقد بصحتها - تساعد التركمان وتلحق الأضرار بالكرد والعرب، وهذا يثير بدون شك انزعاج الكرد والشبهات لديهم ازاء عدالة الحكومة التي من واجبها أن تنظر بنفس العين إلى كل عناصر العراق»<sup>(٢٤)</sup> أي أن ٧٦٪ من الموظفين في كركوك هم من غير الكرد في حين أن العدالة والمساواة في مسألة التوظيف برأيه كانت تقضي ان تكون النسبة حسب عدد السكان ٥١٪ للكرد و ٤٩٪ لغير الكرد.

ومن الضروري أن نشير هنا إلى عامل مهم ساهم إلى حد ما في تهميش الكرد في ادارة الدولة العراقية، وهو أن لغة الإدارة والتعليم في العهد العثماني كانت اللغة التركية ومع تشكيل الدولة العراقية حلت اللغة العربية محل التركية وكان معظم الموظفين المدنيين والعسكريين يجهلونها لذلك وجدوا أنفسهم فجأة مفتقرين إلى عنصر مهم من عناصر تسنم المناصب الحكومية، واستعان العديد من كبار الموظفين الكرد العائدين إلى العراق بخدمات مدرسين خصوصيين لتعلم العربية، وكان محمد أمين زكي بنفسه واحداً من هؤلاء، فقد ذكر المؤرخ الكردي الدكتور كمال مظهر أحمد بان محمد أمين زكي «بعد عودته من اسطنبول استعان بمدرسين خصوصيين لتعلم العربية والإنجليزية، وقد قطع شوطاً كبيراً في تعلم اللغة العربية الفصحى وحتى مماته لم يتقن اللهجة البغدادية الدارجة كما كان يتمنى»<sup>(٢٥)</sup> ولم تتخذ الحكومة أية خطوة جدية لازالة هذا الغبن الذي لحق بالكرد، بل ان السياسة التي انتهجتها كان من شأنها أن تعمق من هذه الحالة في المستقبل، فقد بلغ عدد الشباب الموفدين إلى خارج العراق للدراسة حتى عام ١٩٢٩م (١٢٠) شاباً لم يكن بينهم سوى اثنين أو ثلاثة من الكرد، لأنه وحسب الشروط التي كانت تطبقها وزارة المعارف كان على المرشح للبعثة أن يكون من خريجي الثانوية، بينما لم يكن هناك في كردستان كلها سوى مدرسة ثانوية واحدة، ولم يكن بإمكان الطلاب القدوم إلى العاصمة لإكمال الثانوية لأسباب تتعلق باللغة والامكانيات

(٢٤) نفس المصدر السابق، ص: ٦٤ - ٦٥.

(٢٥) الدكتور كمال مظهر أحمد: التاريخ - دراسة موجزة لعلم التاريخ والكرد والتاريخ، بغداد ١٩٨٢م، ص: ١٥٩ «بالكردي».

الاقتصادية، وهكذا كانت الحالة تسوء من عام إلى آخر و كانت الحكومة تدعي بان الكرد يتسمنون الوظائف في الألوية غير الكردية، لكن واقع الحال كان يشير إلى أن نسبة الموظفين الكرد لم تصل إلى ٥٪ في أي لواء من ألوية العراق، بينما كان ٢٦٪ من الموظفين في لواء السليمانية هم من غير الكرد، ولم يكن هناك مدير عام كردي واحد من بين المدراء العاميين الذي بلغ عددهم ١٩، كما لم يكن هناك ضابط كردي يقف على رأس احدى دوائر وزارة الدفاع باستثناء واحد وكان الأمر كذلك بالنسبة لأمرء المناطق والوحدات العسكرية<sup>(٢٦)</sup> وفيما يتعلق بتمثيل الكرد في البرلمان يقول محمد أمين زكي «كما أن حقوقهم النسبية في مجلس النواب ناقصة، إذ أنه بموجب أحد تقارير عصبة الأمم فان نسبة سكان الكرد في الألوية الشمالية فقط تصل إلى ١٨٪ من مجموع سكان العراق وليس ١٧٪ كما يزعم البعض، وعلى ذلك يجب أن يكون عدد النواب الكرد ١٦ من مجموع ٨٨ نائباً، وإذا قارنا عدد النواب الكرد في المجلس الحالي - حتى مع الذين سماهم وزير المستعمرات بنفسه بأنصاف الكرد - نرى بأن عددهم لا يتجاوز ١١ نائباً»<sup>(٢٧)</sup> وكان توزيع الوظائف العديلية من بين المسائل الرئيسية التي اهتمت بها عصبة الأمم عند دراستها لمشكلة الموصل واقرار الحاقها بالعراق، فقد أوصت بضرورة تعيين الموظفين الكرد واجراء المرافعات والمحاكمات باللغة الكردية لعلاقتها المباشرة بحياة السكان، ورغم تعهدات الحكومتين العراقية والبريطانية إلا أن هذا الزمر لم يطبق إلا في السليمانية وكويسنجق، ويشير محمد أمين زكي بهذا الصدد إلى « أن الكرد يحاكمون في محاكم لواء كركوك باللغة التركية، وفي أربيل والموصل وخانقين يضطرون للقيام بالمراجعات والمرافعات باللغة العربية، وتتسبب هذه الحالة في مشاكل ومعاناة كثيرة للكرد لأنهم يضطرون إلى الإستعانة بالترجمين، لبيان شكاواهم ودعاواهم أمام المحاكم وان يسلموا أمر الدفاع عن حقوقهم إلى هؤلاء المترجمين وانتظار رحمتهم، وكثيراً ما يلحق بهم الغبن في هذا المجال، لضعف المترجمين أو قيامهم بتزوير حقوق المدعي والمدعى عليه بسبب منافع شخصية، وكان هذا المحذور بالذات وراء اقتناع مجلس عصبة الأمم بضرورة استخدام الكرد للغتهم في المحاكم»<sup>(٢٨)</sup>

وهكذا نرى بأن وضع الكرد في العراق عام ١٩٣٠م من حيث المشاركة السياسية والإدارية أسوأ بكثير من وضعهم عام ١٩٢٦م وهو عام اطلاق التصريحات والوعود بشأن حقوق الكرد في ولاية الموصل، وكانت الصورة في كركوك بالنسبة للكرد أسوأ من ذلك بكثير.

(٢٦) مذكرة محمد أمين زكي إلى الملك فيصل الأول، ص: ٦٥.

(٢٧) نفس المصدر السابق، ص: ٦٥.

(٢٨) نفس المصدر السابق، ص: ٦٦.

تشكل اللغة القومية وشؤون التربية والتعليم والحفاظ على التراث القومي وتطويره جوانب مهمة في حياة الأمم، وتعد مواقف الحكومة المركزية في الدول المتعددة القوميات من هذه القضايا محكاً للإعتراف بالهوية و الحقوق القومية وتبني سيادة العدل والمساواة ازاء جميع المكونات الأثنية، كما أن الإعتراف بالهوية واللغة والثقافة القومية تشكل عناصر أساسية لتوفير الفرص امام أبناء الأقلية القومية للمشاركة السياسية والإدارية والإقتصادية والثقافية في البلاد، وإلا فسيكون مصيرهم التهميش والتخلف وطمس الحقوق، ولذلك ستركز على هذه الجوانب ونشير إلى الأرقام والمعطيات والسياسات الحكومية في هذه الجوانب ازاء كرد كركوك على وجه الخصوص.

في تقريره عن اوضاع التعليم في العراق أشار المؤرخ والوزير الكردي محمد أمين زكي إلى التفاوت الكبير في نسب التخصيصات المالية للصرف على التعليم في الألوية العراقية في عام ١٩٢٦-١٩٢٧م، ففي الوقت الذي خصصت نسبة ٣٨٪ من واردات لواء بغداد و ١٩٪ من واردات لواء الموصل للصرف على التعليم في اللواتين المذكورين، بلغت نسبة الصرف في لواء كركوك على شؤون التعليم ٩٪ من واردات اللواء، وكانت الحالة في الألوية الكردية الأخرى أسوأ من ذلك بكثير، فقد كانت نسبة الصرف على التعليم في لواء السليمانية ٨٪ فقط من مجموع واردات اللواء<sup>(٢٩)</sup> ويمكن القول بأن حصة الأسد من نسبة ٩٪ المخصصة من واردات كركوك للصرف على التعليم في ذهبت إلى المدارس غير الكردية، حيث لم تكن هناك داخل مدينة كركوك أية مدرسة كردية. وشكلت سياسات الحكومة العراقية في حقل التعليم نموذجاً صارخاً لغمط حقوق الكرد وتهميش دورهم في جميع مناحي الحياة السياسية والإقتصادية والثقافية، وكان نشر التعليم باللغة الكردية في المناطق الكردية واحداً من الشروط الأربعة التي وضعتها عصبة الأمم ووافق عليها الحكومة العراقية و «الحكومة الحليفة» وتعهدوا بتنفيذها، ولكن وبعد مرور خمس سنوات على تلك التعهدات كانت الصورة لا تثير لدى الكرد غير الحنق والشكوك، فقد كانت لغة التعليم في مدارس السليمانية فقط هي الكردية، أما في لواء كركوك ذي الأكثرية الكردية فلم تكن هناك سوى ٣ مدارس كردية في حين أن الـ ٢٠ مدرسة الباقية باستثناء واحدة أو اثنتين منها فانها كانت تستخدم جميعاً اللغة التركية في التعليم، هذا في الوقت الذي تتجاوز فيه نسبة المتحدثين بالتركية أكثر من ٢١٪ من مجموع سكان اللواء، وأبدى محمد أمين زكي أسفه لهذه الحالة وأكد بأن الكرد لا يرغبون في ارسال ابنائهم إلى مدارس تركية لأنهم لا يودون تعليم ابنائهم باللغة التركية أو يضطرون إلى القيام بذلك مجبرين، واعتبر هذا الأمر مخالفاً لمبادئ علم التربية ولا يمكن

(٢٩) جريدة «زيان»، العدد ١٢٩، ٢٠ أيلول ١٩٢٨.



ايجاد تفسير مقبول له سوى الإضرار بالكرد وتقديم الدعم للاخريين<sup>(٣٠)</sup> الغريب في الأمر أن عدد المدارس الكردية كان في تناقص مستمر، فقد كانت هناك في عام ١٩٢٣ ست مدارس كردية مقابل ١٣ مدرسة تركية، وكانت السلطات البريطانية تزعم أن السبب هو وجود نظام تعليمي عثماني جاهز من الضروري الإبقاء عليه لحين تنظيم التعليم في العراق، في الوقت الذي كانت تبرر سياساتها ازاء الكرد بقلة عدد المعلمين الكرد والكتب المدرسية الكردية. ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن وجود هذا العدد من المدارس التركية في كركوك يجب أن لا يفسر، كما يتبادر إلى الذهن بوجود جالية تركية كبيرة في المدينة بل يمثل صورة النظام التعليمي العثماني الذي كانت اللغة التركية لغة التعليم الرسمية فيه، وكان الأمر كذلك في الولايات العثمانية الأخرى أيضاً.

وهكذا نرى بان الحكومة العراقية لم تلتزم بتعهداتها التي أعطتها إلى عصابة الأمم في حقل التعليم باللغة الأم، وقد أوردت مجلة «زاري كرمانجي» صورة معبرة عن حالة الإحباط التي كان يعاني منها الطلبة الكرد في كركوك، فقد كتب ع. خ. ي من كركوك إلى المجلة المذكورة بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٢٩ يقول: «تجري التدريسات في كركوك في المدارس الكلدانية والإسرائيلية (اليهودية ج. ق) والأرمنية بلغات هذه الأقوام، الكرد وحدهم يجبرون على الدراسة بلغات أجنبية».

وتسببت حالة التخبط في التعليم في كركوك في تخلف الطلبة الكرد عن أقرانهم إذ يشير الكاتب إلى «أن الطلبة الكرد في كركوك يعانون من التخبط، إذ يجبرون منذ دخولهم المدرسة وخلال السنوات الأربع الأولى على دراسة اللغة التركية، وبعد ان يتعلموا شيئاً منها دون أن يحصلوا على شيء من العلم تبدأ الدراسة باللغة العربية وبعد ثلاث أو أربع سنوات وبعد أن يحصلوا على شيء بسيط من المعرفة باللغة الجديدة، يذهبون إلى بغداد ويدخلون امتحاناً صعباً لا يأخذ بنظر الإعتبار حالتهم ليفشلوا في الإمتحان أو يطردوا بعد أن يفشلوا في الدراسة». ويشير الكاتب إلى أن جميع الطلبة الكرد الذين ذهبوا من كركوك إلى بغداد عادوا بخفي حنين خلال العامين الماضيين. ليس هذا فقط، بل أن المدارس الكردية التي فتحت في كركوك قبل عام ١٩٢٧ مثل مدرسة تكية، والتي استبشر الكرد بافتتاحها وأرسلوا ابناءهم إليها سرعان ما أغلقت ولم تسفر جميع المحاولات التي بذلت لإعادة فتحها، ويشير الكاتب في نهاية مقالة إلى معاناة الكرد من مراجعة الدوائر الرسمية والوثائق الحكومية التي لا يفهمون منها شيئاً لأنها بغير اللغة الكردية ويضطرون إلى مراجعة رجال الدين لتفسير

(٣٠) مذكرة محمد أمين زكي، مصدر سابق، ص: ٦٥.

مضمأمينها<sup>(٣١)</sup> ورغم توصية لجنة عصابة الأمم الخاصة بمشكلة الموصل «بالاهتمام برغبات الكرد حول تعيين الموظفين الحكوميين في مناطقهم من أبناء قوميتهم، وجعل اللغة الكردية اللغة الرسمية في المحاكم والمدارس» فان عدد المدارس الكردية في كركوك كانت ٦ مدارس ولم تكن هناك مدرسة كردية واحدة في الموصل، بينما كانت هناك في كركوك ١٣ مدرسة رسمية تركية ومدرسة خاصة غير حكومية و في الموصل ٤ مدارس أثرية حكومية ومدرسة غير حكومية وكانت الجداول كما يلي:

#### المدارس الابتدائية الحكومية للبنين:

الأعوام	لواء الموصل	لواء كركوك
	عدد المدارس	عدد المدارس
١٩٢٣ - ١٩٢٢	٦٨	١٤
١٩٢٤ - ١٩٢٣	٧٢	٢٤
١٩٢٥ - ١٩٢٤	٧٣	٢٤

#### المدارس الحكومية الابتدائية للبنات

١٩٢٣ - ١٩٢٢	١٩	٣
١٩٢٤ - ١٩٢٣	١٨	٢
١٩٢٥ - ١٩٢٤	١٩	٢

(٣١) ع. خ. بي. لواء كركوك وجميع اقصيته ونواحيه وقراه من الكرد، زار كرمانجي، رواندوز العدد ١٩، ١٩ / ١٠ / ١٩٢٩: نقلًا عن ممتاز حيدري، مجلة «هاواري كركوك»، العدد ٣، أربيل، آذار ١٩٩٩. ص: ٦٥.

Report for period april 1932 - December 1924, page: 217- 218.

انظر كذلك: الدكتور كمال مظهر احمد، حركة التحرر الوطني في كردستان العراق ١٩١٨ - ١٩٣٢، باكو ١٩٦٧، ص: ٦٢- ٦٣ «باللغة الروسية».

ورغم انتهاء مشكلة الموصل ورغم توصية اللجنة بضرورة ايلاء الإهتمام بتدريس اللغة الكردية إلا أن الوضع لم يتحسن، فقد بلغ عدد المدارس الرسمية باللغة الكردية ٤١ مدرسة عام ١٩٣٠ كان يتلقى التعليم فيها ١٥٤٥ تلميذاً ولكن كانت هناك وفي نفس العام ١٤ مدرسة حكومية تركية يدرس فيها ٩٦١ تلميذاً و٢٧ مدرسة مسيحية وفيها ٣٣٠٣ تلاميذ، وخمس مدارس يهودية وفيها ٥٨ تلميذاً<sup>(٣٢)</sup>.

وبطبيعة الحال لم يرض هذا الوضع الكرد واضطرت سلطات الإنتداب البريطاني إلى الإشارة في تقاريرها إلى عصبية الأمم إلى انزعاج الكرد من قلة المدارس بالكردية ولكنها بررت الأمر «بأن الذهاب بعيداً مع الكرد في رغباتهم والتجاوب معها ليس لصالح العراق ككل ولا لصالح الكرد أنفسهم»<sup>(٣٣)</sup> كيف يمكن أن يكون التعليم باللغة الأم هو ليس لصالح العراق ككل ولا لصالح الكرد أنفسهم؟ مع أن ملك العراق نصح رعاياه عام ١٩٢٦ بان « أحد أهم وظائف كل عراقي مخلص هو تشويق أخيه الكردي العراقي أن يحافظ على عنصره وجنسيته ولا يحيد عنها» كما أن رئيس الوزراء العراقي عبد المحسن السعدون خاطب مجلس النواب في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٢ قائلاً «إذا أراد العراق ان يعيش فعلياً تأمين حقوق جميع العناصر العراقية، لأننا شاهدنا جميعاً بان هذا الأمر كان وراء تشتت وانهايار الدولة العثمانية التي قامت باغتصاب حقوق العناصر التي كانت تتشكل منها وتمنعهم من التطور» بل أن المندوب السامي البريطاني نصح بنفسه اصحاب الشأن في العراق وفي نفس المناسبة التي ألقى فيها الملك فيصل كلمته المذكورة قائلاً « يجب أن تكون رغبة الحكومة العراقية في أن تجعل من جميع العناصر العراقية أولاداً مخلصين للحكومة ولتحقيق هذا الهدف عليها أن تشجعهم على الإلتزام بدينهم والإعتزاز بعنصرهم وان لا يحيدوا عنهما، لن يصبح الكردي عربياً أبداً، فمثلاً لم يصبح الأسكوتلندي انجليزياً فلن يصبح الكردي عربياً أيضاً، ولن يصبح أبداً وطنياً صالحاً إذا أُجبر على استخدام اللغة العربية والعادات العربية، خلاصة القول يجب أن لا تجري المحاولات لجعله عربياً خالصاً، بل يجب تشجيعه وتقديم التسهيلات له ليصبح كردياً خالصاً»<sup>(٣٤)</sup>.

(32) Special report by his Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq during the period 1920 - 1930. London 1931, Page: 234.

(33) Special report, Ibid, Page: 230.

انظر كذلك: الدكتور مظهر أحمد: حركة التحرر الوطني، ص: ٦٤.

(٣٤) مذكرة محمد أمين زكي، مصدر سابق، ص: ٦٧.

بطبيعة الحال كان الإنجليز يدركون بأنه إذا ما توفرت للکرد فرص التعليم بلغتهم وتمكنوا من تطوير ثقافتهم القومية لن يرضوا باوضاعهم البائسة وسيطالبون بحقوقهم المغتصبة والمشاركة في الحياة السياسية والإقتصادية والثقافية للبلاد، بينما كانت السياسة البريطانية تقوم على أساسي تهميش دور الكرد وحرمانهم من المشاركة الفعالة في تقرير السياسات العراقية.

وظهرت آثار الإهمال الحكومي في حقل التعليم في كركوك فيما بعد بصورة واضحة، ففي حين بلغ عدد المتعلمين عام ١٩٥٣ في لواء كركوك ٢٠٥٣٤ كان عدد غير المتعلمين ٢١٤٩٨٠ شخص وكان عدد المدارس الإبتدائية للبنين ٧١ والبنات ١٣ ورياض الأطفال ١١ متركزة في مركز المدينة والأقضية والنواحي. وشخص الدكتور شاكر خصباك مشاكل التعليم في كردستان بصورة موضوعية، فبعد سرده للأسباب الإقتصادية وغيرها يشير إلى أن «المناطق الكردية تعاني من مشاكل خاصة، وهي مشكلة لغة التدريس، إذ أن الدراسة في المدارس الإبتدائية هي باللغة الكردية في حين أن الدراسة في المدارس المتوسطة والثانوية هي باللغة العربية، ومما لاشك فيه أن الإنتقال الفجائي من الدراسة باللغة الكردية إلى الدراسة باللغة العربية عملية صعبة بالنسبة للکرد، فالکرد، وكما ورد في قرارات عصبة الأمم عام ١٩٢٦م، لهم الحق بالدراسة بلغتهم القومية ويجب على وزارة التعليم وضع الكتب بالكردية وترجمة الكتب العربية إلى الكردية، ويمكن تدريس العربية في المدارس والمؤسسات التعليمية الكردية كلفة رئيسية لتسهيل الدراسة في الكليات العربية امام الكرد لحين توفير مستلزمات فتح الكليات الكردية، واهمال اللغة الكردية من قبل الحكومة العراقية كان دائماً سبباً من اسباب انزعاج الكرد، ويجب معاملة سكان البلاد بقومياتهم المختلفة دون تفریق»<sup>(٣٥)</sup> ومن المنطلق نفسه لم تشهد كركوك تطوراً يذكر في حقل الصحافة الكردية، فقد بدأت سلطات الاحتلال البريطاني بإصدار جريدة «النجمة» في كركوك بعد ٢٠ يوماً من احتلالهم الثاني لكركوك، أي في ١٥ كانون الأول ١٩١٨م باللغة العربية، واستبدلت التسمية إلى «كركوك» عام ١٩٢٦م وكانت السلطات البريطانية والعراقية ترفض نشر المقالات فيها باللغة الكردية، ولكن عشية المعاهدة البريطانية العراقية الجديدة والمناورات لقبول العراق في عصبة الأمم نرى بأن الجريدة بدأت واعتباراً من عدد ٣٠٢ في ٢مايس ١٩٣٠م تخصص صفحتين من صفحاتها الست للنشر باللغة الكردية بينما خصصت صفحتين للاعلانات والأمور الحكومية والأهلية وصفحتين للنشر باللغة التركية، وقد بررت الجريدة هذا التوجه الجديد على الوجه الآتي «هذا

(٣٥) الدكتور شاكر خصباك: الكرد والمسألة الكردية، ترجمة أمجد شاكلي، السويد ١٩٩٧م ص: ٦٣-٧١ «الطبعة الكردية».

التشويق والالهام جاء نتيجة للتوجهات العادلة لحكومتنا الموقرة، والغاية منها تحقيق الحقوق وإفادة الكرد المتواجدين داخل لوائنا». وكان تخصيص صفحتين من الجريدة لتصدر باللغة الكردية جزءاً من لعبة التمهيد لدخول العراق إلى عصبة الأمم والتي شكل تعيين تحسين العسكري- من أهالي قرية عسكر قرب چمچمال- متصرفاً لكركوك وتوفيق وهبي متصرفاً للسليمانية واصدار قانون اللغات المحلية حلقات منها، وقد كتبت الجريدة بعد سردها لحياة المتصرف الجديد وعائلته الكردية المشهورة والمراتب التي تدرج فيها في الجيش العثماني والمناصب التي تسنمها في الدولة العراقية مشيرة إلى وصوله إلى كركوك وتسنمه لمنصبه الجديد، تقول: «ولدى تشريفه كركوك باعتبارها وطناً له وقد حاز هو وأبأؤه الشهرة الحسنة في هذه المنطقة، فقد استقبل من قبل أهالي المدينة بصورة فائقة للعادة، والمشار إليه كردي، وقد حصل على التعليم العالي وخبر الإدارة والسياسة، وهو مطلع على الأحوال الروحية لمنطقتنا وبهذا الاعتبار نتمنى أن يكون عاملاً على تحقيق الرقي والخير العميم للوائنا».

فضلاً عن ذلك يبدو أن تعيين تحسين العسكري متصرفاً لكركوك كان محاولة من الحكومة لازالة الآثار السيئة لسلوك وتصرفات المتصرف السابق عبد المجيد اليعقوبي ١٩٢٤-١٩٢٧م، والذي عرف بتعسفه الشديد وعنصريته المفرطة إزاء الكرد.

وأشادت الجريدة بزميلاتها (ژیان و زاري کرمانجی) اللتين كانتا تصدران في السليمانية ورواندوز، ولكن سرعان ما قررت السلطات، وبعد عام واحد فقط، وبعد نقل تحسين العسكري، إلغاء القسم الكردي من الجريدة لتخوفها من نشر وتطور الثقافة الكردية بين الكرد في كركوك<sup>(٣٦)</sup> ولم تكن الأوضاع في الجوانب الأخرى بأحسن حالاً من وضع التعليم والصحافة، ففي مجال الخدمات الصحية في كركوك كانت هناك ٥ مستشفيات عام ١٩٥٥م و٤٨ طبيباً للسكان البالغ عددهم آنذاك ٢٦٨٠٠٥، كما أن نسبة الولادات والوفيات كانت في عام ١٩٥٣م في كركوك على التوالي ٥,٥ و ٢,٨٪<sup>(٣٧)</sup> وكانت الوسيلة الأخرى من وسائل غضب الحقوق الكردية والتنصل من الوعود التي قدمت للكرد خلال الصراع على ولاية الموصل هو «قانون اللغات المحلية» الذي أصدره الملك فيصل الأول في ٢٣ مايس ١٩٣١م. ويوضح نص القانون الأساليب التي لجأت إليها الحكومة لتهميش اللغة الكردية في كركوك وغيرها من المناطق الكردية، فقد نص القانون في مادته الثانية على ما يلي:

(٣٦) عن هذه الجريدة وبعض اعدادها الكردية، انظر الدراسة الموثقة للكاتب: أحمد تاقانه، جريدة «كركوك» الكوردية عام ١٩٣٠، جولان العربي، عدد ٤٣، كانون الأول ١٩٩٩، ص: ٥٥-٥٩.

(٣٧) الدكتور شاكر خصباك، المصدر نفسه، ص: ٦٣-٦٩.

تكون الكردية لغة المحاكم في الأفضية التالية:

لواء الموصل	أ- العمادية	ب- راخو	ج- زيبار	د- عقرة
لواء أربيل	أ- كويسنجق	ب- رانية	ج- رواندوز	
لواء كركوك	أ- كيل	ب- جم جمال		
لواء السليمانية	أ- السليمانية	ب- حلبجة	ج- شهر بازير	

بينما نصت **المادة الثالثة** من نفس القانون على أنه (يجوز أن تكون لغة المحاكم في الأفضية التالية الكردية أو العربية أو التركية: دهوك، شيخان، أربيل، مخمور، كركوك، كفري، ويعطى قرار المحكمة باللغة الأكثر شيوعاً، فيما أجازت **المادة الرابعة** للمتهم في الأفضية المذكورة وفي جميع الأحوال:

أ- أن يحاكم ويبلغ باللغة العربية إذا كانت لغته البيتية العربية.

ب- أن تترجم المرافعات الشفهية إلى الكردية أو العربية أو التركية، وتعطى له نسخة الحكم المترجم، ويجوز لكل شخص أن يقدم دعواه أو استدعاء للمحاكم في الأفضية المذكورة اعلاه أو المحاكم أوسع صلاحية بالكردية والعربية والتركية.

وأجازت **المادة الخامسة** أن تكون مخابرات الدوائر الفنية والمخابرات بين مراكز الأولوية والوزارة وبين مركز لواء الموصل والأفضية العربية، أن تكون اللغة الرسمية الكردية:

**لواء الموصل:** العمادية، عقرة، دهوك، زاخو، زيبار.

**لواء أربيل:** أربيل، مخمور، كوي، سنجق، رانية، رواندوز.

**لواء كركوك:** جمجمال، كيل.

**لواء السليمانية:** السليمانية، حلبجة، شهر بازير.

ويجوز أن تستعمل الكردية أو التركية في قضائي كركوك وكفري، وكانت نصوص المواد الأخرى على الشكل التالي:

**المادة السادسة:** تكون لغة التدريس في جميع المدارس الأولية والإبتدائية في الأفضية المبينة في هذا القانون الكردية أو العربية أو التركية حسب اللغة الشائعة فيها.

المادة السابعة: يستطيع كل شخص أن يراجع المقامات الرسمية باللغة العربية وان يأخذ الجواب فيها، وتقبل جميع المخابرات في إحدى اللغات الواردة في المادة الخامسة ويجاب عليها بنفس اللغة.

المادة الثامنة: تستعمل اللغة الكردية في أفضية الوية السليمانية وكركوك وأربيل المبينة في

هذا القانون بشكلها الحالي ويجوز أن تستعمل لهجة هذه الألووية في بقية لواء الموصل من تاريخ تنفيذ هذا القانون إلى السنة التي يختار فيها اهالي هذه الأفضية لهجة يتفقون على استعمالها .

وكلف القانون جميع الوزارة كلا حسب صلاحيته بتنفيذه، وصدر القانون بتاريخ ٢٣ مايس سنة ١٩٣١ بتوقيع الملك فيصل ورئيس الوزراء نوري السعيد ووزير العدل جمال بابان، ووزير الداخلية عبد الله الدموجي ووزير الخارجية مزاحم الباجة چي، ووزير الدفاع جميل الراوي ووزير المالية رستم حيدر ووزير المعارف عبد الحسين<sup>(٣٨)</sup>.

جاء سن القانون تلبية لقرار عصبة الأمم في ١٦ ديسمبر ١٩٢٥ بشأن الحقوق الادارية والثقافية الكردية عند الحاق ولاية الموصل بالعراق والتي اخذت الحكومتان البريطانية والعراقية على عاتقهما مهمة تنفيذه، استخدم القانون مصطلح اللغة المحلية بدلا الأم أو اللغة القومية ووضع قيوداً عديدة على انتشار اللغة الكردية، وأشار محمد أمين زكي في ملاحظاته على القانون إلى عدم التزام الحكومة العراقية بوعودها التي قطعتها لعصبة الأمم وتصرفها بصورة تناقض تلك الوعود فيما يخص الكرد، ويشير إلى المادة الرابعة من قانون اللغات المحلية التي تجيز استعمال التركية في العديد من الأفضية والنواحي الكردية ويؤكد بان هذه المادة جاءت بناء على طلب مجلس إدارة كركوك في حينه. ويعتبر محمد أمين زكي تمتع جميع العناصر بحقوقها شيئاً ضرورياً ولكن يجب أن لا يجري ذلك على حساب العناصر الأخرى إذ يكمن الخطأ هنا برأيه.

ويعطي محمد أمين زكي امثلة موثقة على طروحاته، اذ يقول أن نسب السكان حسب المعطيات الرسمية في لواء كركوك هي ٥١٪ من الكرد و ٢١٪ من التركمان و ٢٠٪ من العرب و ٨٪ من غير المسلمين، ورغم أنه يؤكد بأنه حصل على معلومات من مصادر موثوقة ومسؤولة عن شؤون الإحصاء ودائرة نفوس كركوك تشير إلى ما يناقض الصورة الرسمية، حيث أن المعطيات الاحصائية التي اعتمدها كانت تشير إلى أن عدد سكان مدينة كركوك بلغ عام ١٩٣٠م حسب احصاء بلدية كركوك ٣٥ ألفاً وكان عدد الكرد ٢٢ ألفاً وعدد التركمان ٧ آلاف شخص وألفاً من المسيحيين وألفين من التياريين و ٥٠٠ أرمني و ٢٥٠٠ يهودي... في حين نجد بأنه من مجموع ٢٤ مدرسة في اللواء هناك ٣ مدارس كردية فقط، أما في مدينة كركوك نفسها فمن مجموع ١٠ مدارس كانت ٦ منها للتركمان و ٢ منها للمسيحيين و ٢ لليهود، في

(٣٨) جريدة الوقائع العراقية- العدد ٩٨٩ بتاريخ ١ حزيران ١٩٣١م. انظر كذلك مجلة « هاواري كركوك»، العدد ٣، أربيل - آذار ١٩٩٩، ص: ١٥٢ - ١٥٤.

حين كان نصيب الكرد في المدينة من المدارس يساوي الصفر، وكانت نسب الموظفين على الشكل التالي ٥٦٪ من التركمان و ٢٤٪ من الكرد ٢٠٪ الباقين من العرب ومن غير المسلمين.<sup>(٣٩)</sup>

وكانت سياسات الحكومة العراقية تجاه الكرد في جميع المجالات - بما فيها مجالات التوظيف والتعليم و استخدام اللغة الكردية - مناقضة لتعهداتها لعصبة الأمم، فقد تعهد العراق في تصريحه المعلن في ٣٠ مايس ١٩٣٢م من أجل الحصول على عضوية عصبة الأمم- وكان قد أقر من قبل المجلس النيابي العراقي في ٥مايس من نفس العام واعتبر قانوناً عراقياً أساسياً - بحماية حقوق المواطنين العراقيين بغض النظر عن القومية والدين، كما نصت المادة التاسعة بخصوص اللغة الكردية على ما يلي «توافق الحكومة العراقية على أن تكون اللغة الكردية إلى جانب العربية اللغة الرسمية في الأقضية التي تقطنها غالبية كردية في كل من ألية الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية»، كما تعهدت الحكومة العراقية بتعيين الموظفين في الأقضية المذكورة من بين من يعرفون اللغة الكردية. ومع أن مقياس اختيار الموظفين للأقضية المذكورة هو الكفاءة ومعرفة اللغة قبل العرق كما هو الحال في سائر أنحاء العراق، فإن الحكومة وافقت على أن يجري انتقاء الموظفين ويقدر الإمكان من بين العرب من أبناء تلك الأقضية، وكانت هذه التعهدات ذات صبغة دولية، إذ نصت المادة العاشرة من التصريح (القانون) المذكور على ما يلي « بقدر ما لهذه الشروط من مساس بالأشخاص الذين ينتمون إلى الأقليات القومية أو الدينية أو اللغوية فإنها تعتبر تعهدات ذات طابع دولي وتقوم بمقام ضمانة توضع لدى عصبة الأمم، ولا يجرى أي تعديل عليها إلا بمصادقة الأغلبية في مجلس العصبة».<sup>(٤٠)</sup>

لاشك أن أسوء وأقسى السياسات الحكومية في كركوك هي محاولات تغيير الواقع القومي للسكان في هذه المحافظة، ومن الضروري أن نشير إلى أن الحكومات العراقية المتعاقبة حاولت تنفيذ هذه السياسة بصيغ مختلفة إلى أن وصل الأمر إلى سياسة التطهير العرقي التي تمارسها الحكومة الحالية، لقد بدأت الهجرة الطبيعية للسكان إلى المدينة، وبخاصة إلى المدن التي شهدت تطوراً اقتصادياً ملحوظاً وكانت كركوك في مقدمة تلك المدن بعد البدء باستخراج النفط عام ١٩٢٧م، وقد ترتب على ذلك حدوث تغييرات كبيرة في الوضع

(٣٩) محمد أمين زكي، ملاحظاتي حول قانون اللغات المحلية، في كتاب « محاولتان غير مجديتين»، تقديم وتحقيق صباح غالب، لندن ١٩٨٤م، ص: ١٠٣-١٠٥.

(40) League of Nations , Series of League of Nations Publications, VII. Political. 1932, VII, 9, Page: 301.



الإقتصادي والإجتماعي والأثني لسكان المدينة، فقد استخدمت الشركة أعداداً كبيرة من المستخدمين و العمال، وقامت ب جلب معظمهم من خارج المنطقة ونتج عن ذلك وخلال فترة قصيرة نسبياً، نشوء أحياء شبه مستقلة ضمن الأحياء القديمة في المدينة، خاصة بالآشوريين والأرمن والعرب وغيرهم، خصوصاً في المناطق القريبة من منشآت النفط، وكانت نسبة العمال الكرد المستخدمين في الشركة تأتي بعد الآخرين جميعاً، وهكذا أدى استثمار حقول النفط الموجودة في كركوك وفي المناطق القريبة منها إلى تواجد اعداد غفيرة من أبناء المناطق الأخرى من العراق بصورة دائمية<sup>(٤١)</sup> وإلى جانب جلب العمال والموظفين وأفراد الشرطة جعلت الحكومة من كركوك مقراً للفرقة الثانية من الجيش العراقي.

ولكن الخطوة الأكبر في سياسة تغيير الواقع السكاني في كركوك في العهد الملكي كانت خطة اسكان العشائر العربية في الحويجة في منتصف الثلاثينات، فقد بدأت حكومة ياسين الهاشمي المشروع تحت اسم «مشروع أراضي الوحدات الإستثمارية» بعد جلب الماء إليها عن طريق شق ترعة كبيرة من نهر الزاب الصغير، وكانت الخطوة الأولى جلب أكثر من ١٠٠٠ كم عند النهر الجنوبي للمشروع وحتى الحدود الإدارية لقضاء مركز كركوك، وبلغ عدد القرى التي عمروها خلال ٢١ عاماً، أي حتى احصاء عام ١٩٥٧م (١٢٣) قرية. أما الجبور فقد خصص لهم ٢كم٩٠٠ وتمتد من الزاب الصغير، وقد عمر هؤلاء بحلول عام ١٩٥٧م (٦٥) قرية. وخصص لعشائر البوحمدا ن ٢كم٢٠٠ وتقع بين الزاب والطريق الرئيسي بين كركوك والحويجة وأقاموا فيها ١٤ قرية ل حين اجراء احصاء ١٩٥٧. هذا فضلاً عن مجموعات عشائرية عربية أخرى مثل التكراتة والدوريين والعوائل الكردية التي كانت تسكن هذه المنطقة قبل البدء بمشروع الحويجة من الدهشيين والشوان و الشيخ بزنيين و غيرهم وقد خصص لهؤلاء جميعاً ١٠٠كم٢ واستقروا في خمس قرى فقط<sup>(٤٢)</sup> انتهى المشروع عام ١٩٣٧م وكان عبارة عن حفر قناة رئيسية من الزاب الصغير إلى الحويجة، وقامت الحكومة بجمع جميع السجناء من العراق وتشغيلهم في انجاز هذا المشروع، ويروي المؤرخ الكردي - المقتول مؤخراً في بغداد - الملا جميل الروزياني بأنه كان في عام ١٩٣٧م أحد هؤلاء السجناء الذين شاركوا في تنفيذ هذا المشروع، ويؤكد بأنه ما من المقرر أن يجري اسكان الكرد والعرب وان يقوم الجميع باعمار الحويجة، ولكن النهر شق بطريقة بحيث لا تمر بالقرى الكردية التي كانت ملكيتها تعود إلى السيد أحمد خانقاه والحاج حسين أوجي، وعائلة النفطجي، وعندما تسنم ياسين الهاشمي السلطة قرر أن تكون الحويجة للعرب فقط، في حين كانت الخطة الأولية

(٤١) الدكتور نوري طالباني، نفس المصدر السابق، ص: ٥١.

(٤٢) أحمد رحيم أمين، الحويجة، مجلة «هاواري كركوك» العدد ٤، أربيل ١٩٩٩م، ص: ٤٨ - ٤٩.

تقضي باسكان العشائر الرحل في المنطقة وكان جلها من الجاف و الهموند، حتى أن الجيجان الذين كانوا قد اقاموا عدة قرى عند تخوم جبل حميرين وعلى نهر زغيتون أجبروا على اخلائها<sup>(٤٤)</sup>.

ومن المعروف أن التفكير في مثل هذه المشاريع رافق تنامي نشاطات القوميين العرب في العراق، الذين كانوا بحكم معاناتهم من المستعمرين البريطانيين ومعاداتهم لهم قد وقعوا تحت تأثير الأفكار والدعايات النازية والفاشية وكانوا يرغبون في تبني أساليب ألمانيا النازية في السيادة على الآخرين، ويشير الروزيباني إلى أن الضباط القوميين في زمن رشيد عالي الكيلاني الذين لم يدم حكمهم طويلاً حاولوا منع انتقال سكان قرى كركوك الكردية إلى السكن في المدينة أو شراء الأراضي والمساكن فيها.

ويعطي الروزيباني - الذي عايش أحداث كركوك خلال أكثر من تسعة عقود منذ الحرب العالمية الأولى مروراً بقيام الدولة العراقية واستخراج النفط وغيرها من الأحداث- معلومات قيمة عن تواجد العرب في كركوك خلال العهد الملكي، إذ يشير إلى إنه وعند تشكيل الدولة العراقية كانت في كركوك محطة واحدة تسكنها ٣٠ عائلة عربية بين المصلى والبيرياي وكانوا يعملون في شراء وبيع المواشي، وكانت هناك بعض الصرائف- جمع صريفة، وهي الكوخ - بين قرية تسعين - التي أصبحت الآن تشكل محطة في مركز مدينة كركوك- وبين الجسر القديم بلغ عددها حوالي الخمسين صريفة، وكانت تعرف بمحلة الحديديين وجرى نقل هذه العوائل بامر من الملك إلى غرب كركوك لأن منظر صرائفهم لم يعجبه أثناء زيارته لكركوك<sup>(٤٥)</sup> وأصبحت المسائل المتعلقة بمحاولات تغيير الواقع السكاني في كركوك من قبل الحكومات العراقية المتعاقبة معروفة ليس على الصعيد السياسي فقط، بل أصبحت تدخل في صلب الدراسات المتعلقة بالعراق وكوردستان، حتى أن مصدراً علمياً لا يرقى الشك إلى موضوعيته كدائرة المعارف الإسلامية كانت مجبرة على أن تشير هذه المسألة في طبعها الجديدة وفي مادة كركوك إذ أكدت على أنه «تجب الإشارة إلى أن السلطات ولسنوات طويلة بذلت جهوداً كبيرة لإحلال السكان العرب محل الكرد»<sup>(٤٦)</sup>

وتشير المصادر المختلفة إلى زيادة كبيرة في عدد سكان كركوك لا تتناسب مع المعايير الديموغرافية للنمو الطبيعي للسكان، الأمر الذي يوضح السياسات الحكومية، فقد قدر عدد

(٤٤) مؤرخ كردي، كركوك- اسمها، تاريخها القديم، سكانها وسلطاتها، مجلة «هاواري كركوك» العدد ٢، أربيل ١٩٩٨، ص: ٢٩ - ٣٠.

(٤٥) نفس المصدر السابق، ص: ٣١.

(46) The Encyclopaedia of Isiam, Art. Kirkuk, vol. Leiden 1986, Page: 145.

المهاجرين إلى كركوك خلال الفترة ١٩٤٧-١٩٥٧م فقط بـ٣٩ ألف مهاجر<sup>(٤٧)</sup>.

وليس أدل على ذلك من الشريط المسجل بصوت علي حسن المجيد في اجتماع مع مسؤولي حزب البعث والأمن والجيش في كركوك بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٨٩ وكان خلال العامين الذين سبقا هذا التاريخ حاكماً مطلقاً في كردستان، إذ قال ما نصه عن كركوك «أود أن اتحدث عن نقطتين: الأولى التعريب والثانية المناطق المشتركة بين الأراضي العربية ومنطقة الحكم الذاتي، المسألة التي أنا بصددتها هي مسألة كركوك، عندما قدمت إلى هنا لم يزد عدد العرب والتركماني على ٥١٪ من سكان كركوك، لعلكم صرفت ٦٠ مليون دينار حتى وصلنا إلى الوضع الحالي، كل العرب الذين جلبناهم إلى كركوك لم يوصلوا النسبة إلى ٦٠٪ لذلك منعت كرد كركوك والمناطق القريبة منها من العمل خارج منطقة الحكم الذاتي»<sup>(٤٨)</sup> هذه السياسات التي انتهجتها الحكومات العراقية المتعاقبة في كركوك خلقت حالة من التوجس والريبة لدى الكرد عموماً، وكرد كركوك على وجه الخصوص، من نوايا الحكومة ازاء هذه المدينة التي اشتهرت بحالة الإنفتاح والتسامح بين مكوناتها الأثنية، وفتحت هذه السياسات الأبواب على مصراعيها لتعقيد الأوضاع في كركوك وما حولها خلال العقود التالية حتى تحولت إلى إحدى العقد الرئيسية للمشكلة الكردية في العراق.

---

(٤٧) الدكتور أحمد نجم الدين: أحوال السكان في العراق، القاهرة ١٩٧٠، ص: ١٠٩، نقلاً عن الدكتور نوري طالباني، المصدر نفسه، ص: ٤٨.

(48) Genocide In Iraq. The Anfal Campaign Against The Kurds HRW/ ME, NewYork 1993, Page: 353.



## كركوك في موسوعة عراقية صادرة عام ١٩٤٧

الدكتور نوري طالباي

كاتب وباحث كردي من العراق - لندن

من بين الوثائق الموجودة حالياً في أرشيف مركز كركوك للدراسات والبحوث في لندن كتاب قيم يعد بحق، وكما جاء في صدر غلافه الخارجي: «موسوعة تبحث في أهم شؤون بلادنا وأحوالها الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية والادارية والثقافية والعمرانية والتاريخية وسائر مرافقها الحيوية الأخرى، وتتناول تأريخ الأسر العراقية الكريمة وتراجم مشاهير رجال البلاد وتعرض أمام الشرق والغرب أجمل صورة عن العراق الحديث ونهضته المباركة». وقد خصص الجزء الثاني من هذه الموسوعة للواء (محافظة) كركوك ورجالاته، وهو من تأليف الباحث والصحفي عبد المجيد فهمي حسين بالتعاون مع «نخبة مختارة من الشباب المثقف»<sup>(١)</sup>.

وتم طبع هذا الجزء من الكتاب المخصص للواء كركوك في مطبعة دجلة في بغداد عام ١٩٤٧م المصادف ١٣٦٦هـ<sup>(٢)</sup> تصدر صفحات الكتاب ثلاث صور في ثلاث صفحات. الأولى ملك العراق آنذاك وهو في عمر الصبا كتب تحتها: «أمل العروبة الباسم حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل الثاني المعظم». والصورة الثانية هي للوصي على عرش العراق وولي العهد «حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالإله الوصي وولي العهد المعظم». أما الصورة الثالثة فهي تذكارية «أخذت لملك العراق فيصل الثاني والأمير عبد الإله بمناسبة زيارتهما مدينة كركوك عام ١٩٣٩م، وقد أخذت الصورة في محطة قطار كركوك، ويشاهد فيها السيد عمر نظمي وزير الداخلية السابق والدكتور فائق شاکر متصرف لواء كركوك السابق أيضاً، ومعهما الدكتور سندرسن طبيب الملك الخاص وبقية أفراد الحاشية».

(١) جاء في الصفحة التالية لغلاف الكتاب: «اضطلعت باصدار هذه السلسلة هيئة تضم نخبة مختارة من الشباب المثقف برئاسة السيد عبد المجيد فهمي حسن تدعى باسم لجنة تأليف دليل تأريخ مشاهير الأولوية العراقية، وهي مجازة من قبل مديرية الدعاية العامة بموجب التصريح المرقم ٣٩٣٠ والمؤرخ ١٣ / ١١ / ١٩٤٥م.

(٢) وورد أيضاً في الصفحة التالية لغلاف الكتاب عنوان المؤلف (رئيس اللجنة): بغداد، مطلة القشلة، قرب جامع المصاوب رقم ٦١٠ - ٩٤.

والكتاب مهدى في الصفحة التي تلي هذه الصور الثلاث إلى: «السيد عبد الجليل حسن برتو متصرف لواء كركوك اعترافاً بفضلته العظيم وأيديه البيضاء على لجنة التأليف...»<sup>(٣)</sup> وتلي هذه الصفحة صورة للمؤلف، ثم كلمة بعنوان «تقريظ الكتاب» للسيد محمد عباس الصالح المدون في ١٩٤٧/٧/٨م الذي يبدو أنه على صلة قريبة بـ«لجنة التأليف» ورئيساً، وقد جاء فيها أن لجنة تأليف «دليل تأريخ مشاهير الأولوية العراقية» التي أصدرت الجزء الأول من سلسلة أسفارها الأربعة عشر - وكان خاصاً بلواء السليمانية - بدأت بإصدار الجزء الثاني المتضمن أحوال كركوك وتراجم مشاهير رجاله، ثم يضيف أنه طالع مسودة هذا الجزء بامعان، وهو ما دفعه إلى زيارة لواء كركوك ليطلع بنفسه على المحاسن التي أبرزها الكتاب، فحل في «مدينة كركوك عروس كردستان». يتضمن الكتاب معلومات كثيرة ودقيقة عن لواء كركوك كموقعة وحدوده الإدارية ومساحته وعدد سكانه ووضع الجغرافي ومياهه وأنهاره ومشروعات الري القائمة فيه، كما وردت فيه معلومات أخرى عن الجبال والمرتفعات الموجودة والمناخ السائد فيه خلال فصول السنة، بالإضافة إلى طرق المواصلات الموجودة في اللواء.

وفيما يتعلق بموقع اللواء وحدوده الإدارية، فقد جاء في هذه الموسوعة «أن الأراضي الواسعة التي يتألف منها لواء كركوك تمتد بين نهري ديالى<sup>(٤)</sup> والزاب الصغير في الجهة الشمالية الشرقية من العراق، تحيط به أولوية أربيل والسليمانية وديالى وبغداد والموصل»<sup>(٥)</sup>

أما الحدود الإدارية للواء كركوك فهي كالآتي: «يحده من الشمال لواء أربيل وقسم من لواء السليمانية، ومن الشرق لواء السليمانية وقسم من لواء ديالى، ومن ناحية الجنوب الشرقي نهر ديالى، وبينه وبين لوائي ديالى وبغداد من ناحية الجنوب الغربي جبل حميرين، وبينه وبين لواء السليمانية من ناحية الشمال الشرقي جبل قره داغ وجبل سكرمه وجبل أنجيرة وجبل

(٣) أصبح المرحوم عبد الجليل برتو عضواً في محكمة التمييز العراقية في أواسط الخمسينات ومحاضراً في كلية الحقوق عام ١٩٥٧ عندما كنت طالباً في الكلية المذكورة.

(٤) يعرف هذا النهر الذي تتبع روافده العديدة من أراضي كردستان إيران باسم (سيروان) لحين دخول مجراه حدود لواء ديالى، فيطلق عليه عندئذ اسم نهر ديالى. راجع باسيلي نكيتين، الكرد - دراسة سوسولوجية وتاريخية، ترجمة الدكتور نوري طالباني، دار أخيل للطباعة والنشر ١٩٨٨م، ص: ٧٨ - ٧٩، حيث يسهب في بيان أهم روافد هذا النهر ومسار مجراه في سلسلة جبال كردستان، من جبل (شريس خان) غربي (ألوند) لحين دخوله الحدود الإيرانية - العراقية ثم مصبه في نهر دجلة.

(٥) عبد المجيد فهمي حسن، دليل تأريخ مشاهير الأولوية العراقية، الجزء الثاني الخاص بلواء كركوك، مطبعة دجلة، بغداد ١٩٤٧م، ص: ٢.

بازيان»<sup>(٦)</sup> وتبلغ مساحة اللواء اجمالاً (١٦٥٠٠ كم<sup>٢</sup>) تقريباً، أما عدد سكانه فيقدره مؤلفو الكتاب بـ«نحو ربع مليون نسمة، عد القبائل الرحالة والمتوطنة التي تقدر نفوسها تخميناً بمائة ألف نسمة». وبصدد الوضع السكاني والاثني للسكان في اللواء، ذكر مؤلفو الكتاب «أن سكان اللواء هم مزيج من الأكراد والعرب والأتراك غير أنهم يلتقون جميعاً في اخلاصهم العراق وولائهم للعرش المفدى»<sup>(٧)</sup>.

ووصف الكتاب الوضع الجغرافي والطوبوغرافي للواء كركوك بأنه يتألف «من سهل فسيح مترامي الأطراف، عظيم الخصب كثير الخيرات، يتدرج في الارتفاع شيئاً فشيئاً كلما إلى الشرق وإلى الشمال، لهذا كانت معظم أنهاره تجري من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي»<sup>(٨)</sup> ثم يستطرد في الاسهاب ويقول: إن هذا اللواء «تخترقه من الجهة الشمالية الشرقية سلسلة جبال جرداء متوسطة الارتفاع تشرف عليها وتحاديها جبال السليمانية الشاهقة، وتتناثر التلال والروابي في أواسطه هنا وهناك، أما قسمه الغربي الممتد إلى سفوح جبل حمرين فهو منبسطة تكثر فيه المراعي والمروج الخضراء»<sup>(٩)</sup>

وتهطل الأمطار بغزارة في معظم أنحاء لواء كركوك طيلة الشتاء والربيع والتي تروي الأراضي « التي لا يمكن ارواؤها سيحاً، وتفجر العيون والينابيع العذبة، وتكون السهول والوديان والأنهار التي تجري متدفقة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي»<sup>(١٠)</sup>

وتجري في أراضي اللواء أنهار عديدة لكنها تنضب غالباً في أيام الصيف أهمها نهر «خاصة» الذي يخترق مدينة كركوك، ونهر داقوق الذي يمر بالقرب من قصبه داقوق، ونهر «أق صور أوه سبي» الذي يمر بجوار بلدة طوزخورماتو<sup>(١١)</sup> وهناك أنهار ونهيرات أقل أهمية، وهي مبعثرة في شتى أنحاء اللواء، وتعتمد الجهات الشمالية من اللواء على نهر الزاب الصغير (زبي بچوك)، والجهات الجنوبية على نهر سيروان (ديالى) والجداول المتفرعة منه.

(٦) المصدر السابق، ص: ٢.

(٧) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٨) المصدر السابق، ص: ٣.

(٩) المصدر السابق، ص: ٣.

(١٠) المصدر السابق، ص: ٣.

(١١) أدى احتلال هذه البلاد من قبل العثمانيين قرابة أربعة قرون من الزمن إلى تتركب أسماء بعض القصب والجبال الأنهار الموجودة فيها، وكانوا يكتفون في أغلب الحالات بترجمة أسمائها الكردية إلى التركية، وهو ما حدث مثلاً بالنسبة لنهر «أوه سبي» الذي تحول إلى «أق صو» في السجلات العثمانية الرسمية، الذي يعني (الماء الأبيض).

أما أهم الجبال الموجودة في اللواء، فهي جبل قرقداغ<sup>(١٢)</sup> الذي يبلغ ارتفاعه زهاء ١٨٥٠م، وجبل سكرمه الذي يقع شمالي جبل قرقداغ ويصل ارتفاعه إلى ١٧٩٠م، وفيه مضيق سكرمه الذي يصل كركوك بالسليمانية عن طريق «كوك تبه» وجبل «أنجير» الذي يقع في الشمال الغربي من جبل سكرمه، بين مضيق «باسره» ومضيق «بازيان»، ويبلغ ارتفاعه ١٤١٠ متراً، وجبل بازيان الذي يقع في الشمال الغربي من جبل أنجير، ويبلغ ارتفاعه نحو ١٣٥٠ متراً، ويبلغ ارتفاع المضيق المسمى باسمه أيضاً نحو ٩٢٠ متراً، وهناك رواب عديدة في أنحاء متفرقة من اللواء، منها رابية «باتوداغ» في غربي مدينة كركوك وارتفاعها ٣٥٠ متراً، وروابي «قره حسن» الواقعة في شرقي المدينة، وهي تعلوا إلى ٧٥٠ متراً وروابي «متاره» في جنوبي كركوك وراية كفري في غربها وسنك آباد في شرقي بلدة «قره تبه».

أما أهم طرق المواصلات الموجودة في اللواء (في نهاية الأربعينات) فهو الخط الحديدي الذي يربط كركوك ببغداد والذي يبلغ طوله نحو ٢٠٣ ميلاً، وأما طرق المواصلات الأخرى فهي للسيارات بعضها معبد وبعضها غير معبد، وهي تشمل طريق كركوك - الموصل، وطريق كركوك - أربيل الذي يتشعب من الطريق الأول، وطريق كركوك - السليمانية، وطريق كركوك - بغداد. ويشير المؤلف إلى أن اللواء بحاجة ماسة إلى شبكة واسعة لطرق المواصلات.

وعن الحالة الاقتصادية في اللواء ورد في الكتاب أن لواء كركوك يمتاز بتربة عظيمة الخصب، لكن الزراعة فيه، خاصة زراعة الحبوب تعتمد على مياه الأمطار وحدها، لذلك تتوقف كمية الحاصلات الزراعية السنوية على كمية الأمطار التي تسقط خلال ذلك العام. وتبلغ مساحة الأراضي المزروعة في اللواء أو الصالحة للزراعة حوالي ١٢٥٠٠ كم<sup>٢</sup>، أي ما يعادل خمسة ملايين مشاركة (قاربة ٣/٤ مساحة اللواء). ويؤكد الكتاب أن التربة في اللواء، شأنها شأن التربة في المناطق الأخرى من كردستان، تمتاز بكون نسبة الأملاح فيها قليلة بسبب كون الأراضي منحدر لا تقف المياه فيها، فلا تتسرب أملاحها.

أما أهم الحاصلات الزراعية الموجودة في اللواء فهي الحبوب، وبصورة خاصة الحنطة، «حيث يشتهر لواء كركوك بزراعة الحنطة الكردية الفاخرة، وهي تنتج بكميات كبيرة وتزرع في الأنحاء السهلية والتموجة»<sup>(١٣)</sup> ويزرع في اللواء أيضاً الشعير، ثم الرز الذي تقتصر زراعته

(١٢) لفظة «قرقداغ» تركية تعني (الجبل الأسود)، وهي مترجمة أيضاً من أسم الجبل بالكردية. ومنطقة قرقداغ التي تضم قسبة تحمل الاسم ذاته بالإضافة إلى عشرات القرى الكردية تؤيد بوضوح ما نذهب إليه، وهذا خلافاً لما يردده بعض القوميين التركمان من أن كل مدينة أو قسبة أو منطقة تحمل اسماً تركياً يجب اعتبارها تركية بالنتيجة!

(١٣) المصدر السابق، ص: ١٢.



على مناطق محدودة تكثر فيها الينابيع والعيون وعلى شواطئ الأنهار، خاصة في قضاء چم چمال، كذلك ينبت في أنحاء اللواء معظم أنواع الخضراوات والفواكه الحقلية والحاصلات الجذرية. وتكتظ بساتين اللواء بأنواع كثيرة من الأشجار المثمرة التي تعتمد على مياه السقي خاصة في المناطق الجبلية من اللواء، وتوجد في اللواء أراض واسعة غير مزروعة تستعمل كمراع ينتفع بها أفراد القبائل الرحالة التي تتجول بمواشيها في طلب العشب والماء<sup>(١٤)</sup> وأفرد مؤلف الكتاب صفحات عديدة لمشروع الحويجة لري الأراضي بواسطة جداول تتفرع من نهر الزاب الصغير، إلى الغرب من بلدة «آلتون كوبري/ بردي» وهو ما يدل على أن المشروع لم يكن مكتملاً لدى اعداد الكتاب<sup>(١٥)</sup> ونجد في الكتاب اشارات لأهم المنتجات الحيوانية في اللواء وإلى التجارة التي تعتبر من مصادر المعيشة والرزق لعدد كبير من أبناء كركوك والقصبات الكبيرة في اللواء، أما الصناعة الرئيسية في اللواء فهي استخراج النفط وبكميات كبيرة.

وقد خصص مؤلفو الكتاب صفحات عديدة من مؤلفهم للكلام عن صناعة النفط، مع ذكر لمحة تاريخية عن كيفية انشائها مشيرين بوجه خاص إلى تكالب الغربيين ومحاولاتهم للحصول على امتياز باستثمار حقول النفط منذ العهد العثماني، وذكروا أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى «بادرت الدول الحليفة المنتصرة فوضعت يدها على نفط العراق، معتبرة إياه ميراثاً لها ورثته عن الدولتين المغلوبتين: تركيا وألمانيا، ومدعية بأن انتصارها في الحرب قد أكسبها حق استثمار منابع النفط في جميع البلاد التي فتحتها بالقوة وانتزعتها بحد السلاح» ويضيف مؤلفو الكتاب أن موافقة انكلترا على إشراك فرنسا معها في نفط العراق كانت نتيجة «اتفاق بينهما على تبادل (منافع سياسية) لا يتسع لذكرها هذا المجال»<sup>(١٦)</sup>

(١٤) إقتصر تواجد العشائر الرحالة في اللواء على عشائر العبيد والجبور في جنوبي سهل الحويجة وفي المناطق المجاورة له، بالإضافة إلى بعض الأفخاذ من عشيرة الجاف في سهل كفري، وكان أفراد من عشيرة الجاف الكردية يذهبون مع قطعانهم صوب الأراضي الإيرانية خلال بعض فصول السنة، وقد تم توطينهم فيما بعد في سهل كلار، وعشائر العبيد في سهل الحويجة.

(١٥) بدى بحفر مشروع الماء بوسائل بدائية مع استخدام السجناء الموجودين في سجن كركوك في أعمال الحفر، وكانت حكومة ياسين الهاشمي هي التي خططت لهذا المشروع في بداية الثلاثينات عن طريق انشاء وحدات استثمارية، وقد ترتب على اكمالها توطين عشائر العبيد والجبور وألبو محمد الرحالة في سهل الحويجة، وقد بلغ مجموع نفوس هذه العشائر التي تم توطينها في هذا السهل حسب احصاء ١٩٥٧م، ٢٧٧٠٥ نسمة. راجع مؤلفنا بعنوان: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي. ط٢، لندن ١٩٩٨م، ص: ٥٣-٥٤.

(١٦) المصدر السابق، ص: ٢٧.

ويتكلم واضعو الكتاب بأسهاب عن مفاوضات الحصول على امتياز باستخراج النفط منذ مؤتمر «سان ريمو»، وعن مراحل البحث عن النفط منذ آذار ١٩٢٥م، وعن تدفق النفط عام ١٩٢٧م من بئر «باباگرغر» القريبة من مدينة كركوك<sup>(١٧)</sup> وعن أعمال الحفر في الأماكن الأخرى من اللواء، وعن مد خط الأنابيب لارسال النفط من كركوك إلى حيفا وطرابلس عام ١٩٣١م والذي تم انجازه عام ١٩٣٥م. وفي الكتاب معلومات أخرى عن اتفاقية لامتياز استخراج النفط مبرمة عام ١٩٣١م، مع نشر أهم بنودها باعتبارها الاتفاقية السارية التنفيذ<sup>(١٨)</sup> وفي الكتاب صفحات أخرى مخصصة لشركات النفط الأخرى غير شركة نفط العراق IPC التي منحها الحكومة العراقية حق استثمار النفط في الأراضي الواقعة غربي نهر دجلة وشمال الخط العرضي (٣٣) درجة<sup>(١٩)</sup> ويتكلم مؤلفو الكتاب عن الحالة الاجتماعية والثقافية في اللواء، وفيما يتعلق بحياة السكان ومعيشتهم، فذكروا «أن أغلبية السكان في لواء كركوك هم من أبناء المدن والقصبات والقرى، وهؤلاء يعيشون عيشة مدنية مستقرة ثابتة، أما الباقون فهم أبناء القبائل الرحالة...»<sup>(٢٠)</sup>

ويذكر مؤلفو الكتاب أن انشاء المؤسسات النفطية في اللواء وبدء شركة نفط العراق بحفر الآبار ومد خط الأنابيب أدى إلى التهافت على لواء كركوك لآلاف العمال والمحترفين والفنيين، تتبعهم آلاف أخرى من أصحاب المهن المختلفة وصغار التجار والباعة وطالبي الرزق، فاكتظت المدن النفطية - ولا سيما مدينة كركوك - بهذه الجماهير<sup>(٢١)</sup>

(١٧) تقع بئر باباگرغر قرب قرية «شور أو» الكردية التي أجبر النظام العراقي سكانها وأهالي ١٢ قرية كردية أخرى قريبة منها على تركها في أواسط عام ١٩٦٣م، بعد سيطرة حزب البعث على السلطة في انقلاب دموي في ٨ شباط ١٩٦٣م.

(١٨) المصدر السابق، ص: ٣١-٣٢.

(١٩) المصدر السابق، ص: ٣٣-٣٦.

(٢٠) المصدر السابق، ص: ٥٤ وما بعدها، وكما أسلفنا سابقاً، استقر أبناء العشائر الرحالة في أراض زراعية خصصت لهم منذ نهاية الأربعينات، لكن أبناء اللواء من الكرد يتعرضون منذ أواسط الستينات، وبصورة أخص منذ بداية عام ١٩٦٨م لسياسة الطرد والترحيل الاجباري، خاصة في القرى والقصبات الواقعة في شمالي وشمالي شرقي اللواء (المحافظة)، ويتم توطين العشائر العربية الموالية للنظام في أطراف كركوك، وقد بلغ عدد القرى المدمرة للفترة ما بين ١٩٦٣م حتى نهاية ١٩٨٩م، (٧٧٩) قرية كردية، للمزيد من التفاصيل، راجع مؤلفنا المشار إليه آنفاً، منطقة كركوك... ص: ٦٨.

(٢١) يشير الدكتور أحمد نجم الدين في مؤلفه (أحوال السكان في العراق) المنشور من قبل معهد الدراسات العربية في القاهرة عام ١٩٧٠، ص ١٠٩ وما بعدها إلى حصول هجرة كبيرة إلى =

ويصد الأزياء المحلية للسكان في اللواء، ورد في الكتاب أنه «يغلب على الطبقة العامة من الاهلين - ولاسيما الأكراد منهم- استعمال الألبسة المألوفة في المناطق الكردية»<sup>(٢٢)</sup> أما عن الحالة القومية في اللواء، فقد جاء في الكتاب «أن القوميات الأساسية في اللواء هي الكردية ثم العربية والتركية، ويسكن الأكراد في الأنحاء الشمالية الشرقية وتمتد مساكنهم جنوباً وغرباً إلى أواسط اللواء. أما العرب فانهم يسكنون غالباً في الجهات الجنوبية الغربية المحاذية لمنطقة السهول، أما الأتراك - واسمهم الشائع هو التركمان - فمعظمهم يسكنون في أواسط اللواء حيث يختلطون بالعرب والأكراد»<sup>(٢٣)</sup> وورد في الكتاب بخصوص الأتراك الذين يعيشون في اللواء أنهم «أحدث الأقوام عهداً بسكنى لواء كركوك، فقد جاء أسلافهم - على ما يروي المؤرخون - في أواسط القرن السابع عشر الميلادي، ضمن الحملة الكبرى التي جهزها السلطان العثماني مراد الرابع وقادها بنفسه إلى العراق لمحاربة الفرس (الصفويين) وانقاذ بغداد من أيديهم، فان هذا السلطان بعد أن استرجع بغداد وقضى على حكم الصفويين في العراق، أبقى في هذه البلاد - قبل رجوعه إلى الأستانة - حاميات قوية للمحافظة على خط الاتصال بينه وبين بغداد، والدفاع عنها وقت الحاجة، وقد وزع هذه الحاميات على طول خط وهمي يمر بين المنطقة الكردية والمنطقة العربية من العراق، ويبدأ هذا الخط من «بدره» فيتجه نحو الشمال الغربي ماراً بمندلي وقزلباط وخانقين وقره تبه وكفري وطوزخورماتو وداقوق وتازه خورماتو وكركوك والتون كوبري وأربيل والموصل حتى قسبة تلعفر غربي الموصل، ولا يخفى أن هذا الخط هو الطريق الاستراتيجي الذي يربط الأناضول بالعراق»<sup>(٢٤)</sup> ثم يضيف

= كركوك للعمل في حقول شركة نفط العراق IPC، ويقدر عدد المهاجرين إليها للفترة ما بين ١٩٤٧-١٩٥٧م وحدها ب(٣٩٠٠٠) مهاجر، ثم يضيف أن الزيادة في عدد سكان كركوك من سنة ١٩١٩ إلى ١٩٦٨م وصلت إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه وتجب الإشارة هنا أيضاً إلى أن عدد الذين طردوا من منطقة كركوك للفترة ما بين ١٩٩١-٢٠٠٠م قد تجاوز ١٠٨,٠٠٠ شخص معظمهم من الكرد ثم يليهم التركمان، وقد توجهوا جميعاً إلى محافظتي السليمانية وأربيل الخاضعتين للإدارة الكردية أو إلى خارج العراق وربما بلغ عدد الذين أجبروا على ترك منازلهم والتوجه إلى المناطق الوسطى والجنوبية من العراق عدداً مماثلاً، راجع المذكرة التي بعثت بها (١١٥) منظمة مدينة وحرزياً سياسياً كردستانياً مع عدد من الهيئات والشخصيات العالمية الأخرى إلى هيئة منظمة الأمم المتحدة في ٢٩/١٢/٢٠٠٠م بواسطة (مركز كركوك للدراسات والبحوث في لندن) في ١٤/٢/٢٠٠١م.

(٢٢) المصدر السابق، ص: ٥٦.

(٢٣) المصدر السابق، ص: ٥٧.

(٢٤) المصدر السابق، ص: ٥٨.

مؤلفو الكتاب أن «الأترك المقيمين في العراق - ويضمنهم أترك لواء كركوك - هم أحفاد تلك الحاميات العثمانية التي أقيمت لحراسة البلاد وتأمين الاتصال العسكري بينها وبين عاصمة العثمانيين، فسكنت المدن والقرى التي أقامت معسكراتها فيها أو يجوارها، ثم استوطن رجالها هذه البلاد وامتزجوا بأهلها بمرور الزمن وخلفوا أحفاداً هم اليوم من المواطنين المخلصين»<sup>(٢٥)</sup>

ويعيش في اللواء أيضاً أقليات من الأرمن والنساطرة، حيث هاجروا إلى العراق قبيل وأثناء الحرب العالمية الأولى حينما أرغمهم العثمانيون على مغادرة مواطنهم، فسكنوا أمهات المدن العراقية، ومنها كركوك<sup>(٢٦)</sup> أما ديانة سكان اللواء فالأغلبية مسلمة، بجانب أقليات من المسيحيين والصابئة واليهود، وقد تخصص اليهود بالتجارة والصيرفة وصياغة الذهب<sup>(٢٧)</sup> بينما يمتهن الصابئة صياغة الفضة، أما المسيحيون فانهم يزاولون شتى المهن والأعمال<sup>(٢٨)</sup> ويفرد الكتاب عنواناً خاصاً لأهم العشائر الموجودة في لواء كركوك، مع التأكيد على أن «معظم العشائر التي تسكن اللواء هي عشائر كردية، وهذه توجد في الأنحاء الجنوبية والغربية»<sup>(٢٩)</sup> وورد في الكتاب أيضاً أن «أبناء العشائر الكردية منقادون لرؤسائهم من المشايخ والبكوات والاعوات انقياداً تاماً، ومن الرؤساء من يكون شيخاً لاحدى الطرق القادرية أو النقشبندية، وبذلك يكتسب نفوذاً كبيراً إذ يجمع بين السلطتين الدينية والزمنية»<sup>(٣٠)</sup> ويقسم الكتاب اللواء إلى رحالة ومستوطنة، ثم يضيف أن عدداً كبيراً من أفراد العشائر قد تحضروا بمرور الزمن، فسكنوا المدن وأخذوا يزاولون مختلف المهن التجارية والمهن التجارية والمهن الصناعية، ومع ذلك فقد «ظلوا محتفظين بعلاقاتهم وروابطهم مع قبائلهم التي انحدروا منها»<sup>(٣١)</sup> ويعدد مؤلفو الكتاب أسماء أهم العشائر المتوطنة في اللواء، مع الاشارة فيما بعد لأسماء وتراجم كبار رجالها، والعشائر التي عددها الكتاب حسن الترتيب الوارد فيه، هي كالاتي:

(٢٥) المصدر السابق، ص: ٥٨.

(٢٦) المصدر السابق، ص: ٥٨.

(٢٧) سفر جميع يهود كركوك في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات بموجب قانون خاص لتسفير اليهود بعد اسقاط الجنسية العراقية عنهم.

(٢٨) المصدر السابق، ص: ٥٩.

(٢٩) المصدر السابق، ص: ٥٩.

(٣٠) المصدر السابق، ص: ٦٠ وهذه الظاهرة شاملة ولا تخص منطقة كركوك وحدها، بل أنها أكثر وضوحاً في المناطق الأخرى من كردستان.

(٣١) المصدر السابق، ص: ٦١.

١- عشيرة هموند: عشيرة كردية تسكن قرى قضاء چمچمال وجبل طاسلوجة وجبل قره حسن وبعض جهات مدينة كركوك، ويسكن قسم منها على ضفاف نهر (داقوق صو). ثم يذكر الكتاب أنها من العشائر الكبيرة والمهمة في هذه المناطق، ويتفرع منها أفخاذ، ومن أشهر رؤسائها ورجالها المعاصرين، محمد أمين آغا بن فقي قادر وأمين آغا رشيد آغا ويونس آغا محمود خضر آغا وغيرهم.<sup>(٣٢)</sup>

٢- عشيرة طالباني: وهي عشيرة كردية عريقة تشتهر بتمسكها بتقاليدها الموروثة وبحرصها الشديد في المحافظة على مكانتها المحترمة، وهي تمن بوشائج القربى إلى عشيرة (زهكنه) المعروفة، وجاء في الكتاب أيضاً أنه «نبت من هذه العشيرة رجال كثيرون في الأدب والعلم والسياسة، فمنهم من خلد التاريخ ذكره، ومنهم من لا تزال البلاد تتمتع بمزاياه وخدماته الطبية»<sup>(٣٣)</sup> ومن أشهر رجالها الشيخ حبيب الطالباني - الذي كان يشغل منصب رئيس بلدية كركوك منذ عام ١٩٣٤م- والشيخ جميل الطالباني القادري الرئيس الروحاني الأكبر للعشيرة وللطريقة القادرية، والشيخ حسيب الطالباني والسيد حسن الطالباني متصرف لواء السليمانية والشيخ وهاب الطالباني الذي انتخب عضواً في مجلس الأمة لأكثر من مرة والشيخ فيض الله الاطالباني، ويسكن معظم أفراد هذه العشيرة في قضاء داقوق وناحية قادر كرم وناحية ليلان (قره حسن) التابعة لمركز قضاء كركوك.<sup>(٣٤)</sup>

٣- عشيرة العبيد: قبيلة عربية تنتمي إلى (زبيد)، وقد نزحت إلى العراق منذ أربعة قرون واستوطنت أراضي الجزيرة على ضفاف نهر الفرات الأعلى غير أن كثرة مصادماتها مع قبيلة (شمر) اضطرتها إلى النزوح إلى ضفاف دجلة في ناحية (الملحة) وفي مناطق أخرى من لوائي بغداد وديالي، ويرأسها الشيخ محمد صالح الحسين العلي وأخوه الشيخ عاصي الحسين العلي<sup>(٣٥)</sup>

٤- عشيرة جاف: عشيرة كردية رحالة تشغل حلياً معظم الأراضي الممتدة من حلبجة إلى كفري وقره تبه، وهي عشيرة معروفة بفروسيتها وشجاعته وتعد من اكبر العشائر

(٣٢) المصدر السابق، ص: ٦١-٦٣.

(٣٣) المصدر السابق، ص: ٦٢.

(٣٤) المصدر السابق، ص: ٦٢.

(٣٥) ص: ٦٣-٦٤، كانت هذه العشيرة رحالة وتم توطينها في سهل الحويجة بعد اكمال مشروع ري الحويجة في نهاية الأربعينات؛ للمزيد من التفاصيل حول مشروع ري الحويجة وسكني عشائر العبيد والجبور وأبو محمد العربية فيها، راجع مؤلفنا المشار إليه سابقاً، منطقة كركوك، ص: ٥١-٥٦.

الكردية، ومن أشهر رؤسائها في لواء كركوك كريم بك الرئيس الأكبر لها ومحمد أمين بك أكبر أنجاله وداود بك الذي انتخب نائباً عن لواء كركوك أكثر مرة<sup>(٣٦)</sup>

٥- عشيرة داوده: عشيرة كردية تسكن قضاء داقوق وفي ناحيتي قادر كرم وطوزخورماتو وفي غربي قضاء كفري في السهل الممتد إلى سفح جبل حميرين، وتعيش هذه العشيرة على الزراعة والرعي، وقد اشتهرت بجودة الحنطة التي تنتج في مزارعها فسميت باسم «الحنطة الدواودية»<sup>(٣٧)</sup>

٦- عشيرتا برزنجه وكاكة بي: عشيرتان كرديتان ترتبط احدهما بالأخرى برابطة اللواء، لأن عشيرة كاكة بي تخضع لنفوذ سادات برزنجه، وتسكن العشيرتان قضاء داقوق وبعض جهات مدينة كركوك وفي الأراضي الممتدة بين جبل بر أنان ونهر خاصة صو، كما أن عدداً من سادات (برزنجه) يسكنون ناحية (سكاو) التابعة لقضاء جمجمال، ومن أشهر رؤساء عشيرة كاكة بي فتاح بك خليل بك كاكة بي.

وذكر الكتاب أسماء عشائر أخرى تسكن اللواء، وهي (البيات) وهي عربية وتسكن ناحية طوزخورماتو وبعض جهات قضاء كفري وناحية قره تبه<sup>(٣٨)</sup> وعشيرة (شوان) وهي كردية تسكن ناحية (شوان) التابعة لقضاء مركز كركوك وناحية (آغلر) التابعة لقضاء جمجمال<sup>(٣٩)</sup> وعشيرة (زنكنه) وهي كردية تسكن ناحية (قادر كرم) وتربطها صلة القرابة بعشيرة (طالباني)<sup>(٤٠)</sup> وعشيرة (الجبور) وهي عربية تسكن ناحية (الملحة) وناحية قره تبه، وعشيرة (شيخان) وهي كردية تسكن ناحية (قادر كرم)، وعشيرة (جباري) وهي كردية تسكن ناحية قادر كرم، وعشيرة (الكروي) وهي عربية تسكن بعض قرى ناحية قره تبه<sup>(٤١)</sup>.

ويفرد الكتاب أيضاً عنواناً خاصاً للتقسيمات الادارية في اللواء الذي يشتمل على أربعة أقضية واحدى عشرة ناحية على النحو الآتي:

(٣٦) المصدر السابق، ص: ٦٤ - ٦٥.

(٣٧) المصدر السابق، ص: ٦٥.

(٣٨) هذه العشيرة مغولية الأصل تم توطينها في منطقة (عيلام) بعد الغزو المغولي للمنطقة، ثم تم توطينها في السهولة التي تقع شمالي جبل حميرين في العهد الصفوي، واستوطن بعضهم مناطق أخرى من العراق.

(٣٩) دليل تاريخ مشاهير الألوية العراقية، الجزء الثاني الخاص بلواء كركوك، المرجع المشار إليه آنفاً، ص: ٦٦.

(٤٠) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٤١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

- ١- قضاء مركز كركوك، ومركز مدينة كركوك وتتبعه نواحي (ألتون كوبري/ بردي) ومحلة (حويجة) وشوان (ريدار) وقره حسين (ليلان).<sup>(٤٢)</sup>
- ٢- قضاء كفري، ومركز قصبه كفري وتتبعه نواحي قره وبيياز (باوه نور) وقلعة شيروانة (سر قلعة)<sup>(٤٣)</sup>
- ٣- قضاء داقوق، ومركزه قصبه داغقوق، وتتبعه ناحيتا طورزخوماتو وقادر كرم<sup>(٤٤)</sup>
- ٤- قضاء چم چمال، ومركز قصبه چم چمال، تتبعه ناحيتا سنكاووأعجلر<sup>(٤٥)</sup>
- وورد بخصوص نواحي وأقضية اللواء معلومات تتعلق بمواقعها جغرافياً بالإضافة إلى أوضاعها السكانية والبيئية:

**١- قضاء كركوك:** وتتبعه أربع نواح ادارية هي «ألتون كوبري» و«ملحة» و«شوان» و«قره حسن». ففيما يتعلق بناحية «ألتون كوبري» ومركزها قصبه «ألتون كوبري»، فقد جاء في الكتاب أنها تقع على مسافة ثلاثين ميلاً شمالي مدينة كركوك وتقع على الطريق العام بين كركوك وأربيل ثم الموصل<sup>(٤٦)</sup> أما ناحية الملحة فمركزها قرية «ملحة» الواقعة على الضفة الجنوبية (اليسرى) من نهر الزاب الصغير، على مسافة ثلاثين ميلاً شمال غربي لمدينة كركوك، وتتألف معظم أراضي هذه الناحية من سهل منبسّط واسع ينحصر بين نهر الزاب الصغير ونهر دجلة وسفح جبل حميرين، إلا أن اعتمادها على الأمطار قلل كثيراً من أهميتها الزراعية، لذلك بدأت الحكومة بإنشاء مشروع روائها بمياه الزاب، فأوجدت مشروع ري الحويجة الذي أنجز الكبير منه لدى اعداد هذا الكتاب<sup>(٤٧)</sup> ثم يضيف مؤلفو الكتاب « أن

(٤٢) المصدر السابق، ص: ٦٩، تحولت ناحية «ملحة» إلى قضاء الحويجة عام ١٩٦٢ وتتبعه حالياً ناحيتان اداريتان هما الرياض والباسية.

(٤٣) ألحق النظام البعثي عام ١٩٧٦ قضاء كفري بمحافظة ديالى، وتخضع حالياً قصبه كفري وبعض النواحي التابعة لها للإدارة الكردية في كردستان منذ نهاية عام ١٩٩١.

(٤٤) نقل مركز القضاء من قصبه داقوق إلى قصبه طوزخورماتو، ويتبع قضاء طوزخورماتو محافظة صلاح الدين (تكريت) منذ عام ١٩٧٦ رغم بعده الكثير عن المحافظة المستحدثة من قبل النظام البعثي.

(٤٥) يقع قضاء چم چمال مع ناحيتي سنكاووأعجلر التابعتين له ضمن المنطقة المحررة من كردستان منذ عام ١٩٩١.

(٤٦) دمر النظام العراقي جميع القرى التابعة لهذه الناحية، وجميعها كردية ويبلغ عددها (٣١) قرية.

(٤٧) حول كيفية انشاء مشروع ري الحويجة لتوطين العشائر العربية فيها، راجع مؤلفنا المشار إليه آنفاً «منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعه القومي» ص: ٥١-٥٦.

أكثرية السكان في هذه الناحية من أبناء العشائر الذين تحضر قسم منهم في الآونة الأخيرة بعد احداث مشروع الحويجة»<sup>(٤٨)</sup>

وبصدد عدد نفوس أبناء هذه الناحية، جاء في الكتاب أنه «عدا نفوس أفراد عشائر العبيد الذين لم يتم تسجيلهم بعد، فيقدر نفوس الناحية بنحو ٢٥٠٠٠ نسمة، وأهم العشائر التي تسكن هذه الناحية - عدا عشيرة العبيد- الجبور وألبو حمدان وأفراد من عشيرة ألبو جحش والجميلة، وكلها عربية، أما القسم الشمالي الشرقي فسكانه خليط من الأكراد والعرب وبعض العلاقات التركية»<sup>(٤٩)</sup> والناحية الادارية الثالثة التي تتبع قضاء كركوك هي «قره حسن» أو «ليلان» التي تبعد عن جنوب شرقي مدينة كركوك بنحو (١٥) ميلاً وتتبعها أكثر من خمسين قرية يمتاز أكثرها بأهمية زراعية خاصة لوقوعها وسط أراضٍ عظيمة الخصب وافرة الانتاج<sup>(٥٠)</sup> ويسكن هذه الناحية «عدا التركمان، قسم من عشائر الطالباني وبرزنجه وأفراد قلائل من العبيد والجبور والبيات والشيوخان، ويقدر عدد نفوس الناحية بنحو (١٤٠٠٠) نسمة»<sup>(٥١)</sup> أما ناحية «شوان» أو «ديدار» فتتألف من نحو (٨٠) قرية زراعية، ومركزها قرية شوان، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى عشيرة شوان الكردية التي تسكنها<sup>(٥٢)</sup>

**٢- قضاء كفري:** مركزه قصبه كفري التي تبعد عن جنوبي مدينة كركوك بمسافة (٧٨) ميلاً وهي مشيدة على سفح جبل «بابا شاسوار» وكانت القصبه تعرف في العهد العثماني بـ«الصلاحية»<sup>(٥٣)</sup> ويبلغ عدد سكان القصبه زهاء ستة آلاف نسمة، معظمهم تركمان والباقون

(٤٨) كان أبناء العشائر العربية الذين تم توطينهم في أراضي سهل الحويجة بعد احيائها بواسطة مشروع ري الحويجة من الرحل والبدو ولم يكونوا يمتنون الزراعة، لذلك خصصت الحكومة عدداً من المرشدين الزراعيين لتعليمهم كيفية استثمار الأرض وممارسة الطرق الزراعية المختلفة، وقد بلغ عدد نفوس أبناء عشيرة العبيد الذين تم توطينهم في سهل الحويجة بموجب الاحصاء الرسمي لعام ١٩٥٧م حوالي (١١٠٠٠) نسمة، وبلغ عدد نفوس عشيرة الجبور بموجب الاحصاء نفسه (١٢٩٩٥) نسمة، وأبناء عشيرة ألبو حمدان حوالي (٢١٤٠) نسمة، بذلك بلغ مجموع أفراد العشائر العربية التي استوطنت ناحية الحويجة (٢٧٧٠٥) نسمة بموجب احصاء عام ١٩٥٧م، وجعلت الحكومة من الناحية قضاء يحمل اسم قضاء الحويجة، مؤلفنا المشار إليه آنفاً، ص: ٥٣-٥٤.

(٤٩) دليل مشاهير الألوية، المصدر السابق، ص: ١٠٧.

(٥٠) دليل مشاهير الألوية، المصدر السابق، ص: ١٠٧.

(٥١) دليل مشاهير الألوية، المصدر السابق، ص: ١٠٧.

(٥٢) المصدر السابق، ص: ١٠٨.

(٥٣) المصدر السابق، ص: ١٠٨.



أكراد، وفيها نحو ٥٠٠ دار<sup>(٥٤)</sup> وأشهر العائلات في هذه البلدة هي عائلة السادات وبابان وعائلة الوندوي<sup>(٥٥)</sup> ويتألف قضاء كفري من ثلاث نواح هي قره تبه وقلعة شيروانه وبيبان. تقع ناحية «قره تبه» قرابة (٢١) ميلاً جنوب غربي قصبه كفري، ويبلغ عدد سكانها زهاء ١٧٠٠٠ نسمة، معظمهم من أبناء العشائر، واهم تلك العشائر هي الجبور والكروي (العربية) والبيات التركمانية) والجاف وزنگنه وبالاني (الكردي)<sup>(٥٦)</sup> أما ناحية شيروانه فمركزها قرية «شيروانه» الواقعة على الضفة الغربية (اليمنى) من نهر سيروان (ديالى)، على مسافة نحو (٢٥) ميلاً جنوب شرقي قصبه كفري، وترتبط بها أكثر من (١٢) قرية. ومعظم سكان هذه الناحية من عشيرة الجاف الكردية<sup>(٥٧)</sup> والناحية الثالثة التابعة لقضاء كفري هي ناحية بيبان ومركزها قرية تحمل الاسم نفسه تقع على الضفة الغربية (اليمنى) من نهر سيروان (ديالى)، وأكثر سكانها من أبناء العشائر الكردية<sup>(٥٨)</sup>

**٣- قضاء داقوق:** مركزه قصبه داقوق الواقعة على الضفة الشمالية (اليمنى) من نهر داقوق، وتقع على الطريق العام بين كركوك - بغداد، وتتبعه قصبه داقوق التي تبعد بمسافة (٢٨) ميلاً عن مدينة كركوك، ويبلغ عدد نفوس القضاء زهاء (٦٠٠٠٠) نسمة، ويحتوي القضاء على ناحيتين هما: طوزخورماتو وقادر كرم<sup>(٥٩)</sup>

أما ناحية طوزخورماتو فمركزها قصبه نفس الاسم وتبعد عن جنوبي قصبه داقوق بنحو (٢٠) ميلاً و عن جنوب مدينة كركوك بنحو (٤٨) ميلاً وتعد منطقتها من أغنى بقاع العراق بالنفط، وهي داخلة ضمن الأراضي التي يشملها امتياز شركة نفط العراق IPC ويقدر عدد سكان هذه الناحية بـ(٢٣٠٠) نسمة واهم العشائر التي تسكنها هي: البيات، الداوده، وافراد من العشائر الأخرى والناحية الثانية هي «قادر كرم» ومركزها قرية قادر كرم الواقعة في

(٥٤) المصدر السابق، ص: ١٠٨.

(٥٥) المصدر السابق، ص: ١١٠.

(٥٦) المصدر السابق، ص: ١١١.

(٥٧) المصدر السابق، ص: ١١١، وتحمل الناحية اسماً آخر وهو «سر قلعة».

(٥٨) المصدر السابق، ص: ١١١، وللناحية اسم آخر وهو «باوه نور».

(٥٩) المصدر السابق، ص: ١١٢، انتقل مركز القضاء إلى قصبه «طوزخورماتو» في نهاية الأربعينات، وبذلك تحولت داقوق إلى مجرد ناحية تتبع قضاء طوزخورماتو، وفي عام ١٩٧٦م، الحق النظام العراقي قضاء طوزخورماتو بمحافظة صلاح الدين أي تكريت رغم بعدها الكثير عنها، بسبب وجود النفط فيها، كما الحق النظام ناحية داقوق بمركز قضاء كركوك ثم جعل منها قضاء.

سهل «روخانه» على بعد (٥٠) ميلاً تقريباً جنوب شرقي مدينة كركوك. وتسكن الناحية عشائر زنگنه وشيخان وجباري وطالباني.<sup>(٦٠)</sup>

**٤- قضاء جم جمال:** مركزه قسبة «جم جمال» التي تبعد عن مدينة كركوك بمسافة (٣٣) ميلاً وهي تقع على الطريق الرئيسي بين كركوك والسليمانية، وأهم العشائر التي تسكنها هي: هموند وبرزنجه وقسم قليل من الجاف وشوان وغيرها من العشائر الأخرى الكردية أيضاً، ويقدر عدد سكان القضاء بنحو (٤٠٠٠٠) نسمة، ويتألف القضاء من ناحيتي سنكاو وأعجلر<sup>(٦١)</sup>. أما ناحية (سنكاو) فمركزها قرية (كوك تبه) التي تبعد عن قسبة جم جمال بمسافة (٣٨) ميلاً ويمر بها سريع الجريان، أما ناحية «أعجلر» فمركزها أيضاً قرية بهذا الاسم تبعد عن شمال شرقي قسبة جم جمال بمسافة (٢٥) ميلاً.

وورد في الكتاب أيضاً عنوان خاص بـ«الأمن في اللواء»، مع سرد معلومات عن رجالات الشرطة وتشكيلات دائرة الشرطة وملاك الشرطة الذي كان يضم مديراً للواء مع (٤) معاونين و (٢٥) مفوضاً و (٧١٤) شرطياً من مختلف الرتب والأصناف<sup>(٦٢)</sup> أما العنوان الخاص بـ«المعارف» -أي التربية- في اللواء، فقد ورد فيه أن في اللواء (٦٩) مدرسة من مختلف الدرجات والأنواع، وبلغ عدد التلاميذ في هذه المدارس (٦٧٠٠) تلميذ في (٤٣) مدرسة خاصة بالبنين و (١١) مدرسة للبنات و (٤) مدارس بالأحداث، مع مدرسة ثانوية واحدة للبنين ومدرسة متوسطة للبنات ومدرسة للصناعة، وثانوية أهلية وعدد من المدارس الأهلية<sup>(٦٣)</sup> ويتضمن العنوان الخاص بالصحة معلومات عن عدد الأطباء والمستشفيات والمستوصفات في اللواء، وقد بلغ مجموع عدد الأطباء ثمانية فقط، ستة منهم عراقيون واثنان مصريان، ويوجد في مدينة كركوك مستشفى مدني وأخرى للعزل مع (٢٢) مستوصفاً في المدينة وفي القصبات التابعة للواء<sup>(٦٤)</sup> وورد في العنوان الخاص بالأوقاف والاماكن المقدسة في اللواء، أن عدد

(٦٠) المصدر السابق، ص: ١١٣ . يلاحظ أن معظم القرى الكردية في قضاء طوزخورماتو قد دمرت وتعرض سكانها لعماليات الأتفال السيئة الصيت، أما القرى القريبة من الطريق العام بين كركوك- بغداد والقرى الواقعة على الضفة اليسرى منها، فقد أجبر سكانها على الرحيل منها وتم توطين العشائر العربية التي جلبت من وسط وجنوب العراق فيها؛ للمزيد من التفاصيل، راجع مؤلفنا المشار إليه آنفاً، ص: ٩٣-٩٧.

(٦١) المصدر السابق، ص: ١١٥.

(٦٢) المصدر السابق، ص: ١١٥.

(٦٣) المصدر السابق، ص: ٧٣ - ٧٥.

(٦٤) المصدر السابق، ص: ٧٨.

المراقد المقدسة في اللواء هو (٨) مع سبع تكايا و (٢٢) جامعاً مع (٢١) مسجداً. وذكر في الكتاب أيضاً أسماء الآثار التاريخية في اللواء، من اسلامية ومسيحية، بالإضافة إلى الاطلاع ذات الآثار التاريخية القديمة التي جرت فيها أعمال الحفر والتنقيب<sup>(٦٥)</sup> وخصص الكتاب عنواناً خاصاً بمدينة كركوك، حيث ورد فيه أنها تنقسم إلى قسمين: أحدهما قديم جداً وهو «القلعة»، والآخر حديث وهو «القورية».

وأورد مؤلفو الكتاب بصدد القلعة معلومات تاريخية مقتضبة وغير وافية، مستشهدين بمخطوطتين باللغة السريانية جاء فيهما «أن سردنابال ملك الآشوريين هو الذي أنشأ هذه المدينة (القلعة) قبل نحو سبعة وعشرين قرناً»

وتعرضت لاحقاً لغزو الاسكندر الأكبر «الذي قضى على نفوذ الفرس فيها وأصبحت جزءاً من ممتلكاته، فأمر بإقامة سور فخم لقلعتها وجعل لها ٦٥ برجاً، ووسع عمارتها، ثم جاء بعشائر كثيرة وأسكنها حول السور»<sup>(٦٦)</sup> وجاء في الكتاب أن المدينة انتقلت «من حكم السلوقيين إلى أيدي البرثيين سنة ٢٥٦ ق. م، وبقيت تحت حكمهم إلى أن قضى الساسانيون على دولتهم عام ٢٢٧ للميلاد، أصبحت كركوك من ضمن أملاك الدولة الساسانية، وانتقلت كركوك إلى أيدي العرب المسلمين إلى أن اكتسح المغول بلاد المسلمين، فأصبحت كركوك تحت حكمهم، فأصابها الخراب والدمار، ثم انتقلت إلى أيدي الجلائريين ثم في يد تيمورلنك، ثم وقعت في دائرة حكم الخروف الأسود والخروف الأبيض، ثم الصفويين حتى وقعت أخيراً في أيدي العثمانيين في أوائل القرن السادس عشر، ثم في أيدي الإنكليز في أواسط عام ١٩١٨م»<sup>(٦٧)</sup> ويكشف لنا هذا السرد السريع أن كركوك والمنطقة بأسرها قد تعرضت للغزو والاحتلال الأجنبي خلال فترات طويلة إلى أن حددت مصيرها نهائياً وزارة المستعمرات البريطانية في نهاية الحرب العالمية الأولى، وذلك بالحاقها بالملكة العراقية كجزء من ولاية الموصل العثمانية في نهاية عام ١٩٢٦م. وقد سبق لها أن شكلت هذه المملكة في أواسط ١٩٢١م، ثم جلبت الأمير فيصل بن الحسين من الحجاز ونصبته ملكاً عليها بعد إجراء عملية استفتاء صورية بين السكان لقبوله ملكاً عليها<sup>(٦٨)</sup>.

(٦٥) المصدر السابق، ص: ٨٦ - ٩٠.

(٦٦) المصدر السابق، ص: ٩٢.

(٦٧) المصدر السابق، ص: ٩٢ - ٩٤.

(٦٨) خالد الموسوي، ظهور الدولة العراقية الحديثة وتركيبه النظام الملكي المستورد، صحيفة «الاتحاد» الأسبوعية، العدد ٤١٦ في ١٣ نيسان ٢٠٠١م، ص: ٦.

أما القسم السهلي ضمن مدينة كركوك فيعرف باسم «القورية»، وهو حديث العهد وبدأ العمران فيه في أوائل القرن الثامن عشر، وقد استمد أسم «القورية» من قرية كانت تحمل نفس الاسم<sup>(٦٩)</sup> وكانت كركوك تدار بعد استيلاء العثمانيين عليها بموجب نظام اقطاعي «ده ره بكي»، حيث يتولى «متسلم» ادارتها مقابل رسوم مقطوعة<sup>(٧٠)</sup> ولما الغي نظام الحكم الاقطاعي عام ١٨٤٠م، أنيطت ادارة كركوك بولاية شهرزور، وكانت مدينة كركوك مركزاً لها، وفي عام ١٨٩٧م أصبحت هذه الولاية سنجقاً أي متصرفية ألحقت بولاية الموصل<sup>(٧١)</sup> وقبيل الحرب العالمية الأولى كانت هذه المتصرفية تضم اقصية: كركوك، أربيل، رانية، رواندن، كويسنجق وكفري<sup>(٧٢)</sup> ويصف الكتاب أيضاً الحالة العمرانية في مدينة كركوك ويقول: «أن عدد بيوت المدينة يبلغ زهاء ثمانية آلاف بيت، عدد سكانها أكثر من ستين ألفاً يتكلم معظمهم التركية والكردية، أما القلائل الذين يتكلمون اللغة العربية من سكان المدينة الأصليين فرنتمهم عظيمة جداً، وقد زادت في السنوات الأخيرة نسبة السكان العرب الذين هاجروا إلى هذه المدينة من شتى أنحاء البلاد للأشتغال في منابع النفط»<sup>(٧٣)</sup> ويعدد مؤلفو الكتاب بعد ذلك أسماء أهم الشوارع الرئيسية في المدينة وعددها (١٨) شارعاً<sup>(٧٤)</sup> أما الصفحات من ١٠٤ إلى ١١٥ من الكتاب، فمكرسة لأقصية اللواء ونواحيه، مع الاشارة إلى اشهر الأماكن المقدسة فيها وأهمية هذه الاقصية والنواحي من الوجهتين الزراعية والتجارية.

ويخصص الكتاب الصفحات المتبقية من الكتاب (١١٩ - ٢٦٨) لبيان تراجم رؤساء

(٦٩) دليل تاريخ مشاهير الألوية، مصدر سابق، ٩٤.

(٧٠) المصدر السابق، ص: ٩٥.

(٧١) المصدر السابق، ص: ٩٥، وقد سجل لنا هذه الواقعة التاريخية الشاعر الكردي المشهور الشيخ رضا طالباني (١٨٣٥ - ١٩١٠م) الذي كان ينظم الشعر باللغات الكردية والتركية والفارسية والعربية، فقد قال في بيت شعر له باللغة التركية:

موصل اولدي ولايت، نافع أفندي والي ويل لكم رعية، كول باشوه أهالي أي أن الموصل أصبحت مركزاً للولاية، وأصبح نافع أفندي والياً لها، فالويل للرعية وليطمر الناي رؤوسهم بالطين! ويقال أن الشاعر كان يعرف الوالي نافع أفندي عندما كان في كركوك وقد كان معروفاً بقساوته وفساده، راجع عطا ترزي باشي المحامي، شعراء كركوك (باللغة التركية)، ج٢، مطبعة الجمهورية، كركوك ١٩٦٨م، ص: ١٤٤ - ١٤٥.

(٧٢) المصدر السابق، ص: ٩٥.

(٧٣) المصدر السابق، ص: ٩٨، وراجع أيضاً كتاب الدكتور أحمد نجم الدين عن أحوال السكان في العراق، المشار اليه سابقاً.

(٧٤) المصدر السابق، ص: ١٠١ - ١٠٣.

الوحدات الادارية والدوائر الأخرى وهيئة الموظفين في اللواء. ويتبين أن معظم كبار موظفي اللواء هم من العرب ومن خارج اللواء كالمصرف (المحافظ) الحالي والسابق ومدير تحريرات اللواء ، ضابط تجنيد المنطقة، وقاضي كركوك الشرعي، ورئيس دائرة تسوية حقوق الأراضي في اللواء ومعاونه ومدير الطابو، ومدير أموال القاصرين، ورئيس الصحة مع ستة من الأطباء من مجموع ثمانية، ومدير شرطة اللواء مع عدد من مفوضي الشرطة في الأفضية والنواحي، ومدير المعارف (التربية) مع عدد من منتسبي دائرته، ومهندس البلدية ومفتش المنتجات المحلية ومعاون مهندس أشغال المنطقة في كركوك وعدد من منتسبي الدائرة المذكورة، وملاحظ نفوس اللواء، وملاحظ العمل والضمان الاجتماعي في المنطقة الشرقية ومركزها كركوك، ومفتش شؤون العمل في هذه الدائرة، وأمور الكمر، بالاضافة إلى عدد آخر من موظفي اللواء لا مجال لسرد عناوين وظائفهم.

ويتبين من سرد تراجم جميع هؤلاء الموظفين العرب انهم من مواليد الألوية (المحافظات) العربية في العراق، وان وجودهم في كركوك سببه كونهم موظفين فيها وليس بسبب انتمائهم اللواء، فهم يقطنون فيه بسبب وظيفي. لكن رئيس البلدية كردي، وكذلك معظم الحكام (القضاة) ورؤساء الوحدات الادارية في الأفضية والنواحي.

وخصص الكتاب الصفحات المتبقية منه (٢٦٩-٣٧٤) لسرد تراجم أبناء اللواء من زعماء وأعيان ومشاهير الأسر القديمة والوجوه والأشراف ورؤساء العشائر والتجار في اللواء<sup>(٧٥)</sup> ويلاحظ أن مؤلفي الكتاب في سردهم لتراجم رؤساء الأسر التركية في كركوك من آل النفطجي وأوجي وبيريادي قد استندوا إلى المعلومات التي زدوا بها من رؤساء تلك الأسر، وقد أقروا جميعاً أن أجدادهم قد قدموا إلى المنطقة برفقة السلطان العثماني مراد الرابع في حملته المشهورة لاسترداد العراق من الصفويين، فقد ورد في الكتاب بخصوص آل النفطجي وعلى لسان هذه الأسرة «أن نسبها ينتمي إلى قبيلة تركية كانت تسكن أسيا الصغرى (الأناضول)، ثم هاجر بعض أفرادها إلى العراق»<sup>(٧٦)</sup>.

ثم يضيف رئيس هذه الأسرة أن أجدادهم اصبحوا موضع ثقة سلاطين آل عثمان، فعهدوا اليهم بأرفع مناصب الحكم في لواء كركوك وهو منصب المتسلمية أي الادارة<sup>(٧٧)</sup> ووردت التأكيدات ذاتها من رؤساء أسرة أوجي حيث ذكر رئيسها أنه لا يزال يعيش في

(٧٥) المصدر السابق، ص: ٢٦٩.

(٧٦) المصدر السابق، ص: ٢٨٤.

(٧٧) المصدر السابق، ص: ٣٠١.

مدينة قونيه التركية أفراد من أسرته، «وقد قدم جدهم الأكبر أيضاً إلى العراق مع السلطان العثماني مراد الرابع».

وفي هذه الموسوعة شرح واسع عن العشائر والأسر العربية التي تقطن لواء كركوك، كعشائر العبيد في سهل الحويجة جنوب غربي اللواء، والكروي في سهل قره تبه جنوب كفري، وأسرة النكريتي التي تعيش في مدينة كركوك، ويدهي رؤساء الأسرة التكريتية في كركوك أن جدهم الأكبر قد قدم إلى العراق عام ١٠٤٨ للهجرة برفقة السلطان العثماني مراد الرابع الذي استعان به واصطحبه معه في حملته التي قام بها لاسترجاع العراق من الفرس»<sup>(٧٨)</sup>

وقد كافأهم السلطان «بمنحهم عدة قرى وأراض زراعية في منطقتي كركوك وتكريت، لقاء أعمالهم غير أن السلطان عبد الحميد الثاني انتزعها منهم وضمها إلى أملاكه السنية»<sup>(٧٩)</sup>

إن هذه الموسوعة التي ألفها نخبة من الكتاب والمختصين العرب في العراق قبل أكثر من نصف قرن من الزمان و تتضمن معلومات دقيقة عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والادارية والاقتصادية في منطقة كركوك، فضلاً عن سردها تراجم لكبار رجالات ومشاهير الناس والأسر والعشائر الموجودة فيها.

وتبين فائدة هذه الموسوعة لدى إجراء مقارنة بين الأوضاع التي كانت قائمة في المنطقة عام ١٩٤٧م، وما آلت إليه منذ أن بدأ النظام العراقي بممارسة حملات الإبادة والتطهير العرقي فيها بهدف تغيير الواقع القومي والسكاني فيها عن طريق القوة والاكراه، أن هذه الموسوعة العراقية تعتبر مصدراً علمياً مهماً يجب الاعتماد عليها لتحديد الحالة القومية في منطقة كركوك، وتبرز أهمية هذه الموسوعة أيضاً في أن مؤلفيها جميعاً هم من العرب المختصين الذين اجروا دراسات ميدانية في المنطقة واتصلوا بالناس، من رسميين وغير رسميين، ومن أبناء المدينة والقصبات ورؤساء العشائر والسكان في الريف أيضاً، وهذا فضلاً عن جمعهم لمعلومات تاريخية استقوها من أمهات الكتب والمصادر العلمية. وقد تم تأليف الكتاب بايعاز من ممثلي السلطة ومساندتها في بغداد وكركوك أيضاً، لذلك لا يمكن التشكيك في المعلومات الواردة فيه، ومع ذلك فقد جاء الكتاب خالياً عن معلومات تفصيلية تتعلق بالحالة الاجتماعية في اللواء، كما لم يسرد أي احصاء عن الحالة الاثنية فيه، ولم يشر إلى كون معظم رؤساء الدوائر من أبناء الألوية الأخرى، وإن الدراسة الابتدائية هي بالعربية وحدها، وغير ذلك من الحقوق الطبيعية التي تم اشتراطها لدى قبول العراق عضواً في عصبة

(٧٨) المصدر السابق، ص: ٢٨٩.

(٧٩) المصدر السابق، ص: ٢٨٩.

الأمم والتزمت الدولة العراقية بتبنيها في جميع مناطق كردستان.

لقد أكد باحث عربي منصف على أن حملات الترحيل الاجباري لأبناء منطقة كركوك من كرد وتركمان وكردو- آشوريين والتي بلغت ذروتها بعد عودة حزب البعث إلى السلطة في العراق عام ١٩٦٨م، هي «عمليات قسرية واصطناعية ومرفوضة لأنها تقوم على التغيير الديموغرافي بالعنف والقوة والإبعاد والتهجير واستقدام سكان عرب عن طريق الأموال والاعراض، وكلها مرفوضة في القوانين الدولية والدساتير العالمية - ثم أضاف- أنه ينبغي في أي اتفاق بين المركز و كردستان تصحيح الأمور واعادتها إلى وضعها الأولي الطبيعي»<sup>(٨٠)</sup>

ذلك «أن المعطيات التاريخية والواقعية والسكانية تؤكد أن كركوك تتكون من الأكراد (وهم الأكثرية) والتركمان ومن ثم العرب». وتؤيد هذه الحقيقة الاحصاءات الرسمية التي أجرتها الحكومات العراقية خلال عامي ١٩٤٧م و ١٩٥٧م، أما الاحصاءات التي نظمها النظام العراقي بعد ذلك، فهي مرفوضة لأنها نظمت بعد عمليات الترحيل الجماعية للكرد، ثم توطين عشرات الألوف من العرب في ديارهم، وذهب النظام إلى حد اجبار غير العرب في كركوك على تغيير انتماءاتهم القومية، حيث وزعت عليهم استثمارات خاصة أعدت لهذا الغرض، وفي حالة عدم ملئها من قبلهم فانهم يطردون من ديار آبائهم وأجدادهم، ووجود أكثر من ١٠٨٠٠٠ كردي من أبناء منطقة كركوك في المناطق المحررة من كردستان كلاجئين» فيها يؤيد ممارسات النظام الذي دأب على طرد الكرد والتركمان والاشوريين من كركوك والمناطق الأخرى من كردستان الخاضعة لسلطته لحد الآن.<sup>(٨١)</sup>

(٨٠) الدكتور حسن الحلبي، العلامة المتكافئة في الدولة الواحدة تقضي على أسباب الانفصال، جريدة الحياة، العدد ٩٩٩، ١٠ في ٢٣ آذار ١٩٩٣م.

(٨١) راجع المذكرة التي أعدها «مركز كركوك للدراسات والبحوث» في لندن في ٢٩ / ١٢ / ٢٠٠٠ والتي قدمت إلى الهيئات الدولية ولعدد كبير من الدول والمنظمات ومراكز البحوث المهتمة بقضايا حقوق الانسان في العالم، والمنشورة باللغة الانكليزية في مجلة «دراسات كردستانية» التي تصدر في السويد، المجلد الخامس، آذار (مايس) ٢٠٠١، ص: ٤٧





## التكوين الإثني لسكان كركوك

" خلال الفترة ١٨٥٠ - ١٩٥٨ "

الدكتور جبار قادر

كاتب وباحث كردي من العراق - هولندا

تعرضت كركوك خلال تاريخها الطويل لغزو العديد من القوى والإمبراطوريات التي حاولت فرض هيمنتها على هذه المدينة والمناطق التابعة لوقوعها على الطريق الإستراتيجي الذي كان يربط شواطئ البحرين المتوسط والأسود بالخليج وطريق الحرير الذاهب إلى أواسط آسيا والصين، وأقامت هذه القوى القلاع والمواقع العسكرية على طول هذا الطريق لحماية قوافلها التجارية وخطوط مواصلاتها العسكرية ووضعت حاميات عسكرية فيها للدفاع عنها والقيام بالحركات العسكرية ضد السكان الجبليين الذي كانوا يغيرون عليها وضد القوى المعادية لها، وقد أدركت هذه القوى ومنذ العصور القديمة الأهمية الاستراتيجية لكركوك وغيرها من القصبات الواقعة على هذا الطريق، وجرت محاولات عديدة من قبل الدول والإمبراطوريات المختلفة على اسكان رعاياها على طول هذا الخط وبخاصة خلال العصر الحديث، وقد نجم عن ذلك تنوعا اثنيا لسكان كركوك والمدن القصبات الواقعة على هذا الطريق.

من المعروف ان كركوك في حدودها التاريخية والجغرافية المعروفة كانت عبر القرون جزءاً من الكيان الكردي، فقد كانت خلال القرون الأخيرة جزءاً من إمارة أردلان الكردية وقد كلف السلطان مراد الثالث أمير الموكريين عام ١٥٨٣م بإدارة إيالة شهرزور التي كانت كركوك مركزاً لها وكانت تتبعها أربيل ومنطقة السليمانية الحالية. ومنذ أواخر القرن السابع عشر أصبحت ضمن ممتلكات الإمارة البابانية التي حلت محل أردلان في الكثير من الأصقاع التي تعرف اليوم بـ كوردستان العراق، وكانت الإمارة البابانية تضم في عصرها الذهبي قه لاجوالان، كركوك، أربيل، كويي، رواندنز، حرير، بانه، كفري، قرهتپه، مندلي، بدره، داوده، عسكر، شوان، چمچمال، قره داغ حتى نهر ديالي، سردشتو مرطه، تشدر، ماوت، الان، طةلاله، ضورتا، سويل، شينك قزلجه، قرهحسن، قصر شرين وزهاو، وقد بلغت الأمانة درجة

من السعة دفعت بلونطريك أن يسميها بامبراطورية السلمانية.<sup>(١)</sup> ولم تلاحظ حتى منتصف القرن التاسع عشر تأثيرات تذكر للعثمنة في كركوك وتوابعها رغم أنها أصبحت رسمياً ضمن ممتلكات الدولة العثمانية بموجب معاهدة اماسيا بين العثمانيين والصفويين عام ١٥٥٥م، أما القبائل التركمانية القزلباشية التي رافقت حملة الشاه عباس الصفوي عام ١٦٢٣-١٦٣٠م وبخاصة حملات نادر شاه الأفشاري خلال ١٧٤٣ - ١٧٤٦م على كركوك وأربيل والموصل والتي تخلف بعضها واتخذت من بعض السهول القريبة من كركوك والموصل مراعي لحيواناتها، فكانت تعادي الدولة العثمانية وتناصر ايران التي كانت الإتنماءات المذهبية والعرقية والاجتماعية توحدتها مع هذه القبائل.

ومع زوال آخر أمارة كردية وهي الإمارة البابانية عام ١٨٥١ كنتيجة للسياسة الجديدة للباب العالي في كردستان، حيث تخلت الدولة العثمانية عن سياستها التقليدية في كردستان والتي كانت تتلخص بابقاء الأمور فيها بأيدي الزعماء المحليين لقاء اعلان التبعية للسلطان وما يترتب على ذلك من ذكر اسمه في خطبة الجمعة وارسل المقاتلين للقتال إلى جانبه وإرسال الهدايا والأموال سنوياً إلى البلاط العثماني، وتبنت سياسة جديدة تقوم على أساس بسط سيطرتها المباشرة على جميع الأقاليم الخاضعة لها.

فتح سقوط امارة بابان الأفاق أمام السيطرة المباشرة للدولة العثمانية في كركوك وغيرها، إلا أن نجاحات العثمانيين في عثمانة سكان كردستان ومنها كركوك كانت لا تزال محدودة جداً حتى أواخر القرن التاسع عشر، اذ يبدو واضحاً من المصادر القليلة التي أشارت بصورة عابرة إلى التركيب القومي لسكان كركوك ان الكرد كانوا لا يزالون يشكلون جمهرة سكانها الأصليين والأساسيين إلى جانب عدد من العوائل المسيحية من الكلدان والأرمن وعدد آخر من اليهود<sup>(٢)</sup> لا توفر المصادر التاريخية المتوفرة معلومات وافية عن التركيب القومي

(١) للمزيد من التفاصيل في هذا الباب راجع المصادر التالية:

Longigg S. H, Four Centuries of Modern of Modern Iraq Oxford, 1925

محمد أمين زكي، تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة ١٩٤٨. وكذلك: أ.ي. اي، فاسيليفا، كردستان الجنوبية الشرقية خلال القرن السابع عشر وحتى بداية القرن التاسع عشر، لمحات من تاريخ امارتي أردن وبابان، موسكو ١٩٩١.

(٢) تشير الموسوعة اليهودية إلى تواجد اليهود في كركوك خلال القرون الأربعة الأخيرة وقدرت عددهم بـ ٢٠٠ عائلة في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والذين كانوا يسكنون حياً خاصاً بهم وساعدوا مع مسيحيي المدينة الإنجليز عام ١٩١٨م لاحتلال المدينة، وقد بلغ عدد اليهود في كركوك عام ١٩٤٧م حسب المعطيات الواردة في الموسوعة اليهودية ٢٣٥٠ شخصاً وهاجروا جميعاً من كركوك عام ١٩٥٠-١٩٥١م. حول عدد اليهود ودورهم في كركوك.

لسكان كركوك وغيرها من المدن والقصبات الواقعة على هذا الطريق خلال العصور التاريخية المختلفة، ولكننا ومنذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر نجد اشارات متفرقة في المصادر التاريخية إلى التكوين الأثني لسكان كركوك وغيرها، ومن الضروري ان نشير هنا إلى انه لا يجب التعويل كثيراً على تلك الإشارات لأنها عبارة عن تخمينات لأناس لم يقضوا احياناً سوى أيام معدودة في هذه المدينة أو غيرها من المدن الكردية، بل لا يمكن أخذ الأرقام التي تعود إلى ما قبل احصاء عام ١٩٤٧ م بجدية كبيرة لأنها تفتقر إلى الدقة والموضوعية، وتعاني الإحصائيات الرسمية إلى جانب اشتمالها على التشويه والتزييف فيما يتعلق بالتكوين الأثني للسكان من نواقص جدية فقد ذكر مؤرخ الأدب الكردي علاء الدين سجادي بهذا الخصوص بأن الحكومة العراقية طلبت في ١٩/١١/١٩٤٧ م من السكان البقاء في البيوت و ذلك لإجراء التعداد العام للسكان. ورغم أنه لم يخرج من البيت لم يحضر أحد لتسجيله، ويتساءل إذا كان هذا هو حال العاصمة بغداد فكيف هو الحال في المناطق الأخرى وبخاصة في الريف أو بالنسبة للقبائل الرحل يا ترى؟ ويؤكد بأنه بعدما دقق في الأمر تبين له بأن أكثر من نصف مليون انسان لم يسجلوا تعداد عام ١٩٤٧ م<sup>(٣)</sup> مع كل ذلك ولإلقاء بعض الضوء على هذه المسألة الشائكة لا بد من الرجوع إلى بعض المصادر التي أشارت إلى السكان وتركيبهم الأثني في كركوك ولو بصورة عابرة، ومن أقدم الاشارات في هذا المجال هو ما كتبه المهندس الروسي يوسيب (يوسف) ضيرنيك الذي زار كركوك ضمن جولته العملية خلال ١٨٧٢ - ١٨٧٣ م لدراسة امكانيات الملاحة النهرية في حوضي دجلة والفرات وروافدهما ونشر نتائج رحلاته ودراساته فيما بعد عام ١٨٧٩ م في المجلد السادس من نشرة قسم القفقاس للجمعية الجغرافية الملكية الروسية، فقد قدر ضيرنيك عدد سكان كركوك في ذلك الوقت بـ ١٢ - ١٥ ألف نسمة وأكد بأنه وباستثناء ٤٠ عائلة أرمنية فان باقي السكان هم من الكرد<sup>(٤)</sup> يبدو لي أنه وإلى حين قيام ضيرنيك بزيارته لم تكن المصادر تشير إلى الموظفين العثمانيين وافراد الحامية العسكرية العثمانية المستقرة في كركوك كجزء من سكان المدينة، بل اعتبروا غرباء عن المنطقة وبخاصة في المراحل الأولى من الوجود العثماني في كركوك وكانوا يعودون في أغلب الأحوال إلى البلدان التي جندوا منها بعد انتهاء فترات خدمتهم باستثناء

(٣) للمزيد من التفاصيل راجع: علاء الدين سجادي، تاريخ 4-1047-10, Encyclopaedia Judaica, vol. 10, ١٩٥٢ م، ص: ٦٥ - ٦٦.

(٤) رحلة المهندس يوسيب (يوسف) ضيرنيك لدراسة حوضي دجلة والفرات من الناحية الفنية مع وصف الطرق العابرة لشمال سوريا، مترجمة من الألمانية، «نشرة قسم القفقاس للجمعية الجغرافية الملكية الروسية» المجلد VI ١٨٧٩، ص: ٩١

افراد معدودين يتخلفون عن العودة إلى مواطنهم ويتخذون من هذه المدينة أو تلك موطناً جديداً لهم لأسباب اقتصادية أو اجتماعية، لذلك لم يشر المهندس الروسي المشار إليه اعلاه إلى وجود الترك أو التركمان في المدينة، كما يبدو بأنه اعتبر جميع المسيحيين من الأرمن بسبب عدم تمييز بين الأرمن والكلدان ولعرفة الروس بالأرمن في القفقاس أكثر من الكلدان والآشوريين وغيرهم.

مع سقوط اماره بابان وتكريس سيطرة الباب العالي المباشرة على كركوك والقصبات الأخرى الواقعة على الطريق الإستراتيجي المذكور أخذت مظاهر العثمينة تظهر وتترسخ في كركوك، فبعد عقدين فقط من زيارة ضيرنيك حدث تغير ملحوظ في التكوين الأثني لسكان كركوك لصالح الترك أو التركمان فقد ذكر شمس الدين سامي المجلد الخامس من «قاموس الأعلام» الذي يعتبر موسوعة تاريخية وجغرافية عثمانية مهمة في مادة كركوك بانها «مدينة تقع في ولاية الموصل بكوردستان وتقع على بعد ١٦٠ كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل، وسط تلول عديدة متحاذاة على ضفاف وادي أدهم وهي مركز سنجق شهرزور. يبلغ عدد نفوسها ٣٠ ألفاً.. وثلاثة أرباع سكانها من الكرد والبقية من الترك والعرب وغيرهم ، وهناك ٧٦٠ اسرائيلياً و ٤٦٠ كلدانياً»<sup>(٥)</sup>

تسارعت وتيرة هذه العملية خلال العقدين التاليين وبخاصة في عهد الإتحاديين الذين انتهجوا سياسة شوفينية بحق الشعوب غير التركية في الإمبراطورية العثمانية، وتتناقض الأرقام التي يذكرها الرحالة والكتاب الإنجليز اذ يذكر الميجر سون الذي بقي ١٦ يوماً فيها عام ١٩٠٧ قضاها في احدى خاناتها بوسط السوق الذي كانت تسوده اللغة التركية عن كركوك «لابد ان تكون عدة اهل المدينة ١٥ الفا على الأقل، انها من المدن الكائنة على حدود كوردستان يتكلم اهلها ثلاث لغات، فالتركية والعربية والكردية يتكلمها كل انسان، وتستخدم الأولى والأخيرة في الأسواق على اختلاف». ويؤكد سون على تواجد الكرد والترك والكلدان والسريان والتركمان والعرب واليهود والأرمن في المدينة وسيادة روح التسامح فيها وتمتع سكانها بحرية عظيمة من التعصب الديني والقومي واعتبر اللغة التركية سائدة فيها إلى حد كبير واعتبرها مشهورة بتركمانها وفواكهها ونفطها الخام.<sup>(٦)</sup>

وقد ناقش محمد أمين زكي آراء سون مؤكداً بأن الأخير يشير في كتابه إلى أن عدد

(٥) قاموس الاعلام، محرري ش. سامي، بشنجي جلد، استانبول، مهران مطبعة سي، ١٣١٥، ص: ٢٨٤٢.

(٦) سون، رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، نقله إلى العربية وحققه وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل، الجزء الأول من اصطنبول إلى السليمان، ط ١، بغداد ١٩٧٠، ص: ١٥٨ - ١٦٣.

الترکمان في المدينة ١٣ ألفاً يقابلهم ٥ آلاف كردي و ٥٧٠٠ مسيحي وألف يهودي<sup>(٧)</sup> اعتبر محمد أمين زكي رأي سون هذا غير صحيح على الإطلاق وإن الذي دفع به للوقوع في هذا الخطأ هو اعتقاده أن كل من يتكلم التركية في كركوك هو تركماني، فاكرا د كركوك وكلدانها وغيرهم يعرفون التركية أيضاً ويتحدثون بها وأكبر دليل على هذا التصور برأيه هو الإحصاء الذي قامت به بلدية كركوك عام ١٩٣٠م والذي بلغ عدد سكان المدينة بموجبه ٣٥ ألفاً كان ٢٢ ألفاً منهم من الكرد و ٧ آلاف من التركمان وألف من المسيحيين المحليين وألفان من التيارات مع ٥٠٠ أرمني و ٢٥٠٠ من اليهود، وكان سكان محلات امام قاسم وأخي حسين وبولاق واوضي وثيريادي من الكرد الذين كانوا يشكلون القسم الأكبر من سكان محلات ضوقور والمصلي وضاي أيضاً»<sup>(٨)</sup>.

ورغم الاتفاق مع محمد أمين زكي في مناقشته للآراء التي أدلى بها الميجر سون نهاية العقد الأول من القرن العشرين، إلا أن سيادة اللغة التركية في وسط المدينة وسوقها الرئيسية بالصورة التي شاهدها الميجر سون وكونت لديه ذلك الإنطباع تشير إلى حقيقة أن السياسات العثمانية خلال أقل من نصف قرن في المدينة - كجعلها مركزاً لحامية عسكرية تركية، وفتح المدارس والدوائر الأخرى فضلاً عن اسكان الموظفين العثمانيين وعوائلهم - أخذت تعطي ثمارها وأدت إلى عثمانة بل وتترك جزء من السكان المحليين وبخاصة أولئك الذين ارتبطت مصالحهم بالدولة العثمانية، فقد كتب آدموندز يقول بقيت كركوك بلدة هامة من الناحية العسكرية ووضعت فيها حامية دائمية، كما انها كانت موطناً مهماً يمد الحكومة العثمانية بالموظفين المدنيين والجندرمة موضع الإعتماد، وإلى هذا تعود اسباب التشكيل العنصري واللغوي للسكان، أن الأسر الأرستقراطية البارزة، هي إما تركية وإما تعتبر نفسها تركية حتى وإن كانت كردية الأصل».

بينما يؤكد المستشرق الجورجي ألبرت مينتيشا شفيلي بأن جزء من العوائل الأرستقراطية المنتفذة في كركوك من أصول كردية رغم أنها كانت تسمى نفسها تركية ومن بينها النفطچين

(٧) لم يشر محمد أمين زكي إلى اسم كتاب سون الذي استقى منه هذه الأرقام، وكتاب سون المشار إليه والموجود تحت يدي لا يشير إلى أية أرقام سوى التي أشرنا إليها، يبدو أنه اطلع على هذه المعلومات في مؤلف آخر للميجر سون الذي كتب الكثير عن كوردستان من بينها «دليل أو مرشد كوردستان الجنوبية» الذي اعتبر دقيقاً ومتضمناً لمعلومات صحيحة إلى أبعد مدى على حد تعبير مترجم الكتاب فؤاد جميل، أنظر المصدر السابق، ص: ٣٥٠.

(٨) محمد أمين زكي، ملاحظاتي على قانون اللغات المحلية، في كتاب «محاولتان غير مجديتين» حققه وقدم له وعلق عليه صباح غالب، لندن ١٩٨٤، ص: ١٠٤-١٠٥.

و اليعقوبيين والقيردار وغيرهم الذين ينتمون في أكثريتهم إلى عشيرة زنگنه الكرديّة، وكثيراً ما كان الكتاب الإنجليزي يطلقون لفظة الترك على الموظفين المدنيين والعسكريين وأبناء الأرستقراطية الكركوكية.<sup>(٩)</sup>

من الجدير بالذكر أن هناك تفاوتاً كبيراً بين تقديرات الكتاب الذين تصدوا للحديث عن عدد سكان كركوك وتشكيلهم العنصري واللغوي قبل الحرب العالميّة الأولى، ففي الوقت الذي قدر هاي عددهم بحوالي ٣٠ ألفاً، أشار مارك سايكس إلى أن عدد سكان كركوك قبل الحرب العالميّة الأولى بلغ ٧٠ ألفاً، في الوقت الذي لم يبلغ فيه عدد سكان مدينة كركوك حتى بعد انتهاء الحرب العالميّة الثانية وتحول كركوك إلى مركز لعمليات شركة نفط العراق سوى ٦٩ ألف نسمة فقط.<sup>(١٠)</sup>

وأول إحصاء تقوم به دائرة رسمية في لواء كركوك بعد الحرب العالميّة الأولى هو ما أشار إليه محمد أمين زكي في مذكرته المشهورة إلى الملك فيصل الأول في ٢٠ كانون الأول ١٩٣٠م والذي سماه بالإحصاء الكيفي الذي قامت متصرفية لواء كركوك بإجرائه وكانت نسبة السكان في اللواء على أساس القوميّة كالآتي: الكرد ٥١٪، التركمان ٢١,٥٪، العرب ٢٠٪ والأقوام الأخرى ٧,٥٪.<sup>(١١)</sup>

بينما أشار آدموندز في عام ١٩٢٢م إلى أن عدد سكان المدينة كان يبلغ آنذاك ٢٥ ألفاً تقريباً ربعهم من الكرد ومعظمه من التركمان والعرب والنصارى، في الوقت الذي اعتبر فيه الكرد كأوسع مجتمع قومي في اللواء ككل.<sup>(١٢)</sup>

أي أنه يعتبر أن الكرد يشكلون الاكثريّة المطلقة في اللواء في الوقت الذي يشكلون ربع سكان المدينة، ورغم ان الأرقام التي اوردها آدموندز بعيدة إلى حد كبير عن واقع الأمور، إلا

---

(٩) سي. جي. آدموندز، كرد وترك وعرب - سياسة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي في العراق ١٩١٩ - ١٩٢٥م، ترجمة جرجيس فتح الله، بغداد ١٩٧١م، ص: ٢٤١. أنظر كذلك: أ. م. مينيتشا شفيلي، الكرد - لمحات في العلاقات الإجتماعية - الإقتصادية والثقافة وأساليب المعيشة، موسكو ١٩٨٤م، ص: ٢٥، ١٩٣.

(10) Hay W. R, Two years in Kurdistan: Experiens ofa Poiitical Offcer 1918 - 1920, London 1922 P: 81; Longring S.H. Iraq 1900 to 1950. A Political, Social and Economic and Economic History London 1953.

(١١) مذكرة محمد أمين زكي إلى الملك فيصل الأول حول الشأن الكردي العراقي في ٢٠ كانون الأول ١٩٣٠، تقديم وترجمة الدكتور جبار قادر، الملف العراقي، العدد ١٠٤، آب ٢٠٠٠ ص: ٦٤ - ٦٥.

(١٢) آدموندز، نفس المصدر، ص ٢٤٠ - ٢٤١.

أن حصول تحول كبير في تناسب السكان على أساس القومية يشير إلى محاولات الإنجليز زيادة السكان من غير الكرد والسماح للموظفين المدنيين والعسكريين العثمانيين بالإستقرار في المدينة مع عوائلهم وتكليفهم بمباشرة الشؤون الإدارية والتعليمية في المدينة.

وأثناء مشكلة الموصل قدمت الأطراف المختلفة ذات العلاقة (تركيا وبريطانيا والعراق) ارقام متباينة عن التكوين الأثني لسكان الولاية بما فيها لواء كركوك، فقد قدر الإنجليز في تقاريرهم المقدمة إلى لجنة عصابة الأمم عدد سكان كركوك حسب انتمائهم الأثني عشية الحرب العالمية الأولى كما يلي: الكرد ٤٥ ألفاً، الترك ٣٥ ألفاً، العرب ١٠ آلاف، المسيحيون ٦٠٠ واليهود ١٤٠٠ أي أن مجموع سكان اللواء حسب تقديراتهم كان ٩٢ ألف نسمة، بينما قدر الجانب التركي عدد سكان اللواء بضعف ذلك الرقم فقد كانت الأرقام التركية على الشكل التالي: الكرد ٩٧ ألفاً، الترك ٧٩ ألفاً والعرب ٨ آلاف أي ما مجموعه ١٨٤ ألفاً<sup>(١٣)</sup> هناك تفاوت كبير في تقديرات الطرفين ورغم أن الأتراك كانوا يحكمون عشية وأثناء الحرب العالمية الأولى هذه البلاد ويفترض أنه تكون لديهم الأرقام الدقيقة إلا أنه من الصعب أن يركز المرء إلى التقديرات التركية لمحاولاتهم تقديم أرقام كبيرة عن العنصر التركي في الولاية ككل وكركوك على وجه الخصوص ورفع نسبة الأتراك على حساب العناصر الأخرى، كان الطرفان الإنجليزي والعراقي يرفعون من نسبة العرب في ولاية الموصل بما فيها كركوك وذلك لدعم وجهة نظرهم، بينما حاول الترك رفع نسبة الأتراك في الولاية وفي كركوك بالذات بصورة مبالغ فيها، ولم يكن من صالح أي من الطرفين المتنازعين رفع نسبة الكرد، ومع ذلك اضطروا إلى الإعتراف بكون الكرد يشكلون الأكثرية المطلقة من سكان الولاية، فقد كان عدد الكرد وفق التقديرات البريطانية ٧٢٠، ٤٥٤ شخصاً مقابل ٨٩٥، ٦٥ من التركمان و ١٨٥٧٦٣ من العرب و ٦٢٢٢٥ من المسيحيين و ١٦٨٦٥ من اليهود، أي ما مجموعه ٧٨٥٤٦٤ شخصاً وضمت الأرقام الإنجليزية الرحل الذين كانوا ينتقلون في أرجاء الولاية، بينما كانت التقديرات التركية تشير إلى تواجد ٢٨١٨٣٠ من الكرد في الولاية مقابل ١٤٦٩٢٠ من الأتراك و ٤٣٢١٠ من العرب و ٣١ ألفاً من غير المسلمين، أي ما مجموعه ٥٠٣ آلاف شخص، ولم تتضمن الأرقام التركية ١٧٠ ألفاً من الرحل.

سكان ولاية الموصل بحسب القومية (وشكك الإنجليز في التقديرات التركية واعتبروها قديمة وناقصة واعتبروها قائمة على أساس معطيات دوائر الجيش وأكدوا بأن العرب يشكلون ثلثي سكان مدينة الموصل، بينما شكل الترك حسب رأيهم ١٢/١ فقط من سكان الولاية، بينما أكد الأتراك بأنهم يحكمون البلاد منذ قرون وهم على اطلاع أكبر بأوضاع المنطقة وعدد

(13) Loder Y. de V, The Truth about Mesopotamia, Palestine and Syria, London 1923, P. 214

سكانها واتهموا الإنجليز بإيراد تقديرات من شأنها خدمة مصالح العرب، فقد أكد الجانب التركي بأن الأكثرية الكردية- التركية تشكل ٨٥٪ من مجموع سكان الولاية، بل واعتبر أن الكثير من المتحدثين بالعربية هم « أتراك في الأصل ونسوا لغتهم أو يتحدثون اللغتين في آن واحد!»، كما زعم أن الكرد والترك ينحدرون من أصول واحدة<sup>(١٤)</sup> وفي تقديرات وحجج بعضها البعض، كانت بعثة عصبة الأمم تشكك في دقة ومصداقية البيانات المقدمة من قبل جميع الأطراف إذ «وجدت ان البيانات المقدمة من قبل الأتراك وكذلك المقدمة من قبل الإنجليز بل وحتى بيانات الحكومة العراقية غير دقيقة وأن الحجج التي استندت إلى تلك الأرقام مشكوك فيها، فبينما تبالغ الحكومة التركية بعدد التركمان في الولاية، فإن الحكومة البريطانية لا ترى أنهم يشكلون سوى ٨٪ من مجموع السكان، في حين تقل نسبتهم في البيانات العراقية عن ٥٪ من مجموع سكان الولاية، وكذلك كان التباين كبيراً فيما يتعلق بنسبة العرب التي تراوحت بين أقل من ٩٪ في ضوء البيانات التركية إلى نحو ٢٤٪ في البيانات البريطانية ونحو ٢١٪ في تقديرات الحكومة العراقية، بينما كان التباين أقل في التقديرات الخاصة بالكرد فقد كانت نسبتهم ١,٥٦٪ من مجموع سكان الولاية وفق التقديرات التركية و ١,٦٥٪ حسب البيانات العراقية و ٩,٥٧٪ من مجموع السكان حسب التقديرات البريطانية»<sup>(١٥)</sup>.

القومية	البيانات التركية	البيانات البريطانية	البيانات العراقية
الكرد	٥٦,١	٥٧,٩	٦٥,١
العرب	٨,٦	٢٣,٧	٢٠,٩
التركمان	٢٩,٢	٨,٤	٤,٨
المسيحيون	٦,١	٧,٩	٧,٧
اليهود	-	٢,١	١,٥
المجموع	١٠٠	١٠٠	١٠٠

(١٤) للمزيد من التفاصيل حول حجج الطرفين المتنازعين انظر كذلك: 215- 218: Ibid P.

م. س. لازريف، الأميرالية والمسألة الكردية ١٩١٧ - ١٩٢٣، موسكو ١٩٨٩، ص: ٣٠٦ - ٣٠٩.  
(١٥) تقدير عصبة الأمم، مسألة الحدود بين تركية والعراق، مطبعة الحكومة، بغداد، ص: ٩٤، نقلًا عن: كركوك في تقرير عصبة الأمم، مجلة هاواري كركوك، العدد ٤، أبريل ١٩٩٩ ص ١٧٧ - ١٧٨.



وهكذا نجد بأن جميع المكونات الأثنية في كركوك باستثناء الكرد وجدت من يدافع عن مصالحها في هذا الصراع، بينما جرى استبعاد العديد من القصابات والتجمعات الكردية من ضمن تلك البيانات، حتى أن الأيزيديين الذين اعترفت كل الأطراف المعنية بمشكلة الموصل بكرديتهم فصلوا عن الكرد في ظل تلك البيانات والإحصائيات اللاحقة التي قامت بها الحكومة العراقية.

وكانت التقديرات التي قدمها الجانب العراقي قريبة إلى البيانات البريطانية، فقد ذكر تقرير عصابة الأمم حول مسألة الحدود بين تركيا والعراق بأن الجانب العراقي قدر عدد سكان كركوك لسنتي ١٩٢٢-١٩٢٤ بـ ١١١,٦٥٠ نسمة، يتوزعون بحسب القومية على النحو الآتي: الكرد ٤٢,٥٪، العرب ٣١,٩٪، التركمان ٢٣,٤٪ والآخرين ٢,٢٪<sup>(١٦)</sup>

لا تشير الجداول الإحصائية الخاصة بإحصاء عام ١٩٤٧ و المتوفرة بين أيدينا إلى التكوين الأثني لسكان كركوك بل تشير إلى الديانة، وكانت الأرقام الخاصة بمركز قضاء كركوك كالاتي: المسلمون ٥٨٦٥٤، المسيحيون ٦٧١٥، اليهود ٢٨٧٣، الصابئة ٢٧، الأيزيديون «أوردتهم الجداول بصورة منفصلة عن الكرد» والعقائد الأخرى ٢٨، بينما بلغ عدد المسلمين في ريف مركز قضاء كركوك ٢٣١٩٤ والمسيحيين ٨٦٢ واليهود ٧٧ والعقائد الأخرى ٣<sup>(١٧)</sup> بينما أشارت الجداول الإحصائية الخاصة بتعداد السكان لعام ١٩٥٧ إلى تصنيف السكان من حيث اللغة الأم في مدينة كركوك، ومع ان هذا التعداد السكاني يعتبر من أحسن الإحصائيات السكانية خلال الفترة التي تناولتها هذه الورقة، إلا أنه كان يعاني أيضاً من بعض النواقص الجدية، فقبل كل شي كان اللجوء إلى مبدأ اللغة الأم لتحديد الانتماء القومي للسكان محاولة للتملص من الاعتراف بالهوية القومية للأثنيات المختلفة وفي مقدمتها الأثنية الكردية، فضلاً عن كونها محاولة لتشويه الحقائق المتعلقة بالتركيب السكاني وفتح الباب أمام عمليات التزوير على نطاق واسع، ولا يعنى احصاء الناس على أساس اللغة الأم دائماً تطابقاً مع الإلتزام القومي لهم، فهناك من عاش وسط قومية أخرى وتعلم لغتها بصورة أفضل من لغته الأم ولكن ذلك لا يعني بأنه أصبح ينتمي إلى القومية الجديدة التي تعلم لغتها. وكانت سيادة اللغة التركمانية في دوائر وأسواق كركوك آنذاك لا تتطابق مع حقيقة عدد التركمان في كركوك، وشهدت عمليات التعداد حالات تزوير كثيرة في بعض الأحياء الشعبية للكرد في كركوك، وقد تبين ذلك بوضوح عند نشر نتائج التعداد المذكور عام ٢١٩٥٩م، إذ ظهر لدى مراجعة الكثير من الكرد لدائرة النفوس في كركوك بانهم سجلوا كتركمان من قبل العدادين

(١٦) نفس المصدر السابق.

(١٧) إحصاء السكان لسنة ١٩٤٧، الجزء الثاني، الجدول السادس - قضاء كركوك، ص ١١٨.

في الحقل الخاص باللغة الأم، خاصة في الأحياء الشعبية الكردية التي كان معظم ابنائها يجهلون العربية فتولى العدادون ملء الإستمارات نيابة عنهم، وقد قدم بعضهم فيما بعد شكاوى بهذا الخصوص إلى الجهات المختصة، بينما أقام البعض الآخر دعاوى قضائية لتبديل ذلك بقرار قضائي.<sup>(١٨)</sup>

وكان تصنيف السكان من حيث اللغة الأم في كركوك المدينة واللواء بموجب احصاء عام ١٩٥٧ كالآتي:

اللغة الأم	مدينة كركوك	بقية لواء كركوك	المجموع الكلي للواء كركوك
عربي	٢٧١٢٧	٨٢٤٩٣	١٠٩٦٢٠
كردبي	٤٠٠٤٧	١٤٧٥٤٦	١٨٧٥٩٣
ايراني (فارسي ج. ق)	١٠١	٢٢	١٢٣
تركي (تركمانبي ج. ق)	٤٥٣٠٦	٣٨٠٦٥	٨٣٣٧١
انكليزي	٦٣٤	٦٣	٦٩٧
فرنسي	٣٥	٦	٤١
هندي	٧٩	٨	٨٧
كلداني وسرياني	١٥٠٩	٩٦	١٦٠٥
لغات أخرى	٤١٨	-	٤١٨
غير ميبين	٥١٤٦	١٣٨	٥٢٨٤
المجموع	١٢٠٤٠٢	٢٦٨٤٣٧	٣٨٨٨٣٩

وقد شكك الكثيرون في دقة هذه الأرقام ومن بينهم المؤرخ الكردي الذي قتل مؤخرًا في بغداد بعد ان تجاوز التسعين من العمر الملا جميل الروزياني الذي كان يعتبر حجة في تاريخ المنطقة وأحوالها وأصول سكانها وقبائلها<sup>(١٩)</sup>

(١٨) الدكتور نوري طالباني منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، ط٢، بلا. م. ١٩٩٩، ص: ٧٩.

(١٩) مجلة هاواري كركوك، العدد ٢، أربيل، كانون الأول ١٩٩٨، ص ٣١.

ويمكن الجزم بأن العديد من القبائل والقرى والتجمعات السكنية الكردية التابعة لكركوك لم تشملها عمليات التعداد السكاني، ولعل أحسن دليل على قولنا هذا هو ان السلطات الإدارية والعسكرية العراقية لم تكن تعرف بوجود العديد منها إلا خلال عمليات الأنفال عندما اكتشفتها ودمرتها وانفلت سكانها<sup>(٢٠)</sup> كما يمكنني القول بأن القسم الأكبر من ٥٢٨٤ شخصاً والذين أشير إليهم على أن لغتهم الأم غير مبينة هم من الكرد، ويبدو أنهم لم يسجلوا عمداً ولأسباب معروفة لدى المطلعين على السياسات الحكومية في هذا اللواء، وتفسر هذه الظروف التي رافقت عمليات الإحصاء العام للسكان سنة ١٩٥٧ أن يكون عدد المتحدثين بالتركمانية في المدينة أكثر من الذين اعتبروا الكردية لغتهم الأم بـ ٥٢٤٩ شخصاً، ولا يتطابق هذا مع البيانات التي أوردتها المصادر العلمية الموضوعية البعيدة عن التحيز، فقد أكد العالم العراقي المعروف بنزاهته الدكتور شاكر خصباك بأن الكرد كانوا يشكلون في الخمسينات نسبة ٥٥,٢٪ من مجموع سكان لواء كركوك<sup>(٢١)</sup> ونلاحظ تذبذباً في البيانات المتعلقة بنسب السكان حسب القومية في كركوك وغيرها من مرحلة إلى أخرى، فقد قدرت نسبة التركمان، مثلاً، في لواء كركوك عام ١٩٢٠م بـ ٣٠,٣٪ وفي عام ١٩٥٧م بـ ٢١,٤٪، بينما ارتفعت هذه النسبة إلى ٢٦,٣٪ عام ١٩٦٥ لتعود إلى الإنخفاض إلى ١٦,٣١٪ عام ١٩٧٧.<sup>(٢٢)</sup>

ويكمن السبب وراء حالة التذبذب هذه في نسب التركمان وغيرهم من سكان كركوك وغيرها من المدن والمحافظات العراقية في سياسات التمييز الحكومية المتبعة ازاء المكونات الأثنية في العراق وسيادة الأوضاع الإستثنائية في كردستان على مدى عقود طويلة ومحاولات الناس إخفاء انتماءاتهم القومية الحقيقية لتجنب الدخول في مشاكل مع السلطات السياسية والادارية وبخاصة في كركوك.

شهدت العقود اللاحقة للفترة التي تناولتها هذه الورقة انتهاج سياسة حكومية مكشوفة

---

(٢٠) هناك اشارات عديدة في الوثائق الحكومية المتعلقة بمسالخ الأنفال والتي وقعت بأيدي المنتفضين إلىرى العديد من القرى التابعة لمحافظة كركوك المؤنقلة التي لم تكن معروفة لدى السلطات الإدارية ولا وجود لها حتى على الخرائط الرسمية المدنية والعسكرية العراقية، للمزيد من المعلومات انظر:

Genocide in Iraq The Anfal Against

Campaign the Kurds. HRW/ ME, NewYork 1993.

(٢١) الدكتور شاكر خصباك، الكردية، بغداد ١٩٥٩، ص ٤٣.

(٢٢) الدكتور خليل اسماعيل، التوزيع الجغرافي للتركمان في العراق، مجلة السياسة الدولية، العدد ٤، أبريل، كانون الثاني ١٩٩٤، ص: ٢٨ - ٢٩.

لتغيير الواقع القومي لسكان كركوك الأمر الذي لا يدخل في نطاق هذه الدراسة، ولعل أصدق من عبر عن واقع التكوين الأثني لسكان كركوك وكيفية تغييره هو على حسن المجيد في اجتماع له مع مسؤولي حزب البعث والجيش والأمن بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٨٩ والذي سجلت وقائعه على شريط وقع بأيدي المنتفضين الكرد في آذار ١٩٩١ وكان يتباهى بما حققه خلال عامين من حكمه المطلق لكوردستان كمسالخ الأنفال وقصف ٤٠ موقعاً في كردستان بالأسلحة الكيماوية وتدميره للريف الكوردستاني، وعن كركوك (وانجازاته!!) فيها قال:

«أود أن أتحدث عن نقطتين الأولى التعريب والثانية المناطق المشتركة بين الأرض العربية ومنطقة الحكم الذاتي. النقطة التي أتحدث عنها هي كركوك. عندما جئت إلى هنا لم يزد عدد العرب والتركماني عن ٥١٪ من مجموع سكان كركوك- لم يوضح هل يتحدث عن المدينة أم عن محافظة كركوك- مع كل ذلك صرفت ٦٠ مليون دينار إلى أن وصلنا إلى الحالة الراهنة، وليكن واضحاً لديكم لم يوصل كل العرب الذين جلبناهم إلى كركوك نسبتهم إلى ٦٠٪، عند ذلك أصدرت أوامري ومنعت بموجبها كرد كركوك من العمل في كركوك والمناطق التابعة خارج منطقة الحكم الذاتي، كركوك خليط من القوميات والأديان والمذاهب، كل الناس الذين رحلناهم خلال الفترة من ٢١ مايس وحتى ٢١ حزيران لم يكونوا من سكان المناطق المحرمة، ولكنهم كانوا تحت سيطرة المخربين سواء كانوا من المتعاطفين معهم أو ضدهم».

## دور سكان كركوك في بناء التجربة

### الديمقراطية في عراق المستقبل

دلشاد محمد نجيب الطالباري

باحث كردي من العراق - السليمانية

تضافرت صفات العراق الطبيعية من العوامل المناخية والتضاريسية المختلفة، وخصوبة الأرض وتوافر الموارد المائية وموقعه الجغرافي من حيث ملامته للزراعة، إلى الأحداث التاريخية والبشرية، على جذب الأثنيات والعناصر والشعوب المختلفة إليه. هذه العوامل وغيرها أثرت في الهجرة إلى العراق والاستيطان فيه منذ فجر التاريخ، وجعلت هذه المناطق موطناً قديماً للإنسان والحضارة وأدت إلى ظهور طلائع المناطق والقرى القديمة وقيام الحياة الحضرية، وأن اختلفت هذه الشعوب في طريقة دخولها أو استيطانها فيه.

يرى الباحث بريد وود (Robert. J. Braib Wood) أن الثورة الزراعية بدأت في منطقة التلال او مقدمات المنطقة الجبلية في كردستان، وذلك نتيجة للحفريات الأثرية والعمل الحقلية الذي قامت به البعثة التي استصحبها هذا الباحث مرتين إلى المنطقة، ثم توصل إلى ان اقدم قرىتين زراعتين كانتا جرمو (Jarmo) في چمچمال و (تلة سراب Tope sarab) في ايران وتقعان على سفوح جبال زاگروس في منطقة كردستان الحالية، وكانتا مسكونتين بين سنة (٧٠٠٠ - ٦٥٠٠ ق.م.) وكانت الأخيرة مسكونة بصورة فصلية<sup>(١)</sup> وقد وجدت في كهوف المنطقة الجبلية، مثل كهوف زرزي و هزارمرد وشاندری آثار انسان تعود إلى العصر الحجري القديم<sup>(٢)</sup> بنيت مدن وتشكلت حضارات وتعاقبت دول وامبراطوريات مختلفة على حكم هذه المناطق وتركت آثارها الحضارية والدينية والعمرانية والثقافية والاجتماعية باشكال وصور مختلفة إلا أن المسلم به ان هذه المناطق كانت مسكونة من قبل الكرد واجدادهم منذ آلاف

(١) قدر عدد الدور السكنية في ضرموو بـ(٢٤) داراً وكانت غالباً ترمم ويعاد بناؤها بلغ عدد السكان (١٥٠) حقولها كانت تزرع بالحنطة والشعير وعثر على آثار تدل على انهم دجنوا الاغنام والماعز.

(نشأة مدن العراق، د.عبدالرزاق عباس).

(٢) سكان العراق، فاضل الأنصاري.

السنين، قبل مجيء الموجات السامية وجيوش الأقوام والأجناس المختلفة الأخرى، والتي كانت تبقى إلى ان تأتي جيوش أخرى وتطردها وتحل محلها.

ان الكرد الذين كانوا متواجدين في هذه المناطق كانت لهم دول وامبراطوريات ودويلات وإمارات مستقلة، حسب العهود المختلفة وإلى عهد قريب، بالرغم من خضوعهم للإسمي في بعض الأحيان للدول التي استولت على أجزاء من كردستان.

ومن المدن العريقة القديمة في كردستان العراق، التي بنيت قبل الميلاد بمئات السنين واحتفظت بمركزها ومكانتها، هي مدينة كركوك، بقلعتها المشهورة.

ونظراً للمكانة الاستراتيجية التي كانت تشكلها مدينة كركوك، كانت الجيوش التي تمر بها وتحتلها، تحتفظ بحاميات عسكرية فيها، فيستقر قسم منهم في المدينة ويختلطون بالأهالي ويمرور الوقت كانوا يصبحون جزءاً من سكان المدينة.

تعاقبت على حكمها حضارات وأجناس عديدة، من البابليين والآشوريين واليونانيين والفرس والعرب والأتراك ثم العرب في عهود تكوين الدولة العراقية<sup>(٣)</sup> هذا إضافة إلى الحكم الفعلي للكرد عليها من عهد الميديين إلى القرن التاسع عشر سواء بصورة مستقلة أو نيابة عن الحكام البعيدين عنها.

في العهود المختلفة، أحتفظت هذه المدينة بطابعها الكردي، وهذا ما نلاحظه الآن، إضافة إلى وجود عناصر من أقوام وشعوب مختلفة أخرى، بجانب الغالبية الكردية فيها، لا أحد يستطيع انكار وجود التركمان في كركوك ودورهم في تكوين مجتمع المدينة وازدهار الجوانب الإقتصادية والثقافية والعمرانية فيها.

الأتراك في كركوك يرجع أصلهم إلى الحاميات التركية التي كان الخلفاء العباسيون في القرن الثامن والتاسع الميلادي قد وضعوها هناك. كذلك حركة الهجرة التركمانية أيام سلاطين السلاجقة (١٠٣٧ - ١١١٧) وسلاجقة العراق وكردستان (١١١٧ - ١١٩٤) واتبكة آل بكتين في أربيل (١١٤٤ - ١٢٣٢). إضافة إلى أسرى الحرب من التركمان الذين وقعوا في يد تيمورلنك وفي زمن العثمانيين كذلك حاميات الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٢ - ١٥٢٤) من الأذربايجانيين وحاميات نادر شاه (١٧٣٠ - ١٧٤٧)<sup>(٤)</sup> دراسة مدينة من المدن هي من الأساليب المهمة لمعرفة تطور تلك المنطقة من الناحية الاجتماعية والحضارية والاقتصادية

(٣) سكان العراق، فاضل الأنصاري.

(٤) الشهداء التركمان، الإتحاد الإسلامي لتركممان العراق، دار الدليل للصحافة والنشر (الجزء الأول).

والقومية والسياسية والعلمية والثقافية، وكذلك مدى اندماج السكان وتجانسهم. من هنا كان اختيار مدينة كركوك صائباً، لكونها مدينة تعايشت فيها القوميات والثقافات والاديان والمذاهب المختلفة جنباً إلى جنب وكونت جميعها مجتمع مدينة كركوك بخصوصياته المعروفة من حيث الجوانب الحياتية التي يتميز بها<sup>(٥)</sup> لمعرفة مستقبل مدينة أو منطقة وما سيؤول إليه، لا بد من معرفة بعض المسائل التاريخية والحضارية المهمة من ماضيها وحاضرها وبعض الأحداث التي مرت بها، لكي نستطيع بناء الآراء الصحيحة والواقعية ونستنتج منها بعض الأفكار ونستنبط المسائل المستقبلية لها ونهيئ لها بعض الظروف الطبيعية المساعدة لكي تتبلور وتترسخ، ونساعد في إيجاد الطرق والأساليب الكفيلة للوصول إليها.

في عام ٢٠ هجرية، أصبح العراق بأجمعه ضمن الدولة الإسلامية الكبرى، حيث أصبحت مناطق الموصل وأربيل وشهرزور جزءاً من هذا الكيان.

في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم الأمويون، كانوا يعينون من يقوم مقامهم لحكم وإدارة العراق باسم الأمير، فكان أحد الأمراء مركزه الكوفة وهو الذي يعين الولاة لمناطق الموصل وأربيل وشهرزور<sup>(٦)</sup> بعد دخول الجيش العثماني، أصبح العراق جزءاً من الخلافة العثمانية. وكان العراق في فترات مختلفة مقسماً إلى أربع ولايات هي بغداد، البصرة، الموصل وشهرزور<sup>(٧)</sup> كانت مدينة كركوك في أواسط القرن التاسع عشر مركز ولاية شهرزور التي كانت تضم أولوية كركوك والسليمانية وأربيل<sup>(٨)</sup> وكانت تحكم من قبل الكرد البابانيين وتخضع بالاسم فقط للعثمانيين<sup>(٩)</sup> الحكومة العثمانية نفسها لم تنكر وجود الأغلبية الكردية في المدينة والمنطقة<sup>(١٠)</sup> في قاموس الأعلام (الإنسكلوبيديا العثمانية) لدى ذكر ولاية شهرزور ويصدد الكلام عن مدينة كركوك، يذكر بان مدينة كركوك هي عاصمة ومركز ولاية شهرزو في كردستان<sup>(١١)</sup> وجميع الوثائق والمصادر تتفق على أن خط حدود المنطقة الكردية يسير من

(٥) صور من العراق، عبدالرزاق الظاهر، شباط ١٩٤٧.

(٦) دول العالم، هادي رشيد الجاوش ١٩٨٦.

(٧) دول العالم، هادي رشيد الجاوش ١٩٨٦.

(٨) تاريخ العراق بين احتلالين، المحامي عباس العزاوي (المجلد الخامس) - شركة التجارة والطباعة المحدودة (١٩٥٣).

(٩) خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق.

(١٠) تاريخ العراق الحديث، د.عبدالعزیز سليمان نوار.

(١١) مشكلة ولاية الموصل، د.فاضل حسين، مطبعة الرابطة، بغداد ١٩٥٥.

فيشخابور على شرقي نهر دجلة، بمحاذاة ساحل دجلة ويمتد مع سلسلة جبال حميرين باتجاه مدينة مندلي وتتخلله جيوب عربية ومجاميع تركمانية في مدن أربيل وكركوك، كما توجد مدن تركمانية مثل تازة خورماتوو<sup>(١٢)</sup> كما ذكرت الوثائق العراقية والبريطانية واعترفت بوجود أكثرية كردية لأسباب عديدة منها مسألة وجود النفط بالدرجة الأساسية<sup>(١٣)</sup>

ب - تاريخ الوزارات العراقية، السيد عبدالرزاق الحسني (المجلد الأول) ١٩٧٨، (عند تشكيل الحكومة المؤقتة في العراق ٢٥ تشرين الثاني ١٩٢٠م احتفظ المندوب السامي بالسيطرة على مناطق الكرد في العراق).

ج - سي. جي ادموز (سنتان في كردستان؟).

وكذلك ذكرت لجنة التحقيق الأممية بتقريرها في جنيف في ٢٠/٤/١٩٢٥، بأنه وفقاً لقناعة اللجنة التي أكدت بان الكرد هم الجنس الغالب في المناطق الكردية المتنازع عليها من ولاية الموصل، وان الكرد و العرب هم فقط اللذين يعيشون في مجاميع ذات كثافة سكانية كبيرة، والحدود الجنوبية لهذه المنطقة تمتد مع التلال المنحدرة إلى دجلة، ثم قليلا شمال حميرين إلى نقطة عند الحدود العراقية الايرانية<sup>(١٤)</sup> يذهب المؤرخ العراقي عبد الرزاق الحسني إلى رأي مقارب بتأكيد على ان الكرد يسكنون مدنا وقرى تبدأ من الحدود الايرانية العراقية على خط مستقيم يمتد من جبل حميرين إلى جبل سنجار<sup>(١٥)</sup> وكذلك جميع الذين كتبوا عن المنطقة الكردية أو كركوك ذكروا تلك الحقائق بان مدينة كركوك فيها أغلبية كردية<sup>(١٦)</sup>

(١٢) القضية الكردية (محمود الدرة) ١٩٦٣، دار الطليعة.

(١٣) أ- المصدر السابق (جرت مراسلات بين المندوب السامي في العراق ووزارة المستعمرات. منها المذكرة رقم (١٩٦) في ٢٤ حزيران ١٩٢١: (يقسم هذا الأقليم إلى ثلاثة ألوية مستقلة، واحد في المنطقة الواقعة شمال غرب الزاب، الآخر منطقة كركوك والثالث السليمانية، ويمكن تعديل لواء السليمانية الحالي بشكل بسيط لتدخل فيه العناصر الكردية في وسط منطقة ديبالى شمال قزلباط، كما تقسم العناصر العربية في الوقت الحاضر في كركوك بين سامراء والموصل، ويعين متصرف لكل من السليمانية وكركوك مع مستشار بريطاني، يعين ضابط ارتباط يتصل بكل الألوية الثلاث).

(The making of modern Iraq, apodnit of Word forces Norman, University of Oklahoma, press 1935) Henry A. Foster.

(١٤) توصيات لجنة التحقيق الدولية:

(١٥) تاريخ العراق الحديث، عبدالرزاق الحسني.

(١٦) أ- العراق الشمالي، د. شاكر خصباك.



ب - الفدرالية وامكانية تطبيقها في العراق، د. محمد عمر مولود، ٢٠٠١.

الأحصائيات الرسمية العراقية أظهرت كذلك تفوق العنصر الكردي من حيث العدد في كركوك (الملحق رقم ١ و ٢)<sup>(١٧)</sup> أما الأقليات التي تسكن لواء كركوك في الوقت الحاضر فهم الأرمن والنساطرة، وقد هاجر أغلب هؤلاء بعد الحرب العالمية الأولى بعدما ارغمهم العثمانيون على مغادرة موطنهم.

على الرغم من وجود عديد من تجمعات الأقوام والعناصر والأمم الأخرى واستقرارهم في كركوك بمرور الزمن وتكوين مجتمع مدينة كركوك، بجانب الأكترية الكردية، إلا أن سكان كركوك من جميع القوميات والأديان والمذاهب عاشوا منذ القديم في وفاق ووءام، ولا توجد دلائل وأخبار عن تناقضات عميقة بينهم ولم يلمس وجود الحقد والكراهية القومية بينهم، أو اندلاع حوادث العنف أو الميول العنصرية لدى إحدى المجموعات السكانية على مر مئات السنين الماضية، واحتفظوا بهذه العلاقات الجيدة بينهم، والحوادث التي حصلت مرتين في القرن العشرين في كركوك، كانت مدبرة وتذكيها العوامل الخارجية. فحادثة هجوم الشبان الأشوريين على السكان في ٤ / ٥ / ١٩٢٤ لم يشارك فيها الأشوريون الموجودون في كركوك وإنما حصلت من قبل المسلحين الذين جلبوا إليها من المناطق الأخرى. وحوادث تموز ١٩٥٩ التي استهدفت ايجاد شرخ في العلاقات الكردية التركمانية لأغراض مختلفة والتي وجهت أساساً ضد الوجهاء من التركمان والكرد، ولم تؤد إلى نفس العلاقات الكردية التركمانية<sup>(١٨)</sup> لقد عاش الكرد و التركمان والعرب في مدينة كركوك وتحملوا المصائب وعاشوا الأيام العصيبة معاً.

التاريخ يذكر صفاء هذه العلاقات القائمة على مر العصور الماضية ولحد الآن، فقد تم بين التركمان والعرب والكرد التزاوج دون النظر إلى العرق أو القومية. حتى الأمثلة التركمانية و الكردية تتشابه، كذلك اضطهد التركمان بنفس القدر الذي اضطهد فيه اخوانهم العرب من قبل الدولة العثمانية<sup>(١٩)</sup> حاولت الجيوش المحتلة والسلطات الحاكمة دائماً، وعلى مر العهود المختلفة تكدير العلاقات بين السكان من القوميات المختلفة في كركوك وافتعال التناقضات

(١٧) يرجى مراجعة الصفحة الأخيرة من هذا البحث.

(١٨) مشاهير الألوية العراقية (الجزء الثاني، كركوك). عبد المجيد فهمي حسن، مطبعة دجلة، بغداد ١٩٤٧.

(١٩) كتب ناظم الطبقجلي في ٤ / ١ / ١٩٥٩ تقريراً إلى الرئاسة بأنه يجب أن تكون الدراسة بالعربية، (لأنها أفضل طريقة في لواء كركوك) بحجة أنه إذا تحولت الدراسة إلى اللغة الكردية، فسوف يطالب التركمان بذلك أيضاً.

وزرع الخلافات واطلاق الكراهية بين ابناء المدينة<sup>(٢٠)</sup> وقد لجأت إلى استغلال بعض العناصر الهزلية ودفعها لخلق المشاكل وخصوصاً بين الكرد والتركمان، ودفع عملائها للقيام بهذه المهمة، وذلك عن طريق اختلاق الدعايات والشائعات المغرضة، وكذلك الاتصال بالعناصر والتجمعات المتطرفة من الكرد والتركمان وتكوين منظمات ارهابية من عناصر الأمن ووكلائهم وتحريضهم على خلق الأضطرابات وايجاد الثغرات العنصرية والدينية والمرور منها للوصول إلى غاياتها غير النبيلة، وقد حاولت دفع تلك العناصر إلى القيام بعمليات عديدة تقربها من أهدافها الشريرة، وكذلك منذ بداية الستينات، لتمتلك الذريعة في ان تتدخل وتظهر نفسها كسلطة تحاول السيطرة على التناقضات الموجودة في المدينة وانهاؤها، وإلى جانب ذلك جلبت الالوف من الموظفين ومنتسبي الاجهزة القمعية من العرب الذين ليسوا من أهل المنطقة واسكنت عوائلهم في كركوك<sup>(٢١)</sup> كأغلب الأحزاب العنصرية الفاشية، حاولت السلطة التوليتارية الحالية إظهار صراعها مع الحركة التحررية الكردية والحركة الثقافية القومية التركمانية كصراع بين الشعب العربي والكرد، وقامت بالترويج لذلك عبر ضرب البعض ببعضهم الآخر وتحويل القضية إلى العداء القومي بين العرب والكرد، واتبعت شتى الأساليب والطرق للوصول إلى هذا الغرض، وقد فشلت جميع تلك المشاريع ولم تؤد إلى الغايات التي رسمت لها، وقد أعترف المسؤولون العراقيون ضمناً بهذا الواقع من خلال بعض تصريحاتهم.

فقد قال محافظ كركوك في سنة ١٩٧٠، أن الجماهير العربية لم تنتظر اعلان البيان لكي تعبر عن رغبتها في الحل السلمي الديموقراطي للقضية الكردية، فقد بدأت تمارس كل أنواع التجاوب واللقاء والزيارات منذ ان أعلن وجود حوار فكان العراقيون يأتون من كل أنحاء العراق إلى المناطق الشمالية قبل ان ترفع الحواجز عن الطرقات، ولم تكن الفنادق والأماكن العامة تسع لكل الزائرين القادمين، فكانت العوائل الكردية تستضيف هؤلاء العوائل الزائرة<sup>(٢٢)</sup> واذ استنفدت السلطة جميع الوسائل والاساليب الأخرى التي اتبعتها ولم تصل إلى الأهداف المرسومة لها، أظهرت حقيقتها وكشفت عن سياساتها السافرة الرامية إلى التصفية العنصرية وتذويب الشعوب العراقية غير العربية ومسح هوياتها القومية<sup>(٢٣)</sup>

(٢٠) التركمان في عراق الثورة (عبد اللطيف بندر اوغلو) بغداد ١٩٧٣.

(٢١) في اضطرابات تموز ١٩٥٩، قامت الاستخبارات العسكرية بدور سلبي ومشبوه، حيث خططت للهجوم على المسيرة التي أقيمت للأحتفال، وذلك قرب مقهى (١٤) تموز الملوك للمواطن التركماني (عثمان چايچی) لخلق البلبة.

(٢٢) منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، د. نوري الطالباي.

(٢٣) القضية الكردية، أصداء الحل السلمي عربياً، وزارة الاعلام، مديرية الاعلام العامة، السلسلة الاعلامية رقم (٥) - سنة ١٩٧٠ تحت عنوان «أنهاء المشكلة الكردية».

هذه السياسة التي كانت قد خططت لها سابقاً وبدأتها منذ أواسط الستينات، لذلك لجأت إلى الترحيل والتهجير وجلب بعض العشائر إلى المنطقة، وانشاء العديد من الأحياء الجديدة وتوسيع اسكان العرب في داخل مدينة كركوك، عدا عن منع شراء الأرض والعقارات من قبل الكرد و التركمان في مدينة كركوك ونقل الموظفين منهم إلى المناطق الأخرى في العراق، إضافة إلى الاعتقال الجماعي والإرهاب والاجبار على التخلي عن القومية والانتساب إلى القومية العربية.

نتائج هذه السياسات وممارسة منتسبي الأجهزة القمعية المجلوبة حديثاً تجاه السكان الأصليين، أدت إلى النفور منهم والتباعد بينهم وبين السكان أو النفور من أساليبهم والشعور بعدم انتمائهم إلى مجتمع المدينة وظهور التناقضات بين سكان مدينة كركوك والعناصر والأقليات الأخرى من جهة وبين العناصر العربية المستجلبية حديثاً والذين يعتبرون دخلاء، من جهة أخرى<sup>(٢٤)</sup> وهذه نتيجة طبيعية، لأن السكان الجدد لم يأتوا بصورة طبيعة ونتيجة متطلبات العيش والحضارة والتبادل والهجرة الطبيعية التي تحصل للسكان في الدول الأخرى، وانما جلبوا خصيصاً لغرض خاص وهو استخدامهم من قبل السلطة لأهداف سياسة عسكرية، وكوسيلة للقمع وكأداة في يد السلطة للسيطرة على كركوك والاخلال بالتوازن القومي الطبيعي للسكان، لذلك كان من الطبيعي جداً أن يكون رد فعل السكان تجاههم بهذا الشكل.

لا نقول بأنه لم تحصل أبداً اختلافات ولم تكن هناك مشاكل بين السكان في كركوك، لكن عند مقارنتها بالمدن المختلطة الأخرى في العالم من الناحية القومية والدينية، فإن العلاقات بين السكان كانت طبيعية جداً.

---

(٢٤) الثورة و التربية الوطنية، صدام حسين، مطبعة وزارة التربية، بغداد ١٩٧٧، عندما نعرض الفلكلور العراقي لا نجد ما يستوجب الحديث عن فلكلور كردي، وآخر عربي وثالث تركماني... الخ نقول مثلاً ، هذه رقصة من جنوب العراق وهذه رقصة من السليمانية فالانطلاق عن تصور ان الدليل على المساواة بين العربي وغيره، ان يرتدي الكردي (لغة) الراس في الرقص الشعبي الفلكلوري، أو في الغناء، هو خطأ كبير، لان هذه الصورة سيكون لها فعلها السلبي سيكولوجيا، وهي تؤدي إلى نتائج فكرية وسياسية خطيرة على المدى البعيد، يجب ان نتحدث عن العراقي القادم من السليمانية، والعراقي القادم من البصرة دون الاشارة إلى قوميته، ونتجنبها في الصورة، ونتجنبها في المفاهيم... ونحذف كلمة العرب والأكراد، إن استمرار التركيز بالقول بالشعب العربي، الشعب الكردي إنما هو انحراف بالمفاهيم، ومحاولة - سواء كانت مقصودة أو قاصرة- تؤدي إلى تثبيت أسس فلسفية للاتجاهات الشوفينية والانفصالية.

## أوضاع المدن المختلطة في العالم:

في العالم كثير من المدن التي تحوي أكثر من عنصر أو قومية أو مذهب والعديد منها خليط من الأقوام والجناس والأديان المختلطة، ومدينة كركوك ضمن تلك المدن وتتميز بسمات خاصة بها، تركت آثارها عليها جميع العوامل التي تؤثر في مثيلاتها من المدن الأخرى وتكون الطابع الخاص بها.

توجد مدن كثيرة انفجرت فيها حوادث العنف والطائفية بين السكان قديماً أو حديثاً، وذلك بتحريض من الأحزاب والجماعات المتطرفة، وكانت الأفكار الشوفينية هي السائدة والمدعومة من قبل السلطات المهيمنة ويقوم بالتنظير لها بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع العنصريين من أصحاب نظريات العنصر المتفوق وتخطط تلك السلطات لها وترسم سياساتها ثم تنفذ من قبل الأحزاب الفاشية والنازية والشوفيين من القوميون المتطرفين<sup>(٢٥)</sup> كما أنها تحاول ترسيخ هذه السياسات العنصرية وتروج لها وتستغل وسائل الدعاية والاعلام وتحرف أساليب وطرق التربية والتعليم وتوجهها بشكل يخدم أغراضها وينمي الميول العنصرية، وتحاول نشر الأفكار المسمومة بين الجماهير والترويج لها<sup>(٢٦)</sup> فتعتمد إلى الاسراف في الدعايات الكاذبة ونشرها دون ما وزن أو حساب، أملاً بأن تذر الرماد في عيون مواطنيها و لاسيما بين سواد الناس من العامة، وهناك أيضاً وجه آخر تعتمده الديكتاتوريات في سبيل الاعلان والدجل، وهو ما يزعمونه زوراً وبهتاناً من مذهب العنصرية أو العرق، على أن العرقية من وجهة نظر الحكومات الاستبدادية تستهدف القول بأن بين الشعوب والأمم تفاوتاً في المؤهلات والقابليات من شأنه أن يجعل من هذا العنصر أو ذاك شعباً أرقى في دمه<sup>(٢٧)</sup> تعتمد النظم الديكتاتورية في ترسيخ أقدامها، على عمادين أساسيين تستند إليهما في وقت واحد هما بالحرص قوة السلاح وقوة الايمان بعقيدة باطنية من شأنها أن تساعد القائمين بأمر النظام في حمل الجماهير على الاقتناع بما يدعونها إليه وعلى التحمس لنشر هذا المعتقد، والمشهور من أمر الدعاية التي يستخدمونها لأجل هذا الغرض أنها تستهدف الجمهور و تحريك العنصر العاطفي فيهم، وهي تحاول القضاء على العناصر العرقية والثقافات الأخرى وتذويب القوميات والشعوب الواقعة تحت سيطرتها، وهذا ما قام به النظام الحاكم في بغداد، خاصة تجاه سكان مدينة كركوك و المناطق المجاورة لها.

(٢٥) تاريخ العرقية، جان بواربييه، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت - لبنان ١٩٧٤.

(٢٦) في الديكتاتورية، موريس دوفرجه، ترجمة هشام متولي، منشورات عويدات، بيروت ١٩٦٥.

(٢٧) النظام الجديد، الديمقراطية والديكتاتورية، د. أديب معوض، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٢.

الدكتاتورية الفاشية تفرض نفسها تحت الشعارات والادعاءات القومية، وهذه القومية تكون قومية ظالمة ومعتدية وتهضم كذلك حقوق نفس القومية الغالبة، وتفرض أفكارها على السكان وتكبت كل حركة تهدف إلى نشر الأفكار التحررية والديمقراطية داخل المجتمع<sup>(٢٨)</sup> وهي تحاول بصورة مباشرة إبادة الأجناس والقوميات الأخرى تحت شتى الادعاءات<sup>(٢٩)</sup> إن القومية المتطرفة التي ترتبط بالنزعة العسكرية والحرب ومحاولة الهيمنة تكون مرفوضة، والشوفينية والعدوانية هي قومية لا عقلانية تؤثر في سيكولوجية الجماعة وتنشئ فيهم روح الانعزالية وتنشر بينهم روح الانتقام.

عرف روسو النزعة الوطنية على نحو يجعلها تتفق مع السلوك الأخلاقي، ولم يكن هدف النشاط السياسي وقانونه - في نظر روسو- هو تكبير الدولة، وإنما رفاهية الشعب على النحو الذي تحدده الإرادة العامة، كانت قومية هيردو فيخته متسامحة إزاء القوميات الأخرى. نسب بعضهم الدمار المادي والأخلاقي الذي جلبه الفاشيون والنازيون إلى أفكارهم القومية الشوفينية، ماتزيني كان أول من ميز بين قومية «خيرة» و قومية «شريرة». أن الأولى تتميز بالمساواة والسلام والتعاون بين كل الأمم، بينما الثانية متوحشة ومعادية ومشاغبة<sup>(٣٠)</sup> إذا كانت القومية تنزع نحو الديمقراطية وترتبط بها فهي أخلاقية، طالما كانت تناضل من أجل حقوق المظلومين، حسب رأي هانز كوهن (Hans Kohn).<sup>(٣١)</sup>

توجد مدن كثيرة في العالم يتكون سكانها من قوميات وأجناس وأعراق وحتى أديان مختلفة، وتعتمد العلاقة بينهم بالدرجة الأساسية على نوعية النظام السائد ونوعية التربية والتعليم و الممارسات التي تقوم بها الأجهزة والمؤسسات المنتفذة في المدينة، وكذلك وسائل الاعلام الجماهيري والأحزاب و المنظمات من خلال الأفكار والايديولوجيات التي تحملها والتي تؤثر بصورة مباشرة على عقول وعواطف وسلوك المواطنين من الجماعات التي تنتمي إليها وتتسلط عليها وفي تكوين الرأي العام ومن خلال انعكاسها على ممارسات الجماعات المختلفة تجاه بعضها، والعامل الرئيس الآخر الذي يؤثر في سلوكية هذه الجماعات، وهو مستوى الثقافة التي وصلتها تلك الجماعات والصفات والخصال الانسانية الأخرى التي تتطلى بها.

(٢٨) محاضرات في الفاشية، بالميرو وتولياني.

(٢٩) كفاحي، ادولف هتلر، ترجمة لويس الحاج، دار صادر، بيروت ١٩٦٠.

(٣٠) القومية ..... نحو نظرة علمية معاصرة، هوراس دافيزو ترجمة سميركرم مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٠.

(٣١) القومية ..... نحو نظرة علمية معاصرة، هوراس دافيزو ترجمة سميركرم مؤسسة الأبحاث العربية ١٩٨٠.

## الواقع الاجتماعي والديمقراطي

يستطيع الفاحص للعلاقات الاجتماعية في المجتمعات المختلفة ان يبين بانها تتغير من حيث طبيعتها تبعاً لأمر عدة، منها نطاق عضوية المجتمع وكيفية الاندماج فيه والتركيب والتكوين لهذه الجماعة المعينة، وبمعنى آخر الفئات أو العناصر التي يتكون منها المجتمع، طبيعة الاتصال الاجتماعي بين الافراد المكونين له، القيم الروحية والنفسية والفكرية السائدة فيه، ونظام الحكم السائد ونوع التربية وحتى الرقعة الجغرافية التي يعيش عليها افراد المجتمع ، يمكن ان تؤثر في هذه العلاقات.

من حيث العضوية وكيفية الاندماج نجد ان هناك مجتمعات مغلقة كالمجتمع الذي يقوم على أفكار متوارثة والمجتمعات المنفتحة على الآخرين، ومن حيث التكوين أو التركيب نجد أن هناك المجتمعات المتجانسة التي يعيش فيها الجميع كمواطنين بلا تفرقة طائفية أو عنصرية، والمجتمعات المتجانسة المتكونة من عدة أقليات وأغليات ينقصها الانسجام والتعاون.

الفرد أياً كانت صفته، تربطه بالآخرين روابط وعلاقات، فهو يسعى في علاقاته اليومية مع الناس أن تكون هذه العلاقات قائمة على الود والصداقة والتعاون والاحترام وينظمها السلوك، في رأي (Coutlip & co) فإن العلاقات العامة هي الجهد المخطط للتأثير في الأفراد والاتجاهات خلال أداء جيد ومسؤول اجتماعياً.<sup>(٣٢)</sup>

وسائل الاتصال تشكل عامل تنمية وسبباً من أسباب اسهام المواطن بشكل نشط، وعنصراً متزايد الأهمية من عناصر الثقافة المعاصرة، يتأثر سلوك الأفراد بوسائل الاتصال الجماهيرية والتي تستطيع توجيهه بالكيفية التي تترتبها ويخضع لها الفكر، خاصة الأحداث، ولها دور مهم في إشاعة المعرفة وتنظيم الذاكرة الجماعية للمجتمع، ولها دور فعال في تكوين الرأي العام وبلورته.

نلاحظ التزايد المطرد لعدد الأفراد الذين يخصصون جزءاً كبيراً من أوقات فراغهم لقراءة الصحف والمجلات والاستماع إلى الإذاعة ومشاهدة التلفزيون على وجه الخصوص، لذلك يجب عدم تفويت الفرصة والاستفادة من وسائل الاعلام لإشاعة الديمقراطية، وتوجيه الأطفال والأحداث بصورة خاصة، بحيث تنمو وترسخ بينهم الأفكار الديمقراطية والمسائل الانسانية مثل التعاون والتضامن الشعبي<sup>(٣٣)</sup> ان احدي مهام التربية هي تنمية استعدادات التلميذ حتى

(٣٢) العلاقات العامة، د. زكي ابراهيم هاشم، جامعة الكويت ١٩٩٠.

(٣٣) النظام الاعلامي الجديد، د. مصطفى المصمودي ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، الكويت ١٩٨٥.

يصبح قادراً على تقييم وضع المجتمع الذي يعيش فيه وتؤدي ضمنه وسائل الاعلام دوراً مهماً للغاية<sup>(٣٤)</sup> لما للاعلام من قيمة تربوية وتأثير في تكوين الفكر، مما ينشأ عنه عمل الاعلام التربوي المهياً للتكيف مع الوسط الاجتماعي، فالمشكلة المطروحة اذن هي مشكلة دمج التجديد في النظام التربوي، لذا ينبغي تحديد علاقات جديدة بين التربية ووسائل الاعلام للتوصيل إلى عمل مركز متوازن في عملية التربية.

من الوظائف الرئيسية للاعلام التثقيف والتربية ونشر المعرفة على اساس تنقيح الأذهان وتكوين الشخصية وشحن الكفاءات وتنمية الذوق وتهذيبه والنهوض بالانتاج الفكري، وانما يحصل هذا عندما تسود العلاقات الديمقراطية السياسية والاجتماعية في مجتمع معين، ومنها اقرار الديمقراطية الثقافية، وهذا وارد ضمن الاعلان العالمي لحقوق الانسان<sup>(٣٥)</sup> ان وسائل الاعلام هي أوات ثقافية لدعم المواقف او التأثير فيها، وعلى توحيد نتائج السلوك وتحقيق التكامل الاجتماعي.

الديمقراطية في مجتمع ما هي نظام للحكم ينزع إلى ادخال الحرية في العلاقات السياسية، وهي علاقات موجودة في صميم كل مجتمع منظم سياسياً لكن اشتراك المبدأ الديمقراطي بفكرة الحرية الانسانية لا تكفي لتفهم المعنى الحالي للديمقراطية. إن علينا أن نتعرف إلى محتوى هذه الحرية، ذلك أن هناك تفسيرات مختلفة للحرية، تفسيرات قد تكون متكاملة أحياناً ولكنها قد تكون متناقضة أحياناً أخرى، أن أول مفهوم للحرية هو الذي يجعلها مساوية للاستقلال الذاتي، وهو يظهر في الواقع بانعدام الضغط والارهاب والشعور باستغلال جسدي وفكري<sup>(٣٦)</sup> ان الديمقراطية ليست بالنسبة لهذه الحرية التي يكمن مبدؤها في جوهر الكائن البشري، إلا آلة تقنية او مجموعة من تدابير الحماية أو نموذج في الحكم يؤمن بين حرية الانسان وضرورات التنظيم السياسي، وبالتالي فان الحقوق السياسية لا تشكل هدفاً في ذاتها، ان فائدتها هي في تجنب انحطاط اخلاق العصر، كلما ارتفع مستوى التعليم في بلد ما كلما سنحت فرص أفضل للديمقراطية<sup>(٣٧)</sup> أن سعة وكثافة الحدث الديمقراطي قد يشكلان أية دراسة، لانهما يضطران الباحث إلى الانتقال باستمرار، من

(٣٤) هنري ار. كاسيدر، في دراسة قدمها إلى اللجنة الدولية لدراسة مشاكل الاتصال.

(٣٥) أ- الاعلان العالمي لحقوق الانسان، صادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة ١٩٤٨.

ب- الاتفاقية الأوروبية لحقوق الانسان، د.عبدالعزيز سرحان، دار النهضة ١٩٦٤.

(٣٦) الديمقراطية، جورج بورديو، ترجمة سالم نصار، دار الاتحاد ١٩٦٣.

(٣٧) رجل السياسة، الأسس الاجتماعية للسياسة و سيور مارتن ليبستو ترجمة خيرى حمادة وشركائه، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

مستوى إلى آخر، وبالتالي إلى تغيير أساليبه وطرقه والقيم التي يستعملها كمراكز لمراجعته. أن حرية المواطن إنما هي من مقومات شخصيته وهي ترتبط به أينما حل وارتحل، لأنها غير مشروطة وليست وراثية، ان القضية عملياً هي مسألة إقامة مؤسسات دستورية تستطيع بفضلها الادارة الجماعية ان تخضع موقف الحاكمين للسؤال.

أن إرادة الشعب في المفهوم الأولي للديمقراطية مرتكزة على حقوق الإنسان، إن معنى الديمقراطية سياسياً هو تحرير الفرد من جميع أشكال الضغط الحكومي و تحقيق مساهمته في اقرار العلاقات المتكونة في المجتمع. الضغوط يمكن أن تأتي بنتائج عكسية، خاصة حينما تكون الحكومة المركزية منخرطة في هيمنة أو استغلال، أو حتى إذا لم تكن على قدر كاف من القدرة للاهتمام بالمشاعر المحلية.

يقوم عالم الاجتماع الانكليزي س. د. ا.ج. كوليس: إنني أوّمن بالديمقراطية على أساسين، أولهما انه من حق كل مواطن ان يشترك في تحديد النظام السياسي والاجتماعي للمجتمع الذي يعيش فيه، ولان الديمقراطية في حد ذاتها من أنواع المباشرة الاساسية للنشاط الحضاري الخلقى للبشر، اقصد بها تنظيماً عاماً للمصالح والشؤون العامة للمجتمع، يستهدف أن يمنح كل فرد فرصة ممكنة للحصول على ما يريده من رفاهية، وأن يمنح كل مواطن الحق في حرية اقناع الآخرين بوجهة نظره في كيفية سير جهاز الحكم والوسائل التي يجب ان يصل عن طريقها إليه.

الاساليب السلوكية في أي مجتمع هي العماد الذي يقوم عليه المجتمع فهي التي تنظم العلاقات التي تربط افراد المجتمع بعضهم ببعض، وهي تعمل على تنظيم المجتمع وتنسيق حياة الأفراد فيه، وتعتمد الأساليب السلوكية في بقائها على ما نسميه بالقيم الاجتماعية، ويختلف سلوك الأفراد في المجتمع باختلاف الظروف والملابسات التي يعيشون فيها. نستطيع أن نشير إلى المدينة، بأنه جماعة من الناس تربطهم ببعضهم عادات وأهداف مشتركة من نتائجها ايجاد جو من المودة والألفة، وسريان الروح الجماعية.

التراث الاجتماعي هو الشيء الثابت في المجتمع لأجيال عديدة وتكون مترسخة مثل اكرام الضيف، المحافظة على التقاليد، نصرته الضعيف، احترام الغير، عدم الاعتداء على الغير وروح التسامح والتعاون<sup>(٣٧)</sup> الثقافة في مجتمع ما، فيها ما هو عام وما هو خاص، ومقصود على فريق من هذا المجتمع، وهي تختلف باختلاف الأزمان والأحداث. طبيعة العلاقات تختلف من مجتمع إلى آخر.

(٣٧) أسس العلاقات الانسانية، د.محمد عبد المنعم نور، مكتبة القاهرة الحديثة.



يرى ممفورد ان حاجات البشر نوعان، حاجات تتصل بالبقاء و حاجات تتصل بالاشباع، ويشير إلى ان الفصل بين هذين النوعين من الحاجات لغرض التحليل يفضي إلى الارتباط بينهما.

إذا نظرنا إلى حاجات البقاء كالحاجة إلى الهواء والمأوى والغذاء والمال نرى أن من الصعوبة الاستغناء عنها، الاشباع في الحياة يتطلب أن يتحرر البشر من الخوف المفرط، لان الخوف المستمر يولد الكراهية والريبة والتوجس والخنوع والاستياء، ولا يولد الحب، أي نوع من البشر كنا، فان الحاجة إلى الانتماء تعتبر أساساً لاستقرارنا ورفاهيتنا وتعني الشعور بالأمان، الانتماء القومي والثقافي من حاجات الفرد الروحية الأساسية، التي تشعره بوجوده وكيانه وارتباطه بالآخرين.

الناس بحاجة إلى مزيد من التربية والتعليم والثقافة والمشاعر الانسانية وتفهم الديمقراطية، لكي يتقبلوا الآخرين كما هم، جميع أفراد اقلية معينة ليست ثمرة نفس العوامل البيولوجية، وانما هي حصيلة ظروف ثقافية واجتماعية يمكن تخفيفها وتغييرها، كما يمكن ان يكون الاتصال الايجابي و التعاون المشترك بين كل الجماعات وسيلة لتنمية التفاهم في تقبل الفرد على ما هو عليه.

لاشك ان اختلاف الثقافات وتعدد الظروف الفردية لا يفتأ يضيف على الدنيا وسامة وثرأ، يزداد ان يمنح الأفراد والشعوب والأمم الحق في أن يختلف بعضها عن بعض دون النظر إلى هذه الفروق على أنها من العوامل التي تبعدها عن بعضها أو تسبب التناقض في مصالحها وتؤدي إلى البغضاء بينها.

ان مشكلة العلاقات الانسانية رغم أبعاد العالم المترامية الاطراف، ليست مشكلة وهمية أو بعيدة أو منفصلة عن الحياة، بل أنها تمس كل فرد منا وكل منا يحاول حلها في حياته. نستطيع ان نتبينها من خلال اسهام كل فرد في حلها أو تعقيدها. ان الفلاسفة منذ بدأ الانسان يبتدع الصور المختلفة لتنظيم حياته الاجتماعية، وظلوا يفكرون في أمر علاقة الانسان بالانسان، ولا سيما علاقة الفرد بالجماعة، ودور الفرد في الكل الاجتماعي ومسؤولية الجماعة نحو الفرد.

ديناميكية سلوك الفرد تعتمد على فهمه للديمقراطية والمباديء التي يسير بمقتضاها والدوافع التي تكمن وراء كل أنواع السلوك المختلفة<sup>(٣٨)</sup> توجد مدن كثيرة في العالم أكثر من

(٣٨) تنمية العلاقات الانسانية الديمقراطية، الجمعية الأمريكية للصحة والتربية الرياضية، ترجمة. د.ابراهيم حافظ، مكتبة الانجلوا المصرية ١٩٦٤.

قومية وعنصر وتختلف العلاقات بين الجماعات العرقية فيها على انظمة الحكم السياسية السائدة ونظام التربية والتعليم فيها وكذلك ثقافة الجماعات المعنية والمعتقدات التي تحملها وسلوكيتها وتفكيرها والأحزاب التي تقودها واتجاه الرأي العام فيها، جميعها مرت بفترات مختلفة، كما هو الحال في مدينة كركوك، ولم تكن العلاقات ودية غالباً مثلما كانت في مدينة كركوك إلى ما بعد أواسط القرن العشرين.

في بعض هذه المدن سادت العلاقات المتوترة إلى فترات طويلة، بسبب السياسات العنصرية المتبعة وأنظمة الحكم الديكتاتورية والفاشية ودفع العنصر أو القومية الغالبة إلى تحقير واضطهاد القوميات الأخرى والضغط عليها وتأليب الرأي العام على أفرادها ومحاولة عزلهم وتذويبهم، حتى بلغ الأمر إلى تشكيل المنظمات الارهابية الخاصة لتصفيتهم، تحت انظار السلطات وتشجيعها أو المشاركة الفعلية المباشرة و الساخرة في تلك العمليات وبصورة مخططة.

ظهرت هذه الممارسات في أواسط القرن التاسع عشر واشتدت وطبقت بصورة منظمة في مرحلة ظهور الأحزاب النازية والفاشية والحركات القومية المتطرفة واستمرت في الكثير منها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، لكن في مدينة كركوك نمت هذه الظاهرة واشتدت في ستينات القرن العشرين وذلك بصعود النازية إلى دفة الحكم في العراق وأخذ زمام المبادرة بيدها باسم القومية العربية، هذه الأنظمة الفاشية عملت على نقض المعاهدات الدولية بشأن حقوق الانسان واشتراك القسم غير الواعي والمتطرف في هذه الأعمال غير الانسانية وتأليب السكان على بعضهم وذلك للمحافظة على مصالحها وبقاء هيمنتها على الشعب.

نذكر على سبيل الحصر بعض الأمثلة على التمييز العنصري في العديد من المدن إلى عهد قريب جداً، منها بعض المدن الأمريكية التي استمر فيها التمييز ضد السكان السود والأصول الآسيوية وعزلهم وقيام عصابات الكوكلس كلان والجاميع المتطرفة الأخرى بالاعتداء عليهم وعلى ممتلكاتهم إلى حد الوصول إلى ارهايبهم واغتياهم، ذلك غيتوهات اليهود في كثير من المدن الأوروبية - وكمثال وارشو- وخصوصاً في عصر السيادة الفاشية والنازية وسوق الألوف منهم إلى الموت، وفي جوهانسبورك في جنوب أفريقيا.

انفجرت حوادث العنف العنصرية والطائفية بتحريض ودفع من الأحزاب الفاشية والجماعات المتطرفة بدعم من السلطات الدكتاتورية، كما كانت الحال في بيروت والقدس والخليل، كذلك في مدن يوغسلافيا القديمة في أقاليم البوسنة بين الصرب و الكروات والالبانيين، وفي كرواتيا بين الالبانيين والكروات وفي المدن الايرلندية ومدن مناطق الباسك، ومنها كذلك مدن منطقة كشمير بين المسلمين والهندوس والسيخ وغيرهم، حيث ذهب ضحية

تلك الأحداث الألوفا من السكان. كذلك بعض المدن الأفريقية التي كانت مسرحاً للمذابح تجاه بعض العناصر والاثنيات الضعيفة<sup>(٣٩)</sup> هذه الحوادث تخدم مصالح فئة معينة ومحدودة من السكان وتستغلها لفائدتها وتضر الغالبية العظمى من السكان، انفجار حوادث العنف هذه يترك جراحاً عميقة بين السكان في تلك المدن وتؤثر سلبياً في جميع جوانب الحياة فيها تسود فيها الهمجية وتبعدها عن الحضارة ومواكبة العصر، وتحطم ما بنته الأجيال من العلاقات الاجتماعية الصميمة والتي تحتاج إلى جهود جبارة وأجيال عديدة لاصلاحها وبناء العلاقات الطبيعية المبنية على التضامن مرة أخرى بين السكان هذه التي تدعو إلى الاستعلاء القومي والعنصري والنظر إلى القوميات الأخرى كمخلفات التاريخ أو عناصر أدنى، تدعو إلى اذابتهم وصهرهم أو طردهم وابعادهم وتفقيتهم.

سياسة التفرقة العنصرية والاضطهاد والقهر وعدم السماح للقوميات الصغيرة بالتعبير عن نفسها ومكافحة ثقافاتنا ومصادرة حقوقها وعدم السماح لها بممارسة شعائرها وطقوسها والتمتع بالحرية في التعبير عن أمنيتها ومشاعرها وآرائها وسد جميع السبل أمامها، تولد لديها رد فعل يكون في بعض الأحيان، كنتيجة طبيعية، عنيفاً جداً وتلجأ إلى وسائل القوة السافرة والارهاب والاعتقال وبذلك تفتح الطريق أمام المتطرفين من جميع الأطراف.

في بعض المدن، ما زالت تلك الأساليب والطرق والممارسات هي السائدة، وذلك لعدم تطبيق الديمقراطية في الحياة السياسية الاجتماعية، وكمثال على ذلك مدن البوسنة ومناطق مقدونيا والقدس ومدن سيناء والضفة الغربية وكذلك مدن الأقطار الأفريقية والهند، وفي بعضها الآخر تقف الأحزاب القومية والعنصرية والدينية المتطرفة وراء الأحداث، كما في بعض المدن الأوروبية وخصوصاً ضد الأجانب الذين يجولون في هذه البلدان، كلما اتسعت مديات الديمقراطية وترسخت أساليبها في الحكم واحترمت الشخصية الانسانية وعمت المساواة بين أبناء الشعب، كلما تقاربت الشعوب والمجاميع القومية والدينية من بعضها في مدينة واقليم معين واختفت التناقضات فيما بين السكان وعاشوا بوتنام وتقبلوا بعضهم البعض واندمجوا أكثر<sup>(٤٠)</sup>

الاسلام والديانات السماوية الأخرى تدعو إلى حماية حقوق الفرد والمجموعات، وقد صدرت كذلك معاهدات دولية واتفاقيات وبروتوكولات خاصة بحقوق الانسان وضد التمييز العنصري

(٣٩) ادارة المدن الكبرى في العالم، جامعة الدول العربية، المؤتمر العربي الثالث للإدارة المحلية، ٢٢، ٣١ آذار ١٩٧٥، اعداد طاهر موسى عطية.

(٤٠) حقوق الانسان والمجتمع المدني بين النظرية والتطبيق، د.كامران صالح، مؤسسة الرافدين، لندن ١٩٩٩.

وحفظ حقوق الأقليات<sup>(٤١)</sup> فحوادث العنف العنصرية في مدن أمريكا قلّت كثيراً وكذلك في مدن جنوب أفريقيا وروسيا السابقة وذلك بتطبيق الديمقراطية السياسية والاجتماعية وتطبيق قوانين حقوق الانسان، ومكافحة الأفكار العنصرية وكل من يدعون إليها.

توجد مدن كانت العلاقات بين السكان فيها جيدة ولم تحصل فيها حوادث العنف اللافتة للنظر بين السكان، من أمثال مدن بازل ولوزان وجنيف في سويسرا وكذلك مدينة شتراسبورغ الفرنسية في اقليم الالزاس وسكانها يتكلمون الفرنسية والألمانية، ومدينة نيس حيث سكانها من الفرنسيين والايطاليين، كذلك مدن كلا جنفورت (Klagenfurt) وايزن شتات (Eisenstadt) في النمسا وبعض المدن البلجيكية التي يتكلم قسم من سكانها الفلمنكية والقسم الآخر من الوالون (Wallwons) يتكلمون الفرنسية، ولهم نفس الحقوق ويكونون مجتمع المدينة العنصرية المتجانسة<sup>(٤٢)</sup> وتوجد أمثلة كثيرة أخرى في عالم اليوم على الممارسات الطبيعية الصحيحة بين المجاميع القومية في المدن المختلفة، بعد تطبيق الديمقراطية واعطاء حقوق الأقليات وبناء العلاقات الطبيعية بين السكان ومحاربة العنصرية وتغيير نظام الدراسة واطلاق الحريات العامة وعدم منع انشاء الجمعيات الثقافية والمنظمات السياسية واحياء التراث القومي.<sup>(٤٣)</sup>

في الدول الديمقراطية المتحضرة، عدا عن سن القوانين واصدار الأنظمة التي تمنع التمييز العنصري ومعاقبة الممارسين له، فإن أنظمة التعليم ووسائل الاعلام ومناهج الأحزاب والمنظمات تروج للعلاقات الطبيعية الودية بين السكان وتعمل على فضح المجاميع العنصرية وعزلها.

لذا يجب تحويل مدينة كركوك وتهيئة الظروف لها، بحيث تصبح بجد وبصورة واقعية مدينة قوميات والأثنيات المختلفة وتصبح نموذجاً يقتدى به وتجسداً حياً للعلاقة بين القوميات، ليس في كردستان فقط، وانما في جميع أنحاء العراق الأخرى.

مفهوم المدينة الكبرى يتوقف على علاقة حجم المدينة بالعدد الكلي للسكان ونسبهم فيها، وكذلك الملامح الاقتصادية والقومية المختلفة فيها والأهمية السياسية للمدينة ومدى السيطرة المحتملة للمدينة المختلفة الكبرى على الجو العام للسياسة القومية في الدولة.

---

(٤١) المعاهدات الاوروبية لحماية حقوق الانسان، مجلس اوروبا، محمود شريف بسيوني دار العالم للملايين ١٩٨٩.

(٤٢) جغرافية العالم الاقليمية، اوروبا والاتحاد السوفيتي، الجزء الأول، ١٩٦٤.

(٤٣) اوروبا في مجرى التاريخ، د. محمود جلال الدين الجمل ١٩٧٩.

مدينة كركوك تحمل جميع خصائص المدينة الكبيرة من حيث الأهمية الاقتصادية أو القومية أو غيرها، إذا قارنا هذه المدينة بمثيلاتها في البلدان الأخرى، نجد ان العلاقات بين أهل المدينة الأصليين تمتاز بالمحبة والصفاء.

اختلط الكرد والتركماني والعرب، من أهالي كركوك الأصليين إلى درجة انه عدا تأثيرات اللغة والعادات والتقاليد والعرف والاخلاق والخصال الشخصية المشتركة المتكونة عندهم على مر السنين، فانهم اندمجوا بعضهم ببعض كثيراً والكثير منهم يتكلم اللغات الثلاث، بحيث بات الغرباء لا يفرقون بينهم. في التجارة والتعامل اليومي في السوق تسود بينهم الثقة المتبادلة، وتعتمد كلماتهم ومواثيقهم وعهودهم ويتكفل بعضهم بعضاً في المواضيع المالية والحسابية ويضمن بعضهم بعضاً في المحاكم وغيرها.

تشاركوا دائماً في السراء والضراء، تبادلوا الزيارات ويساعد بعضهم البعض عند حدوث المصائب، الصداقات بين أفراد القوميات والطوائف المختلفة تكون في كثير من الأحيان أقوى بكثير من مثيلاتها بين أبناء نفس القومية أو الطائفة، المثقفون الكرد والتركماني وقفا دائماً أمام محاولات تشويه العلاقات وتكديرها من أمثال هجري ده ده واسيري، وكذلك الشخصيات الدينية والاجتماعية المعروفة، من أمثال الشيخ عبد الرحمن الخالصي والشيخ محي الدين كركوكي والشيخ حسن قر جيوار، والشيخ رضا الطالباني والسيد احمد خانقاه وخادم سجاده وكثيرون غيرهم. الشخصيات الاجتماعية والمحترمة كانت مسموعة الكلام وأراؤها كان يحسب من قبل الجميع أياً كانت قومياتهم أو طوائفهم.

الطرق الصوفية استهزت السكان، سواء من الكرد والتركماني أو العرب، يتجمعون إلى الآن مع البعض في حلقات الذكر ويلقون المديح بهذه اللغات ويتبعون شيخوهم.

لا توجد محلة قديمة في كركوك خاصة باحدى القوميات، بيوتهم متلاصقة وعلاقات الجيران هي خاصة من أي عنصر كان، لكن السلطة شوهت هذه الحالة بترحيل العوائل واسكان عناصرها في هذه الأماكن، الأحياء القديمة في كركوك: الجي - الملقى - إمام قاسم - جوقور - كوبري باشا - يدي قزلىر - صاري كهية - بگلر - حلواجيلر - عرفة - الماس - پريادي - بولاق - گاورياغي - ميدان - نفت درسن - ملا عبدالله - تعليم تپه - تسعين القديمة والجديدة - شاطرلو - قصاب خانه - رحيم اوة - قورية - باباگورگور - الأسكان - طريق بغداد - المحطة.

لا توجد محلة من هذه المحلات خاصة بالأكراد أو التركماني أو العرب، وانما يوجد فيها دائماً أغلبية وأقلية من القوميات الثلاث.

## مستقبل المدينة:

مدينة كركوك تستطيع ان تصبح بحق مدينة القوميات والأثنيات المتآخية ليس في العراق فحسب، وانما في الشرق الأوسط كذلك، وتستطيع ان تجسد التلاحم بين القوميات والأديان المختلفة وتعايشها مع البعض، خصوصاً وأن لها المقومات التاريخية والاجتماعية والحضارية التي تؤهلها لهذا الدور، إذا سنحت لها الظروف والعوامل المناسبة وأزيلت العوائق والعقبات واختفت الظروف الاستثنائية واحييت فيها العلاقات القديمة وازيفت إليها الأساليب العصرية وأعطيت الفرصة لكي تنتعش وتتطور بصورة طبيعية.

لا توجد أسباب تدعونا إلى الخوف من المستقبل، إذا ما تهيأت مقومات الديمقراطية واختفت ممارسة القهر وازيلت أسباب الطغيان والاضطهاد.

يوجد الآن تفهم أكبر وتقبل أكثر للأخريين بين القوميات والطوائف في كردستان، تشكلت في ظل الديمقراطية في كردستان أحزاب ومنظمات عديدة للتركمان وفتحت لها مقرات في مدن كردستان بجانب مقرات الأحزاب الكردية وتوجد كذلك أحزاب وجمعيات للطوائف المسيحية وللقوميات القديمة في كردستان كالأشوريين، ولذلك نستطيع الجزم بان هذه العلاقات ستستمر و تتطور إذا ما تكاملت عناصر الديمقراطية في عراق المستقبل، وأولى الخطوات في هذه السبيل هي زوال الدكتاتورية واشاعة الديمقراطية السياسية والاجتماعية.

بعد زوال مقومات النظام الدكتاتوري واجهزته واحلال النظام الديمقراطي في بغداد، يجب العمل على القضاء على كل ركائز العهد الدكتاتوري ومخلفاته وكل ما من شأنه الوقوف كعقبة في طريق العلاقات الطبيعية بين سكان كركوك.

بعد اقامة نظام ديمقراطي في العراق على أساس الفدرالية و يجب العمل السريع على ارجاع الأوضاع في مدينة كركوك إلى ما كانت عليه قبل تطبيق السياسات الشوفينية والقسرية تجاه سكان المدينة.

بعض الخطوات في هذه السبيل هي تخبير المهجرين والمرحلين من أهلها في الرجوع إليها وتعويضهم عن الأضرار التي لحقت بهم ومنحهم المساعدات الكفيلة ببدء الحياة وتوفير سبل العيش أمامهم، وارجاعهم إلى الوظائف والأعمال التي مارسوها قبل الترحيل وتوفير السكن لهم. إلغاء جميع القوانين والتعليمات والأجراءات المجحفة بحقهم وارجاع حقوقهم الكاملة لهم، وكذلك رفع الحجز والمصادرة عن ممتلكات المواطنين وتسهيل ممارستهم لجميع الحقوق القانونية التي يمتلكونها. اعطاء رواتب تقاعدية مناسبة للعمال والموظفين الذين طردوا ولكنهم لا يستطيعون الرجوع إلى وظائفهم بسبب المرض أو الكهولة، أو الذين توفوا بعد فترة الطرد

ومنح عائلاتهم اكراميات تتناسب مع ماكانوا يمارسونه، مساعدة أبناء العشائر العربية على الرجوع إلى أماكنهم الأصلية ومنحهم التعويضات اللازمة بسبب الأضرار التي يتعرضون لها ومساعدتهم على الاستقرار مرة أخرى في أماكنهم، نقل منتسبي القوات المسلحة والشرطة والأجهزة الأخرى إلى المناطق والمدن التي أتوا منها حيث جلبوا بسبب الأوضاع الاستثنائية، وكذلك ارجاع الموظفين الذين نقلوا من كركوك قسراً ومساعدتهم على الاستقرار في المدينة إذا رغبوا هم في ذلك

اعطاء الحرية الكاملة للمواطنين في اختبار الرجوع إلى المدينة أو البقاء في المناطق التي نزحوا إليها وتقديم التسهيلات اللازمة بهذا الخصوص لكن يقطع أي شكل من أشكال المساعدات التي تمنح للاجئين والمهجرين، إذا اختاروا البقاء في تلك المناطق. تفضيل أهل المدينة والمنطقة في التعيين واشغال المراكز الادارية والفنية في الادارات والدوائر الرسمية، منح رواتب تقاعدية للذين قتلوا أو اعدموا من قبل السلطة أو اختفت آثارهم بسبب اجراءاتها التعسفية.

توزيع البيوت الفارغة في الأحياء المبنية لمنتسبي الأجهزة الخاصة، على المواطنين المستحقين، بشروط خاصة، بعد نقل منتسبي تلك الأجهزة . عدم اجبار المواطنين الذين نزحوا إلى كركوك واختاروا البقاء فيها ويشغلون في الأعمال الحرة على تركها، لكن تحجب الامتيازات التي منحت لهم لأسباب سياسية. انجاز المشاريع الخدمية والعمرانية الكفيلة بتطوير المدينة والاسراع بتكملة مشروع ايصال الماء من الزاب إلى داخل مدينة كركوك.

فيما يخص شركة النفط، إعادة الموظفين والعمال الذين طردوا لأسباب سياسية إلى وظائفهم ومراكزهم وتأهيلهم مرة أخرى ومنحهم جميع الامتيازات التي منحت لزملائهم في العمل، تخيير موظفي شركة النفط الذين نقلوا من وسط وجنوب العراق بين البقاء أو الرجوع إلى وظائفهم الأصلية، ارجاع المنتسبين غير الفنيين الذين استقدموا فقط لقضايا سياسية أو أمنية إلى وظائفهم خارج شركة النفط، مع دفع التعويضات لهم.

ازالة أسباب تلوث الهواء والماء الناجمة من اخراج وتصنيع البترول المؤثرة على سكان المدينة وتطوير جميع مرافق الحياة فيها بما تلائم وما يمنح من الثروات الطبيعية للبلد وتوفير مستلزمات الراحة لسكانه الذين عانوا لسنين طويلة.

فيما يخص الأوضاع السياسية، القيام باحصاء جديد في مدينة كركوك، وذلك بعد ارجاع الأوضاع إلى طبيعتها وانهاء الخطوات الكفيلة بتهيئة الأوضاع وانتهاء فترة انتقالية مناسبة، مع توفير جميع المستلزمات الضرورية لها، لتحديد نسب القوميات والأعراق الموجودة في

المدينة، بعيداً عن كل قهر.

اعطاء الحرية الكاملة للناس لتحديد قوميّاتهم بأنفسهم، وعدم اجبار أي مواطن على اتخاذ أي قرار أو منعه، عدم الوصاية على الناس والتوجيه السياسي وأساليب الاعلان الذي يشم منه أي نوع من الاجبار أو التهديد أو الاعزاز.

لا ينبغي أن يسعى الاعلان والدعاية (Advertising) إلى التأثير في اتجاهات الجماهير بهدف تحقيق مصالح خاصة قد تتعارض مع مصالح الجماهير وتطلعاتها وقد تكون هناك وسائل غير أخلاقية كالكذب والتضليل والغش والوعود المعسولة والحقائق المشوهة.

لان الانتماء القومي هو احساس داخلي وشعور خاص يرتبط بالشخص المعني وتتحكم فيه عوامل كثيرة وتؤثر فيه الظروف المحيطة، فلذلك لا معنى لاجبار الشخص على اختيار معين، ولا ينسجم هذا مع العقل والمنطق ولا يتطابق مع أساسيات الديمقراطية، فإذا اختار شخص معين بمحض ارادته الانتماء إلى قومية معينة، فيجب احترام ارادته واختياره وعدم منعه بحجة ان عائلته كانت تنتسب إلى القومية. من أبسط مقومات الحقوق الفردية والمدنية هي أن يحدد الشخص بنفسه هويته القومية وما يميل إليه. في هذا الصدد يمنع ما قد يكون ضغطاً على السكان من قبل السلطات الحكومية أو الأحزاب أو المنظمات والجمعيات غير الحكومية وعدم التدخل في شؤونها.

عدم السماح باستغلال الناس، وذلك بمنح مساعدات أو امتيازات مباشرة أو غير مباشرة لتشويقهم أو دفعهم لتغيير قوميّتهم أو حجب تلك الامتيازات عنهم كوسيلة للضغط النفسي عليهم.

منع نشر أو ترويج الافكار العنصرية والشوفينية أو التي تدعو إلى العداة القومي والديني وخلق الأضطراب بين سكان المدينة وتفضيل عنصر معين منع الكتب العنصرية الهدامة، الدعوة إلى التضامن القومي وتشجيع ما من شأنه نشر روح الإخاء والمحبة بين السكان، وإقامة المهرجانات الفنية والثقافية المشتركة والمعارض، لغرض جميع المسائل الحياتية التي تعكس واقع المدينة والمجاميع التي تمثلها، وعرض أجمل وأحسن ما لديها واعطاء الطابع الخاص بها، وبذلك يتعرف الناس على الجوانب الحضارية والثقافية للمدينة وتنتفتح القوميات على بعضها وتندمج أكثر، إذا ازيلت أسباب الخوف من بينهم.

منح الحريات الكاملة لتشكيل النوادي الثقافية والفنية والمنظمات المهنية وتشجيع نشر ما يدعو إلى الإخاء والتضامن والتفاهم وفتح قنوات الاتصال المختلفة للتبادل الثقافي وتقريب وجهات النظر وكل ما يشجع على الإنفتاح الثقافي.

اتاحة الفرص المتكافئة امام السكان للتعليم واعادة النظر بنظام التعليم والتربية والدراسة



باللغة التي تمتلكها الأكثرية في مدرسة معينة، واعطاء الإختيار للإنتقال إلى مدرسة اخرى قريبة تدرس فيها اللغة التي يحبها التلميذ، وفتح مدارس بجميع اللغات وذلك بنسب القوميات الموجودة في المدينة واعطاء الحرية الكاملة للتعليم فيها مع توفير جميع المستلزمات الضرورية للدراسة فيها، مع توفير الكادر الفني والمربي المتسامح مع تأهيلهم بحيث يتعاملون مع التلاميذ بصورة متساوية وتكون نظرتهم إلى القوميات غير متحيزة وغير متحاملة لكي يستطيعوا كسب ثقة الطالب.

عدم فسح المجال امام التعليقات الكلامية والكتابية عن القوميات وكل ما يدعو إلى الحساسية ويكون ثغرة تؤدي إلى حدوث المشاكل العنصرية.

احياء التراث والتقاليد الشعبية في كركوك واشراك كل العناصر التي تمتلك طاقات كامنة ومساعدتها على شحذ قابلياتها وتشجيعها في خدمة الصالح العام.

حرية النشر والإعلام وفتح قنوات التلفزيون باللغات الأساسية وتحديد أوقات مناسبة للبث باللغات الأخرى حسب نسبة السكان الموجودين للمساعدة في تعلم اللغات الأساسية المستعملة في المدينة، والمدينة هي التي تقدم التسهيلات اللازمة لذلك.

التعامل في الدوائر الرسمية باللغات الثلاث العربية والكردية و التركمانية وتهيئة الاستثمارات المختصة باللغات الثلاث في جميع المعاملات وعند تقديم الطلب وفي محاضر الشرطة والمحاكم وغيرها، فيما يخص الإدارة والوضع السياسي العام في المدينة، يعتمد على النسب المعتمدة للسكان بعد اجراء الإحصاء واستقرار الأوضاع فيها، يعين المحافظ من اهل المدينة وباختيار جميع الجهات الرئيسية في المدينة ويجب أن يكون مقبولاً وذا مكانة اجتماعية وحسب الإتفاق بين السكان وينبغي أن يكون ذا شخصية مؤهلة من جميع النواحي ويستطيع كسب ثقة اقلية السكان، أو بالإنتخاب المباشر.

تعيين رؤساء الدوائر يعتمد على الكفاءة العملية والإدارية والقدرة والقابلية على مزاولتهم الأعمال وتوجيهها لخدمة أبناء المدينة وتوزيع المسؤوليات والمهام بشكل يتناسب مع نسب القوميات الموجودة وحفظ التوازن بينها.

المجالس البلدية للمدينة وكذلك المجالس المحلية للأحياء الموجودة في المدينة يجب أن يتم قيامها على أساس الإنتخاب المباشر وبشكل دائري بحيث تمثل جميع القوميات والاعراق وتمنح الصلاحيات اللازمة، كما هو متبع في الدول الديمقراطية العصرية.

لا شك ان المناقشات الجماعية حول الأمور التي تهم المواطنين تؤدي إلى قرارات أكثر حذقاً وعمقاً من تقدير اشخاص محددين، لكن المجلس البلدي كلما كان صغيراً، كان أكثر فائدة وأقدر على تحقيق الغرض المطلوب منه.

نستطيع ايجاد انماط مختلفة منها: مجلس المدينة يمثل السكان بنسب تواجدهم، وهو كمنفذ يمتلك جميع الصلاحيات التنفيذية داخل الحدود التي يقررها القانون، ويمارس هذا الحق عملياً بواسطة لجان المجلس التي تختص بوظائف معينة مثل التعليم والصحة العامة. النمط الآخر هو وجود منفذ معين من قبل المجلس، ويتمثل هذا النظام في تعيين مجلس المدينة للجنة معينة ومنحها صلاحيات تنفيذية مباشرة. مع تنفيذ بعض الاجراءات الأخرى في سبيل الديمقراطية و تعديل بعض فقرات الدستور، بحيث تتمشى مع هذه الحالة.

بذلك نستطيع القول بان مدينة كركوك تعد بحق المدينة التي تريدها، بقومياتها المتعددة وعلاقاتها المثالية التي تكون الأساس المتين للعلاقات الحضارية المتضامنة بين القوميات في العراق، بالاتحاد الاختياري الحر.

#### الملحق رقم (١)

تصنيف سكان كركوك من حيث اللغة الأم، احصاء سنة ١٩٥٧

مجموع سكان لواء كركوك	عربي	كردي	تركماني	كلداني وسرياني وأشوري	ايراني وأجناس أخرى
٣٨٨٨٣٩	١٠٩٦٢٠	١٨٧٥٩٣	٨٣٣٥١	١٦٠٥	٦٦٥٠

#### الملحق رقم (٢)

الاحصاء الذي أجرته وزارة الداخلية العراقية سنة ١٩٥٧ و ١٩٧٧، أظهرت النتائج التالية بخصوص النسبة المئوية للقوميات في كركوك، كما يظهره الجدول التالي:

القومية	احصاء سنة ١٩٥٧	احصاء سنة ١٩٧٧
العرب	٢٨,٢٪	٤٤,٤٪
الكرد	٤٨,٣٪	٣٧,٦٪
التركمان	٢١,٤٪	١٦,٣٪
الكلدان والاشوريون وغيرهم	٢,١٪	١,٧٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪

## المصادر:

- ١- جعفر الخياط: فصول من تاريخ العراق القريب، نقله إلى العربية، ١٩٤٩.
- ٢- د. كمال مظهر أحمد: صفحات من تاريخ العراق المعاصر، منشورات مكتبة البديس، ١٩٨٧.
- ٣- جيمس بيلي فريزر: رحلة فريزدا إلى بغداد ١٨٣٤م، نقلها إلى العربية جعفر الخياط، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٦٤.
- ٤- أبو سلام أحمد عبدالله: صدام حسين، النشأة - التاريخ - الجريمة. بيت المحكمة ١٩٩٠.
- ٥- محمد هادي الدفتي - عبدالله حسن: العراق الشمالي، الجزء الأول، مطبعة شولين، بغداد.
- ٦- جمعية الحقوقيين العراقيين، تقديم أحمد رائف: بلاد الخوف و أرض الرعب، الزهراء للاعلام العربي، ١٩٩٠.
- سعد الزاز: الأكراد في المسألة العراقية، ١٩٩٦.
- ٨- هندي فوستر: نشأة العراق الحديث، ترجمة سليم طه التكريتي، نشر وتوزيع المكتبة العلية، بغداد ١٩٨٩.
- ٩- د. محمد قدوري: نظام الحكم في العراق، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٦.
- ١٠- جلال الطالباني: كردستان والحركة التحررية للشعب الكردي.
- ١١- عبد الرزاق الظاهر: صور من العراق لسكنة الالاقشة الشمالية، ١٩٤٧.
- ١٢- د. وليد حمدي: الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية.
- ١٣- أي. أم. هاملتون: طريق في كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله ١٩٧٣.
- ١٤- صلاح الدين محمد سدالة: كردستان والحركة الوطنية الكردية، ١٩٥٩.
- ١٥- تومايوا: مع الأكراد، ترجمة اراز زنگنه، وزارة الاعلام، مديرية الثقافة الكردية العامة، مطبعة دار الجاحظ، بغداد ١٩٧٥.
- ١٦- د. ن.أ. خالفين: الصراع على كردستان، ترجمة د. أحمد عثمان أبو بكر جامعة بغداد، ١٩٦٣.



## سياسة تغيير الواقع القومي لمدينة كركوك تديماً وحديثاً

الدكتور نوري طالباني

كاتب وباحث كردي من العراق - لندن

كانت مدينة كركوك جزءاً من امارتي أردلان (٦١٧ - ١٢٨٤هـ) وبابان (١١٠٦ - ١٢٦٧هـ) خلال فترات متفاوتة، ثم أصبحت مركزاً لولاية شهرزور العثمانية حتى عام ١٨٧٩م<sup>(١)</sup> وقد أشار إلى ارتباطها بامارة بابان ومن ثم كونها مركزاً لولاية شهرزور شاعر كركوك المعروف الشيخ رضا طالباني (١٨٣٥ - ١٩١٠) في قصائد وأشعار له باللغات الكردية و الفارسية والتركية<sup>(٢)</sup> فقد قال في قصيدة مطولة له باللغة الكردية: انه يتذكر أيام حكم امارة بابان التي

(١) تأسست امارة أردلان في القسم الشرقي من كردستان عام ٦١٧هـ، وكانت على جانب كبير من القوة والشأن، واتسعت حدودها لتشمل خلال فترات معلومة منطقة كركوك، وانتهت الامارة عام ١٢٨٤هـ، امارة بابان الثانية، فقد تأسست عام ١١٠٦ هـ وكانت بلدة «قلاجوالان» عاصمة لها، ثم بنى ابراهيم باشا بابان عام ١١٩٩ هـ/ ١٧٨٤م مدينة السليمانية واتخذها عاصمة له، وانتهت أيام الامارة عام ١٣٦٧هـ/ ١٨٥١م لتصبح خاضعة للإدارة العثمانية المباشرة، محمد أمين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي ترجمة محمد علي عوني، الطبعة الثانية المنقحة، لندن ١٩٨٦م. ص: ٢٧٦ - ٢٩١، وص: ٤١٦ - ٤٢٢.

(٢) الشيخ رضا طالباني هو من مشاهير شعراء كردستان و كركوك بالذات، وهو نجل الشيخ عبد الرحمان طالباني (خالص) الذي كان واحداً من أكابر شيوخ التصوف في كردستان ومن أبرز علماء وشعراء كركوك في القرن التاسع عشر، وقد طبع ديوان أشعار الشيخ رضا باللغات الكردية والفارسية والتركية لأول مرة في بغداد عام ١٩٣٥م ولكن بصورة ناقصة، ثم أعيد طبع ديوانه مرّات أخرى منها طبعة جديدة في بغداد أيضاً تحت اشراف حفيده المحامي علي طالباني عام ١٩٤٦م، وطبعة ثالثة في ايران، وأخرى في السويد عام ١٩٩٦م (وهما اعادة لطبعة ١٩٥٦م)، وطبعة خامسة في السليمانية عام ١٩٩٩م، وأخرى في أربيل عام ٢٠٠٠م، وقد كتب عن الشاعر وعن أشعاره العديد من الكتب والدراسات والبحوث، بعضها باللغة الانجليزية كدراسة لجي. دي. ادموندرز، كما نوقشت في ٢ أيار ٢٠٠١م رسالة ماجستير تحت عنوان: «شعر =

كانت السلিমانيّة مركزاً لها والتي لم تكن خاضعة لا لحكم العجم ولا لسلطة آل عثمان<sup>(٣)</sup> وعندما كان الشاعر في العقد الثالث من عمره تقريباً ونوى زيارة الاستانة، زار وهو في طريق سفره إليها قرية بريفكان لزيارة مرقد الشيخ نور الدين البريفكاني<sup>(٤)</sup> ونظم الشاعر أمام مزاره قصيدة باللغة الفارسية مجدّ فيها الشيخ البريفكاني أحد كبار شيوخ التصوف في كردستان، يبدأ الشاعر القادم من كركوك قصيدته بالقول: أنه جاء من بلاد شهرزور في طريق سفره لبلاد الروم - ويقصد بها تركيا حيث يطلق عليها الكرد هذه التسمية - ليزور مرقد الشيخ نور الدين<sup>(٥)</sup> وفي عام ١٨٧٩م عندما قررت الدولة العثمانية نقل مركز أيلة شهرزور من كركوك إلى الموصل، سجل لنا الشاعر في بيت شعر له باللغة التركية حزنه وأساه، محذراً الأهالي أيضاً من هذا التحول، وذكر أيضاً اسم الوالي الجديد الذي يبدو انه كان معروفاً لديه حيث كان في كركوك قبل ذلك التاريخ، يقول الشاعر: أصبحت الموصل مركزاً للولاية، وأصبح (نافع أفندي) والياً عليها، فالويل للرعية وليطمر الأهالي رؤوسهم بالرماد<sup>(٦)</sup> إضافة لهذه الشهادة الشعرية للمراحل التي مرت بها كركوك ودونها لنا الشاعر

= الهجاء عند الشيخ رضا طالباني» مقارناً مع ابن الرومي، أعدت من قبل السيد هاوکار رؤوف محمد أمين في كلية العلوم الانسانية بجامعة السلیمانيّة. صحيفة «الاتحاد» الأسبوعية الكردستانية، العدد: ٤١٩ في ٤ أيار ٢٠٠١م.

(٣) يقول الشاعر في قصيدة مطولة باللغة الكردية عن اماره بابان:

له بیرم دی سلیمانی که دارو لمولکی بابان بو  
نه مه حکومی عهجهم، نه سوخره کیشی ئالی عوسمان بو  
(ديوان الشاعر، طبعة ١٩٤٦م، القسم الكردي).

(٤) يقول الشاعر في قصيدة له باللغة الفارسية لدى زيارته قرية «بريفكان»:

عزم ديار روم جو كردم ز شهرزور  
افتاد در ديار بريفكان مرا عبور

ديوان الشاعر، طبعة ١٩٤٦م، القسم الفارسي.

(٥) بريفكان قرية تقع حالياً ضمن حدود محافظة دهوك بكردستان العراق، والشيخ نور الدين هو نجل الشيخ عبد الجبار بن الشيخ زين العابدين بن الشيخ شمس الدين المعروف بالقطب. وقد ولد عام ١٢٠٥هـ وتوفي عام ١٢١٨هـ في قريته «بريفكان».

(٦) يقول الشاعر في بيت شعر له باللغة التركية:

موصل أولدی ولایت، نافع أفندي والي  
ويل لكم رعية، كول باشوه أهالي

عطا ترزي باشي المحامي، كركوك شاعرلري (باللغة التركمانية) أي (شعراء كركوك)، الجزء الثاني، مطبعة الجمهورية، كركوك ١٩٦٨م، ص: ١٤٤.

قبل قرن ونيف، سجل لنا رحالة عثماني معروف شهادته عن هذه المدينة في موسوعة له باللغة التركية تعرف باسم «قاموس الأعلام»، يقول العلامة شمس الدين سامي بصدد مدينة كركوك في موسوعته تلك: «إنها تقع ضمن ولاية الموصل التابعة لكردستان وعلى بعد ١٦٠ كم من الجنوب الشرقي لمدينة الموصل، وهي مركز أيلة سنجق شهرزور، لها من النفوس ٣٠٠٠٠ نسمة، وفيها قلعة و ٣٦ جامعاً ومسجداً و ٧ مدارس و ١٥ تكية وخانقاه، و ١٢ خاناً و ١٢٨٢ دكاناً و ٨ حمامات»<sup>(٧)</sup> وعن الحالة القومية في مدينة كركوك كتب: «أن ثلاثة أرباع الأهالي من الكرد، والبقية من الاتراك و العرب و غيرهم، وفي المدينة ٧٦٠ يهودياً و ٤٦٠ كلدانياً.

واحتفظت مدينة كركوك بطابعها الكردي رغم محاولات الادارة العثمانية تقوية نفوذ ومراكز بعض الأسر التركية التي كانت موضع ثقة سلاطين آل عثمان والتي استقر أجدادها في كركوك بعد نجاح حملة السلطان مراد الرابع عام ١٠٤٨ هـ واستعادت العراق من الصفويين<sup>(٨)</sup> وقد عهدت الادارة العثمانية لرؤساء هذه الأسر التركية الأصل منصب (المتسلمية) أي الادارة، مع منحهم ألقاباً عالية<sup>(٩)</sup> وقدمت هذه الأسر بدورها دعماً مستمراً للحكم العثماني وثقافته، « وكانوا مصدراً خصباً لتزويده بالموظفين»<sup>(١٠)</sup> وتتطرق دائرة المعارف الإسلامية للوضع الاداري في منطقة كركوك خلال الفترة الأخيرة من الحكم العثماني قائلة: «كانت كركوك مركزاً لايالة شهرزور في القرن الثامن عشر التي كانت تضم الألوية

(٧) شمس الدين سامي، قاموس الأعلام (باللغة التركية العثمانية)، مطبعة مهران، استنبول ١٣١٥هـ / ١٨٩٨م، راجع أيضاً الدكتور هلكوت حكيم، كركوك مدينة النار و النور، مجلة (جريدة / الصرخة) التي كانت تصدر باللغتين الكردية و العربية في لندن، العدد الثالث آب ١٩٨٤م، ص: ١٤ وما بعدها.

(٨) عبد المجيد فهمي حسن، دليل تاريخ مشاهير الألوية العراقية، الجزء الثاني الخاص بلواء كركوك، مطبعة دجلة، بغداد ١٩٤٧م، ص: ٢٨٤. وقد ورد فيه بصدد أسرة « آل النفطجي» ولسان رئيسها المرحوم ناظم بن صالح باشا آل النفطجي أن نسب هذه الأسرة ينتهي إلى قبيلة تركية كانت تسكن آسيا الصغرى (الأناضول)، ثم هاجر بعض أفرادها إلى العراق، وكان جد هذه الأسرة وهو «قهرمان آغا» هو الذي اكتشف منابع النفط في كركوك ووضع يده عليها وعلى الأراضي المجاورة لها.

(٩) عبد المجيد فهمي حسن، المصدر السابق، ص: ٢٨٤، بصدد آل النفطجي، وص: ٣٠١ بخصوص «آل أوجي».

(١٠) دائرة المعارف الإسلامية (باللغة الفرنسية)، الجزء الخامس، وقد أُلّف ما يتعلق بـ«كركوك Kir-kuk» فيها المستشرق «كرامرز»، ثم أضاف إليها «ترماوبا» ملاحظات هامة قبل إعادة طبعها ثانية، ص: ١٤٧.

الحديثة التالية: كركوك وأربيل والسليمانية، ثم أطلق اسم شهرزور على سنجق كركوك وألحق به لواء كركوك في حين ظلت شهرزور التريخية - أي السليمانية- خارج السنجق الجديد. وشكلت ولاية الموصل عام ١٨٧٩م، وبقيت كركوك مدينة عسكرية مهمة»<sup>(١١)</sup>

ثم تضيف أن ولاية الموصل كانت مكونة من ثلاثة سناجق أو ألوية هي الموصل وكركوك والسليمانية، وفي عام ١٩١٨م فصلت ثلاث أفضية في شمال الزاب الصغير عن كركوك ليشكل منها لواء أربيل<sup>(١٢)</sup> وبقيت هذه السناجق تابعة لولاية الموصل لحين اندلاع الحرب العالمية الأولى حيث تمكنت القوات البريطانية من احتلالها في نهاية الحرب، فقد احتلت تلك القوات مدينة كركوك في ١٧ أيار ١٩١٨م بقيادة الجنرال مارشال الذي انسحب منها في ٢٧ من الشهر نفسه، وعاد أخيراً لاحتلالها بصورة نهائية في نهاية تشرين الأول (أكتوبر) من العام نفسه، لدى إبرام معاهدة صلح مودروس بين بريطانيا والدولة العثمانية<sup>(١٣)</sup> ويلاحظ أنه باستثناء منطقة السليمانية التي تشكلت فيها إدارة كردية برئاسة الشيخ محمود الحفيد يعاونه بعض المستشارين الانجليز، كانت المناطق الأخرى من ولاية الموصل خاضعة للإدارة المباشرة لجيش الاحتلال الانجليزي باشراف عدد من الضباط السياسيين البريطانيين، واكتشف الانجليز خلال هذه الفترة من احتلالهم للولاية منابع النفط الهائلة في كركوك،

(١١) دائرة المعارف الاسلامية، المصدر السابق.

(١٢) دائرة المعارف الاسلامية، المصدر السابق.

(١٣) يتبين من بعض الوثائق البريطانية السرية أن وزارة الخارجية البريطانية كانت قد حذرت قيادة قواتها في جبهة العراق من التقدم شمالاً صوب حدود ولاية الموصل، فقد جاء في مذكرة سرية مؤرخة في ١٤ آذار ١٩١٥ موقعة من قبل السير آرثر هيرتزل مسؤول القسم السياسي في الخارجية البريطانية « أنه يجب عدم تجاوز سلسلة جبال حميرين بأي وجه من الوجوه، لما يمكن أن يترتب من مشاكل مع السكان الكرد في المنطقة». راجع كل من:

Brition Cooper Bush, Britain,

India and Arabs, and Marian Kent, Oil and Empire, P. 120.

وكانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا سابقا بموجب معاهدة سايكس- بيكو السرية على ان تكون ولايتي بغداد والبصرة من حصة بريطانيا، وولاية الموصل لفرنسا، وهذا يعني أن هاتين الدولتين لم تكونا تنظران إلى العراق بحدوده السياسية الحالية ككيان واحد. راجع بحثنا الذي قدمناه في مؤتمر قانوني نظم في شهر تشرين الثاني عام ١٩٩٩م من قبل مؤسسة أحمد للدراسات الكردية في واشنطن والذي نشر في:

An Analysis of Legal Rights of the Kurdish people; Nouri Talabany, Southern Kurdistan in International Law, Virginia, USA. 2000. P. 96.



فأعادوا النظر في سياستهم السابقة في المنطقة و سَعُوا إلى البقاء فيها رغم أنها لم تكن ضمن حصتهم بموجب اتفاقية سايكس - بيكو السرية المبرمة عام ١٩١٦م بينهم وبين فرنسا. وأدت الجهود التي بذلوها لدى فرنسا إلى اقناعها بالتنازل عن هذه الولاية وإبرام معاهدة سان ريمو في ٢٤ نيسان ١٩٢٠م، التي تنازلت فرنسا بموجبها عن الولاية لقاء إعطائها نسبة محددة في شركة النفط التركية TPC التي كانت قد تأسست سابقاً بين تركيا العثمانية وألمانيا بهدف البحث عن النفط واستثماره في حدود ولايتي بغداد والموصل<sup>(١٤)</sup> وهكذا كان اكتشاف النفط في كركوك وفي أطرافها سبباً أساسياً للاحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية التي أنشأها الانجليز عام ١٩٢١م من ولايتي بغداد والبصرة والذين نصبوا الأمير فيصل بن الشريف حسين ملكاً عليها<sup>(١٥)</sup> وقد تم الحاق ولاية الموصل التي تشكل كركوك جزءاً مهماً منها بالعراق بعد صدور قرار مجلس عصبة الأمم في كانون الأول ١٩٢٥ لتسوية حدود هذه الولاية، وقد اتخذ القرار المذكور بعد تقديم لجنة الحدود الدولية تقريرها إلى مجلس العصبة، عقب زيارتها للولاية في شهر شباط من العام نفسه<sup>(١٥)</sup> وكانت الادارة البريطانية قد جعلت الأجواء مناسبة لزيارة هذه اللجنة الدولية للولاية والتي قدمت اليها بقصد الاستكشاف والاستطلاع، فقد نظمت في كانون الأول من عام ١٩٢٤م زيارة للملك فيصل الأول لأرجاء ولاية الموصل باستثناء منطقة السليمانية، لحث الناس فيها على الانضمام إلى الدولة العراقية الحديثة التي تأسست في أواسط ١٩٢١، وقد جعلت الادارة البريطانية من زيارة الملك للولاية مناسبة لرفع العلم العراقي على مباني الدوائر الرسمية فيها، وذلك قبل البت بمصيرها من قبل مجلس عصبة الأمم<sup>(١٦)</sup> ويؤكد العديد من الباحثين العراقيين، وفي مقدمتهم المرحوم عبد الرحمان البزاز على أن الجهود البريطانية هي التي حسمت الأمر لصالح العراق وجعلت ولاية الموصل جزءاً منه، ويجب القول هنا بأن المصالح الاقتصادية والاستراتيجية لبريطانيا هي التي دفعتها لإلحاق ولاية الموصل بالعراق، فقد كانت بريطانيا الدولة المنتدبة على العراق وتخطط لإرسال نفط كركوك إلى الموانئ الواقعة على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط ومن ثم شحنها من هناك إلى أوروبا والغرب، وكان يتعذر أنتد إرسال نفط كركوك إلى تلك الموانئ في الأراضي العراقية، عن طريق انشاء خط للأنايبب يمتد من كركوك حتى الموانئ السورية

(14) ibd., P. 97

(15) Stephen Longrigg Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1925, p 312n. Helmut Mezcher, Imperial Quest for Oil, Iraq, 1910 - 1928, Oxford, 1976, p. 76.

(١٥) اكتفت اللجنة الدولية باجراء استفتاء شكلي بين الوجهاء والمختارين في الولاية عن طريق طرح أسئلة محددة عليهم، الدكتور فاضل حسين، مشكلة الموصل، مطبعة اسبيلية، بغداد ١٩٧٧م، ص:٦.

(١٦) مؤلفنا، منطقة كركوك، المصدر المشار إليه آنفاً.

واللبنانية، فلم يكن بإمكانها مثلاً ارسال نفط كركوك عبر الأراضي التركية نظراً لتوتر العلاقات آنذاك بين بريطانيا وتركيا التي كانت تطالب بولاية الموصل وتعتبرها جزءاً منها، وقد تم فيما بعد- في أواسط الثمانينات - ربط كركوك بميناء جيهان التركي بأنبوب خط جديد لنقل النفط، ليتم شحنه من هناك إلى أنحاء العالم<sup>(١٧)</sup> وأود أن أسجل هنا للتاريخ ما سمعته من المرحوم توفيق وهبي، الوزير الكردي السابق في العهد الملكي الذي كان مقيماً في لندن، حيث قال: إن رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري السعيد استشار عام ١٩٥٦م عدداً من السياسيين والوزراء السابقين بسبب توتر العلاقات آنذاك بين الحكومتين السورية والعراقية، فاقترح البعض قطع خط أنابيب النفط بين كركوك وسوريا وانشاء خط جديد بين كركوك والموانئ التركية، فرفض الاقتراح جملة وتفصيلاً قائلاً أنه لا يريد إلحاق ضرر بشعب سوريا، لكن النظام البعثي في العراق نفذ في الثمانينات ما رفضه نوري السعيد عام ١٩٥٦م.

ورغم أن الحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية المستحدثة قد تم بقرار دولي، إلا أنه كان مشروطاً بوجوب التزام كل من بريطانيا والعراق « الأخذ بالحسبان رغبات الأكراد الذين كانوا يطالبون بوجوب تعيين موظفين من أصل كردي لإدارة بلادهم، وبأن تكون اللغة الكردية هي اللغة الرسمية في المرافق الخدمية المختلفة»<sup>(١٨)</sup> لكن الحكومات العراقية المتلاحقة تراجعت عن هذه الالتزامات، إذ حاولت دوماً منع الكرد من لعب أي دور لهم في مقدرات كركوك، خاصة بعد ادراكها لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية بالنسبة للدولة العراقية المستحدثة وللمصالح الحيوية الانجليزية<sup>(١٩)</sup> تبين ذلك مباشرة بعد احتلال كركوك حيث قررت الإدارة

---

(١٧) بحثنا الذي قدمنا في الندوة التي نظمها نواب حزب الخضر الفرنسي في بناية البرلمان الفرنسي بتاريخ الخامس من شباط ٢٠٠١م حول آثار الحصار الاقتصادي على العراق ووضع حقوق الانسان فيه، وكان البحث بعنوان:

La Politique de l'Arabization de la Region de Kirkuk par les Regimes Irakiens.

(١٨) الدكتور وليد حمدي، الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية ووثائقية، لندن ١٩٩٢م، ص: ١٨٦، ومقال عدنان حسين في مجلة «الزمن» بعنوان: القضية الكردية، قصة أم المشاكل في العراق، العدد: ٢٦، ديسمبر ١٩٩٧م، ص: ٧. وقد أشار الدكتور وليد حمدي إلى وثيقة بريطانية سرية تتضمن اثاراً المندوب السامي البريطاني في العراق موضوع استخدام اللغة الكردية في كردستان طبقاً للالتزام الدولي المذكور، وذلك في اجتماع له مع الملك فيصل الأول بتاريخ ٢٠ أيار ١٩٣٠م، مع الاشارة إلى عدم اتخاذ الحكومة العراقية أي اجراء بهذا الشأن وعدم تأسيسها منطقة تعليمية موحدة في المنطقة الكردية، ص: ١٨٦ من المصدر المشار إليه آنفاً.

(١٩) الدكتور جبار قادر، كركوك: قرن ونصف قرن من التتريك والتعريب، مجلة « الملف العراقي»، العدد: ٩٩، آذار ٢٠٠٠م، ص: ٤٢.

البريطانية المحتلة ومن بعدها الحكومات العراقية المتعاقبة ابقاء اللغة التركية لغة للتعليم والادارة في كركوك وحتى نهاية العشرينات، مع اعطاء دور للتركمان لا يتناسب مع حجمهم ونسبتهم السكانية داخل المدينة وفي اللواء، وهي نفس السياسة التي كان العثمانيون يتبعونها فيما مضى، وتم التنسيق بين الحكومات العراقية المختلفة وادارة شركة نفط العراق التي كان الانجليز يديرونها وتتخذ من كركوك مركزاً لها، بهدف استقدام أبناء المحافظات العراقية الأخرى لاستخدامهم في منشآت الشركة داخل كركوك وفي أطرافها، ولهذا السبب بالذات «تهافت على لواء كركوك آلاف من العمال والمحترفين والفنيين، تتبعهم آلاف أخرى من أصحاب المهن المختلفة وصغار التجار والباعة وطالبي الرزق»<sup>(٢٠)</sup> وترتب على استخدام هذا العدد الهائل من العمال والفنيين وغيرهم في منشآت الشركة وتوافد القادمين من الألوية الأخرى، ظهور أحياء شبيهة مستقلة خاصة بالعرب الآشوريين والأرمن داخل الأحياء القديمة في كركوك القريبة من تلك المنشآت<sup>(٢١)</sup> ويقدر بعض الباحثين نسبة الزيادة في عدد سكان كركوك للفترة من ١٩١٩م إلى ١٩٦٨م بخمسة أضعاف ما كان عليه، وعدد المهاجرين إليها للفترة ما بين ١٩٤٧ - ١٩٥٧م وحدها بـ ٣٩٠٠٠ مهاجر<sup>(٢٢)</sup> وتجب الإشارة هنا إلى أن نسبة العمال والمستخدمين الكرد في منشآت الشركة كانت تأتي بعد الآخرين ولا تتناسب مطلقاً مع عدد نفوسهم في المدينة وفي اللواء (المحافظة)<sup>(٢٣)</sup> تبين ذلك بوضوح بعد انشاء شركة النفط في بداية الخمسينات لمئات الدور السكنية لمستخدميها في منطقة أطلق عليها اسم «عرفة Ar- rapha» أو كركوك الجديدة، لقد كان معظم شاغلي تلك الدور من الآشوريين والأرمن والعرب والتركمان، مما جعل الكرد يشعرون بالغبن الذي لحق بهم منذ البداية، وهكذا أدى استثمار

(٢٠) عبدالمجيد فهمي حسن، دليل تأريخ مشاهير الألوية العراقية، الجزء الثاني الخاص بلواء كركوك، مطبعة دجلة، بغداد ١٩٤٧م . ص: ٥٤ .

(٢١) مؤلفنا، منطقة كركوك المشار إليه آنفاً، ص: ٥١ .

(٢٢) الدكتور أحمد نجم الدين، أحوال السكان في العراق، معهد الدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م، ص: ١٠٩ .

(٢٣) مؤلفنا: منطقة كركوك، المصدر السابق، ص: ٣٦ يلاحظ أن الدوائر البريطانية في العراق كانت قد قدرت عدد نفوس الكرد في لواء كركوك عام ١٩٢١م بـ ٧٥٠٠٠، والأتراك بـ ٣٥٠٠٠، والعرب بـ ١٠٠٠٠، واليهود بـ ١٠٠٠ والكلدان بـ ٦٠٠، وهذه التقديرات البريطانية مستمدة من أرشيف السجلات المحفوظة في المكتبة العامة في ستوكهولم، حيث كانت السويد هي الدولة المشرفة على تنظيم عملية الاستفتاء في ولاية الموصل وبلغت نسبة الكرد في كركوك بموجب الاحصاء السكاني الرسمي لسنة ١٩٥٧م، ٣، ٤٨٪ والعرب ٢، ٢٨٪ والتركمان ٤، ٢١٪. وبدأت بعد ذلك خاصة منذ ١٩٦٨م، عمليات الترحيل والطرده الجماعي للقوميات غير العربية من كركوك، مما أفقد الأحصائيات اللاحقة مصداقيتها وشرعيتها.

حقول النفط في كركوك وفي أطرفها إلى تواجد أعداد كبيرة من أبناء المحافظات الأخرى داخل مدينة كركوك، واستمرت الحكومات العراقية في العهد الملكي في اتباع الكردية في التعليم الابتدائي في الأحياء الكردية<sup>(٢٤)</sup> كما منعت الكرد أيضاً من الاحتفال بعيد النوروز في كركوك، بينما كانت تسمح بأحيائه أحياناً في مدن أخرى من كردستان، ومع ذلك يجب القول أن هذه الحكومات لم تكن تمارس سياسة طرد الكرد من كركوك، ولم تضع العراقيل أمام هجرة الفلاحين إليها من القرى الكردية التابعة للواء خلال سنوات القحط والجفاف، غير أن وزارة ياسين الهاشمي خططت منذ أواسط الثلاثينات لتوطين عشائر عربية رحالة في سهل الحويجة في جنوب غربي اللواء، وذلك بإنشاء مشروع للري لجلب الماء من نهر الزاب الصغير إلى السهل المذكور<sup>(٢٥)</sup> واستتبشر الكرد في كردستان وفي كركوك بالذات بوقوع ثورة تموز ١٩٥٨م وساندوها بقوة، بأمل أن تضع حداً لسياسة التمييز التي كانت تمارس ضدهم، وطالبوا قيادتها بالسماح باستخدام اللغة الكردية في مرحلة التعليم الابتدائي في المناطق الكردية من كركوك<sup>(٢٦)</sup> كذلك بعث الطبقي بالعدد من الكتب الرسمية السرية إلى وزارة الدفاع في بغداد والتي كانت تتولى عملياً حكم العراق، متهماً فيها الكرد بأثارة المشاكل والزعيم بأنهم يعملون في كركوك على «إنشاء جمهورية كردستان» و «بعث اقليم كردستان»<sup>(٢٧)</sup> وقد اعتبر الطبقي مطالبته المثقفين الكرد بإنشاء مديرية للأشراف على الدراسة الكردية في كركوك «دليلاً على نواياهم وسعيهم لإنشاء هذه الجمهورية المزعومة»<sup>(٢٨)</sup>

(٢٤) أود الإشارة هنا بوجه خاص لتجربتي الشخصية المبررة التي عشتها مع تلاميذ آخرين في مرحلة الدراسة الابتدائية في كركوك، فقد كنا نضطر لحفظ الكتب المدرسية عن ظهر قلب لأننا لم نكن نفهم منها شيئاً لكونها باللغة العربية، واستمرت معاناتنا هذه حتى فيما بعد أي في المرحلة الثانوية، ولكن بدرجة أخف نسبياً.

(٢٥) راجع مؤلفنا: منطقة كركوك. المشار إليه آنفاً، ص: ٥١-٥٦.

(٢٦) قدمت مذكرات عديدة إلى وزارة المعارف (التربية حالياً) من قبل ممثلي القائمة المهنية في انتخابات نقابة المعلمين في العراق بخصوص الحقوق الثقافية الكردية، كالتدريس باللغة الكردية والأهتمام بالثقافة الكردية وإنشاء مديرية تربية للأشراف على الدراسة الكردية في المنطقة الكردية، واعتبرت هذه المطالب- والتي أيدتها نقابة المعلمين المركزية فيما بعد - بمثابة «تهيئة لإنشاء جمهورية كردستان» من قبل قيادة الفرقة الثانية في كركوك، وعلى رأسها الجنرال ناظم الطبقي.

(٢٧) مؤلفنا، منطقة كركوك، ص: ٥٨.

(٢٨) كتاب قيادة الفرقة الثانية/الاستخبارات/سري والمرقم ١س/١٤٢ في ١٩/١/١٩٥٩ الموجه إلى رئيس أركان الجيش تحت عنوان «الحالة السياسية في منطقة مسؤولية الفرقة الثانية».

وكانت هذه المديرية موجودة في كركوك عام ١٩٣١م تحت اسم « مفتشية معارف منطقة كردستان». وقد أيدت نقابة المعلمين المركزية وأوساط سياسية عراقية أخرى هذه المطالب الكردية، ولا نجافي الحقيقة إذا ما قلنا أن ما قام به الطبقجلي عندما كان قائداً للفرقة الثانية في كركوك وحاكماً فعلياً لكل المنطقة الشمالية لم يصب في خانة حفظ التوازن بين القوميات المتأخية في كركوك وفي المنطقة، بل ساهم في إثارة التفرقة بينها، ان تعيينه بهذا المنصب الحساس كان خطأ من جانب قيادة ثورة تموز التي يبدو أنها سارت على نهج الحكومات العراقية السابقة التي كانت تعين كبار المسؤولين في وسط أو في جنوب العراق، لهذا السبب عينت الجنرال فؤاد عارف (الكرد) متصرفاً للواء كربلاء بدلاً من تسميته قائداً للفرقة الثانية أو متصرفاً للواء كركوك أو لأحد الألوية الكردية الأخرى<sup>(٢٩)</sup> لقد كان الجنرال فؤاد عارف يتمتع بثقة زعيم الثورة الجنرال عبدالكريم قاسم وكان قريباً منه، بل حال دون اغتياله في مكتبه في وزارة الدفاع من قبل العقيد عبدالسلام عارف في تشرين الأول من عام ١٩٥٨م<sup>(٣٠)</sup> وراجع لدينا أن وجود الجنرال فؤاد عارف في كركوك كان سيحول دون توتر الأوضاع فيها الذي مهد - فيما بعد- لوقوع الأحداث الدموية المؤسفة التي وقعت في كركوك في تموز ١٩٥٩م. في الواقع ان الأوضاع في كركوك قد توترت بعد وصول الطبقجلي إليها بسبب انحياز المكشوف لأحدى القوميات فيها، ولاثارته النعرات والتفرقة بين القوميات المتأخية فيها، تبين ذلك بوضوح بعد الكشف عن مضامين الكتب السرية التي أرسلها إلى وزارة الدفاع بعد فترة قصيرة من وصوله كركوك<sup>(٣١)</sup> واستمرت هذه الأوضاع غير الطبيعية

(٢٩) عينت قيادة ثورة تموز اثنين من كبار الضباط العرب متصرفين للوائي السليمانية وأربيل، ومدنياً عربياً متصرفاً للواء كركوك هو السيد عبد الجليل الحديثي، فضلاً عن تعيين الجنرال ناظم الطبقجلي قائداً للفرقة الثانية التي يقع مقرها ووحدات مهمة منها في مدينة كركوك، وكان لهذه الفرقة أيضاً وحدات أخرى في كل من مدن السليمانية وأربيل والموصل وقصبات قلعة دزه ورواندوز وعقرة، وكان معظم منتسبي هذه الفرقة من ضباط وضباط صف وجنود من الكرد، يليهم العرب والترکمان والآشوريين من أبناء المنطقة الشمالية بوجه عام.

(٣٠) عاتب عبدالسلام عارف- بعد الاطاحة بحكم عبدالكريم قاسم - زميله فؤاد عارف لمنع اياه من قتل عبدالكريم قاسم في مكتبه في وزارة الدفاع عام ١٩٥٨م، حيث كان موجوداً معهم أيضاً. فقد عاد السلام عارف فجأة من ألمانيا الغربية التي عين سفيراً فيها اثر خلافه مع قاسم، وتوجه من المطار مباشرة إلى وزارة الدفاع لمقابلة قاسم ناوياً قتله. والراجح أنه لولا وجود فؤاد عارف في مكتب قاسم وأخذ المسدس من يد عبد السلام، لوقعت جريمة قتل قاسم في تشرين الأول عام ١٩٥٨م، وليس في شباط ١٩٦٣م لدى نجاح انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م.

(٣١) أرسل قائد الفرقة الثانية في كركوك عدداً من الكتب السرية إلى وزارة الدفاع بشأن الحالة =

في كركوك حتى بعد احالة الطبقجلي على التقاعد في شهر آذار ١٩٥٩م وتعيين قائد جديد للفرقة الثانية هو الجنرال داود الجنابي الذي كان معروفاً بميوله اليسارية، لقد عين الجنابي عقب المحاولة الانقلابية الفاشية للعقيد عبدالوهاب الشواف في الموصل والذي كان متعاوناً مع الطبقجلي والأوساط القومية والبعثية، وخلال وجود الجنابي في كركوك أصبح الوضع طبيعياً بالنسبة للکرد، فاحتفلوا فيها بصورة علنية بعيد النوروز وبمشاركة المسؤولين فيها أيضاً، ومع ذلك فإن الأوضاع العامة في المدينة بقيت متوترة وغير طبيعية، وجاءت الأحداث السياسية اللاحقة لتؤكد ذلك، خاصة بعد احالة الجنرال الجنابي على التقاعد في أواسط حزيران مع عام ١٩٥٩م. وقد لعبت الأجهزة الأمنية في كركوك والدوائر المسؤولة في وزارة الدفاع دوراً مؤثراً ومكتشوفاً في اثارة التفرقة بين الكرد والتركمان من جديد، مما مهد لاعادة الأوضاع في كركوك إلى ما كانت عليه في عهد الجنرال الطبقجلي، وهكذا أصبحت الأجواء مهينة لوقوع الأحداث المؤسفة التي وقعت في تموز من عام ١٩٥٩م، تلك الأحداث التي أحدثت شخراً في العلاقة ما بين الكرد والتركمان<sup>(٣٢)</sup> ومما زاد في تعقيد تلك الحالة غير الطبيعية وتوتر الأوضاع في المدينة قيام منظمات سرية تركمانية باغتيال وجوه كردية في كركوك، بالتعاون مع الأجهزة الأمنية فيها<sup>(٣٣)</sup> وقد أجبرت هذه الاغتيالات عشرات بل مئات العلاقات الكردية في الأحياء المختلفة من المدينة إلى ترك مساكنها أو الانتقال إلى المدن الأخرى، هذا فضلاً عن عدداً من الموظفين الكرد نقلوا ادارياً إلى خارج كركوك، وعقب حوادث تموز ١٩٥٩م، نقلت وزارة الدفاع بدورها عدة وحدات عسكرية من الفرقة الثانية إلى وسط وجنوب العراق، وكان معظم منتسبيها من ضباط وضباط صف من الكرد، كذلك ساد في كركوك بعد تلك الأحداث ارهاب شديد ضد الكرد، واعتقل مئات الأشخاص الذين أحيل معظمهم إلى المحاكم العرفية العسكرية في بغداد، وتعتبر هذه الفترة بداية لسياسة اجبار الكرد على ترك

= السياسية في كركوك، منها كتاب قيادة الفرقة الاستخبارات المرقم ح - ش - ٣ - ٩١٤ في ١٩٥٨/٩/٩م حول «مذكرة المدرسين الأكراد إلى وزارة المعارف حول رفع مستوى الثقافة في كردستان خاصة»، وكتاب الفرقة / الاستخبارات المرقم ح - ش - ٣ - ١٧ في ١٩٥٩/١/٦م حول «مراجعة نقابة المعلمين في كركوك حول بعث مديرية معارف كردستان»، وكتاب قيادة الفرقة أيضاً / الاستخبارات / المرقم ١ / س / ١٤٢ في ١٩٥٩/١/١٩م حول «الحالة السياسية في منطقة مسؤولية الفرقة الثانية». وقد نشرنا النصوص الكاملة لهذه المراسلات السرية لقيادة الفرقة الثانية في مؤلفنا، منطقة كركوك المشار إليه آنفاً (الملاحق)، ص: ١١٣ - ١٢٠.

(٣٢) الدكتور نوري طالباني: العلاقات الكردية- التركمانية -مجلة «راية الإسلام» التي تصدر في

لندن، السنة الخامسة عشر، العدد الأول، آذار ٢٠٠١م، ص: ٢.

(٣٣) مؤلفنا، منطقة كركوك، المصدر السابق، ص: ٦٥.

كركوك بوسائل شاركت في تنفيذها الدوائر الأمنية والتنظيمات الارهابية التركمانية السرية التي امعنت في تنفيذ عمليات الاغتيال وحرق المحال التجارية للکرد، مع عدم اتخاذ أية اجراءات قانونية جادة بحقهم.

وتعرض الكرد بعد نجاح انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣م إلى اعتداءات كثيرة، كما اعتقل عدد كبير منهم من قبل الحرس القومي وقامت الأجهزة الأمنية بالتعاون مع الحرس القومي بهدم عدة أحياء شعبية كردية في كركوك واجبار ساكنيها على الرحيل من المدينة. واشتدت عمليات الانتقام ضد الكرد بعد مباشرة الجيش العراقي هجومه على البيشمركة (المقاتلين الكرد) في حزيران ١٩٦٣م، وقامت السلطة أيضاً بتدمير جميع القرى الكردية المجاورة لمدينة كركوك أو المنشآت النفطية والتي بلغ عددها ١٣ قرية، كما طردت الفلاحين الكرد من ٣٣ قرية أخرى في ناحية «دوبز» القريبة أيضاً من كركوك<sup>(٣٤)</sup> واتخذ النظام منذ ذلك الحين اجراءات عديدة استهدفت جميعاً طرد الكرد من المدينة، منها:

١- نقل أعداد كبيرة من الموظفين في دوائر الدولة الرسمية وشبه الرسمية، وشمل ذلك أيضاً المعلمين والمدرسين الذين نقلوا إلى وسط وجنوب العراق، مع استقدام الموظفين العرب من المحافظات الأخرى لاحتلالهم محل الكرد.

٢- نقل أعداد كبيرة من العمال الكرد العاملين في منشآت النفط أو تسريحهم من العمل، وابداهم بالعرب الوافدين وتعيينهم في أماكنهم رغم عدم كفاءتهم لأن معظمهم كانوا من أبناء العشائر.

٣- انشاء الربايا العسكرية فوق المرتفعات والتلال المحيطة بكركوك وبالمنشآت النفطية واعتبارها «مناطق أمنية» لا يجوز الاقتراب منها، مع زرع الألغام حولها.

٤- تسليح العشائر العربية التي تم توطينها في القرى التي طرد منها الكرد. وتشكيل وحدات نظامية منهم ومن العشائر العربية القاطنة في قضاء الحويجة، وذلك لمساندة الجيش في هجماته على القرى الكردية في اللواء.

٥- تغيير أسماء المدارس والشوارع وحتى أسماء المحلات التجارية داخل كركوك، بأسماء عربية لا تمت بصلة إلى تاريخ المنطقة.

واستمر نظام الأخوين عبدالسلام وعبدالرحمان عارف في اتباع السياسة ذاتها ولكن

---

(٣٤) ذكرنا أسماء جميع القرى الكردية المجاورة لكركوك والقريبة من المنشآت النفطية التي دمرها النظام البعثي عام ١٩٦٣م في مؤلفنا: منطقة كركوك المشار إليه أعلاه، ص: ٦٨ وتعود ملكية قريتين من تلك القرى المدمرة لأسرتنا، الأولى هي «سونة كولي» المجاورة للحدود الشمالية لبلدية كركوك، والثانية قرية «عمشه» الواقعة بالقرب من الطريق العام بين كركوك- دوبز.

بدرجة أخف، وذلك بعد الاطاحة بالبعثيين والانقلاب عليهم في تشرين الأول من عام ١٩٦٣م. لكن سياسة تغيير الواقع القومي لمدينة كركوك اتخذت بعداً آخر بعد عودة حزب البعث إلى السلطة في انقلاب آخر في تموز ١٩٦٨م، فقد خطط النظام الجديد لسياسة أخرى أصبح هدفها الأساس اجراء تغييرات عميقة في الحالة القومية في كركوك مع الأمر بتنفيذها والالتزام بها بدقة من قبل جميع أجهزة النظام كمنهج ثابت للدولة.

ولكي يبرر النظام سياسته هذه، ضاعف من هواجس الخوف والقلق لدى المواطن العربي لاشعاره بأنه في مواجهة خطر هيمنة الكرد على نفط كركوك. منبع الثروة في العراق<sup>(٣٥)</sup> ونشير بصدد ممارسات النظام بهدف تعريب كركوك خاصة منذ أواسط عام ١٩٧٥ إلى:

١- نقل البقية المتبقية من الموظفين الصغار والعمال الكرد العاملين في مختلف قطاعات ومنشآت الدولة إلى خارج كركوك، وجلب العرب لاحتلالهم محلهم. والكرد الذي يترك كركوك، موظفاً كان أم عاملاً لا يسمح له بالعودة إلى مدينته حتى بعد احالته على التقاعد أو تركة الوظيفة لأي سبب كان.<sup>(٣٦)</sup>

٢- تبديل أسماء الأحياء الكردية وإطلاق أسماء عربية عليها بعيدة عن تراث المنطقة، وكذا

(٣٥) برزت فكرة التوطين في منطقة كركوك بدافع الهيمنة على منابع النفط الموجودة فيها أثناء المفاوضات التي جرت بين النظام العراقي وبين وفد من « الجبهة الكردستانية» في أواسط عام ١٩٩١م. فأتى الحديث عن حدود المنطقة الكردية الخاضعة للحكم الذاتي، كان وفد النظام يستعين بخرائط تفصيلية للمواقع التي تتوافر فيها منابع النفط، ولاحظ الجانب الكردي أن وفد النظام كان يصر على وجوب اعتبار المناطق التي تتوافر فيها منابع النفط خارج حدود المنطقة الكردية الخاضعة للحكم الذاتي، بينما لم يكن متشدداً بشأن الأماكن الأخرى التي لا تتواجد فيها حقول النفط، وفي ذلك يشبه أسلوب تفاوض وتعامل النظام العراقي مع الكرد، طريقة تفاوض وتعامل النظام الاسرائيلي مع الوفد الفلسطيني لدى التفاوض معهم بشأن تحديد مستقبل الأراضي الفلسطينية المحتلة التي تكثرت فيها منابع المياه القريبة من المجمعات الاستيطانية الاسرائيلية، وهو ما فعله أيضاً العنصريون الصرب في جمهورية البوسنة والهرسك وفي كوسوفو أيضاً، راجع مقال الكاتب الاسلامي فهمي هويدي: الأكراد شعب الله المختار، كركوك سبقت كوسوفو في خطط الاقتلاع والابادة، مجلة «المجلة»، العدد: ١٠٠٥، ١٦-٢٢/٥/١٩٩٩م.

(٣٦) وهذا ما وقع لي شخصياً، وحيث منعت من العودة إلى بلدي كركوك بعد احالتي على التقاعد كأستاذ في جامعة بغداد لأسباب سياسية عام ١٩٨٢م، فاضطرت إلى الاستقرار في مدينة أربيل، وقد أخبرني سائق سيارة الحمل الذي نقل أثاث دارنا من بغداد إلى أربيل أن أحد عناصر دائرة أمن كركوك رافقه من نقطة مدخل مدينة كركوك على الطريق العام بينها وبغداد، لحين وصول السيارة إلى نقطة الخروج منها على الطريق العام بين كركوك وأربيل، ليتأكد من خروج السيارة من كركوك!



- الأمر بالنسبة للمدارس والمحلات التجارية التي لا تحمل أسماء عربية.
- ٣- فتح شوارع عريضة في الأحياء الكردية واستملاك الدور فيها بتعويضات زهيدة، مع عدم السماح لأصحابها بشراء قطع من الأراضي أو دور أخرى داخل كركوك، لاجبارهم على تركها.
- ٤- منع الكرد من حق بيع دورهم وعقاراتهم لغير العرب، وكذلك منعهم من شراء أي عقار أو دار بأي وجه من الوجوه.
- ٥- امتناع دائرة البلدية من إعطاء الكرد «إجازة البناء» أو «إجازة ترميم البناء» حتى ولو كانت دورهم أو عقاراتهم بحاجة ماسة إلى الترميم.
- ٦- نقل مركز المحافظة من بنايتها القديمة إلى المنطقة المعربة من المدينة (طريق كركوك - بغداد)، ونقل معظم الدوائر الرسمية الأخرى ومقرات المنظمات المهنية والنقابات إلى المنطقة ذاتها.
- ٧- إنشاء العديد من المعامل والمنشآت الحكومية في المنطقة الجديدة من كركوك، والتي تم توطئ الألو من العوامل العربية فيها، خاصة بالقرب من طريق كركوك - الحويجة، مع بناء البيوت السكنية للعمال الذين استقدموا من وسط وجنوب العراق للعمل فيها.
- ٨- توطئ عشرات الألو من العرب الذين تم جلبهم من وسط وجنوب العراق داخل مدينة كركوك، وقد جلبوا في مجموعات متلاحقة وتم توفير السكن والعمل لهم، والعملية لا تزال مستمرة لحد الآن أيضاً.
- ٩- تشجيع الكرد على مغادرة كركوك وإعلان النظام بقرارات عديدة استعداده لإعطاء منحة مالية للأسرة الكردية التي تتركها، مع تأمين السكن لها في «منطقة الحكم الذاتي» أو في وسط وجنوب العراق، باستثناء تكريت وبغداد وديالى، ثم أصدر قراراً يحمل رقم ١٣٩١ في ٢٠ تشرين الأول ١٩٨١م، تشكل بموجب لجنة للإشراف على نقل «العاطلين عن العمل في منطقة الحكم الذاتي» بالإضافة إلى سكان كركوك إلى وسط وجنوب العراق.
- ونكتفي هنا بالإشارة إلى أسماء الأحياء الجديدة التي بناها النظام داخل مدينة كركوك خلال السنوات الأخيرة، علماً بأن عملية إقامة أحياء جديدة لا زالت مستمرة نظراً لاستمرار النظام في جلب المزيد من العوائل العربية لتوطئها في كركوك وفي أطرافها، والأحياء العربية المستحدثة في كركوك منذ بداية السبعينات هي: حي الكرامة قرب الطريق العام بين كركوك والسليمانية<sup>(٣٧)</sup> وحتى المثني على الطريق بين ويارولي قرب مخازن عتاد الفرقة الثانية شمالي

(٣٧) بنيت أحياء الكرامة وشهداء قادسية صدام والاسكان القديم والحديث في منطقة جوارباغ التي تقع في شمال شرقي المدينة، قرب الطريق العام بين كركوك والسليمانية، وكانت تضم بستاناً =

مدينة كركوك، وحي شهداء قادسية صدام بالقرب من حي الكرامة، وحي الاندلس على الطريق بين كركوك وأربيل في شمالي المدينة، وحي البعث، وحي الواسطي، وحي السكك، وحي غرناطة، وحي الحجاج، وحي العروبة، وحي الشرطة، وحي قتيبة، وحي الأمن، وحي الوحدة، وحي الحرية، كذلك أضاف النظام حوالي ألف وحدة سكنية جديدة لحي عرفة للعمال العرب الوافدين الذين تم استخدامهم في شركة النفط، وبنى أيضاً عدة مئات من الدور السكنية للعمال الوافدين العاملين في معمل استخراج الكبريت وفي مصفى النفط على الطريق بين كركوك- دوزن (التي عُرفت تسميته إلى الدبس)، وقد حول النظام أطراف مدينة كركوك إلى قواعد عسكرية ضخمة بنى فيها مئات الدور للضابط ومئات أخرى لضباط الصف، خاصة قرب معسكر خالد ومقرات الفرق العسكرية والفيلق الخامس<sup>(٣٨)</sup> وتجب الإشارة أيضاً إلى العمل التخريبي الذي قام به النظام العراقي في قلعة كركوك التاريخية، حيث حولها إلى قلعة حربية بعد تدمير جميع الدور والمباني الأثرية فيها، بما فيها من جوامع مع كنيساتها القديمة، وإذا كان النظام العراقي قد باشر سياسته العنصرية هذه ضد الكرد منذ ١٩٦٣م وشدد في تنفيذها منذ بداية السبعينات فقد بدأ بتنفيذها ضد التركمان أيضاً منذ بداية الثمانينات . أما الآشوريون والأرمن، فقد اعتبرهم عرباً بجرة قلم! ولكي يسبق (الشرعية) على عمليات توطين عشرات الألوف من العائلات العربية في كركوك. قام بتزوير سجلات الأحوال المدنية فيها والمستندة إلى الإحصاء الرسمي للسكان لعام ١٩٥٧م، وذلك بإضافة أسمائهم إليها حتى يعتبروا كما لو كانوا مسجلين فيها قبل التاريخ المذكور، ولتحقيق هذا الهدف بالذات، استبدل جميع الموظفين غير العرب من منتسبي دائرة الأحوال المدنية في كركوك، بأخرين بعثيين جلبوا من مناطق أخرى من العراق، وبذلك يمكن القول أن الدولة أخذت تمارس بنفسها عملية تزوير رسمية من أجل أهداف سياسية غير مشروعة، وفي السياق نفسه، بدل النظام الاسم

= كبيراً ومزارع عائدة لأسرة طالباني، وكانت هذه البساتين والمزارع مرتعاً للناس خلال فصل الربيع بوجه خاص، حيث كانوا يذهبون للتمتع بجمال الطبيعة وقضاء أوقات التسلية البرية فيها، كما كان فيها أكثر من كهريز للماء ويمر عبرها أيضاً - حتى أواسط الخمسينات - جدول ماء لسقي البساتين فيها وتزويد التكية الطالبانية بالماء، وكان الجدول متفرعاً من نهر «الخاصة»، بالقرب من «أشه سوركه» شمال شرقي المدينة، على طريق يارولي- كركوك.

(٣٨) كانت مدينة كركوك مقراً لقيادة الفرقة الثانية وكان معظم منتسبيها من ضباط وجنود من الكرد، ومنذ بداية الستينات تحولت المدينة وأطرافها تدريجياً إلى ثكنة عسكرية كبيرة تضم العديد من الفرق العسكرية ثم قيادة الفيلق الخامس ومعسكر خالد والمطار العسكري الكبير والعديد من المنشآت العسكرية الأخرى والتحصينات العسكرية التي تحيط حالياً بالمدينة من أطرافها الأربعة.

التاريخي لكركوك وأطلق على المحافظة اسم «التأميم» بعد تأميم شركات النفط العاملة في العراق في حزيران ١٩٧٢م. كذلك قلص من مساحة المحافظة عن طريق ضم أربعة أفضية منها للمحافظات المجاورة، بهدف جعل الكرد أقلية سكانية في محافظة كركوك، فقد أُلحق عام ١٩٧٦م قضاء طوزخورماتو بمحافظة صلاح الدين (تكريت) المستحدثة والبعيدة عن طوزخورماتو، بينما لم يلحق بها قضاء الحويجة المجاور لها رغم أن معظم سكانه من العرب، كذلك أُلحق قضائي چمچمال وكلار بمحافظة السليمانية، وقضاء كفري بمحافظة ديالى، وأخيراً، جعل من قضاء دوبرز ناحية ملحقة بقضاء كركوك، بينما حول ناحية داقوق إلى قضاء، واستحدثت ناحية جديدة فيه باسم «الرشاد». وأجرى النظام تعديلات أخرى على الحدود الادارية لجميع الأفضية والنواحي التابعة لمحافظة «التأميم» بهدف تحقيق هدفه المشار إليه أعلاه، أي جعل الكرد أقلية سكانية في كل الوحدات الادارية التابعة للمحافظة باسمها الجديد. ومع تنشيط عمليات التوطين في كركوك وأطرافها واحداث تغييرات ديموغرافية عميقة فيها لاسباغ الطابع العربي عليها، دمر النظام البنية التحتية للمناطق الريفية التي لم يستطع توطين العرب فيها لأسباب أمنية خاصة بها<sup>(٣٩)</sup> فقد قام بتدمير جميع القرى الكردية في المناطق الشرقية والشمالية من المحافظة، وأجبر سكانها على النزوح منها والاقامة في مجمعات سكنية بنيت خصيصاً لهم تدار من قبل الأجهزة الأمنية، وعندما نفذ النظام عمليات الأنفال السيئة الصيت خلال عامي ١٩٨٧ و١٩٨٨م والتي تجاوز عدد ضحاياها ١٨٠ ألف مدني كردي كانت حصة منطقة كركوك منها أكثر من النصف، اذ لم يكن بوسع القرويين في هذه المناطق البعيدة نسبياً عن الحدود الدولية الوصول إليها، فاضطروا إلى تسليم أنفسهم للسلطات العسكرية والأمنية التي أرسلتهم إلى جنوب العراق قرب الحدود السعودية، ليدفنوا أحياء في صحاريها القاحلة<sup>(٤٠)</sup> واستمر النظام العراقي في تنفيذ سياسته الرامية لتعريب

(٣٩) رغم أن المؤسسة العسكرية كانت تتمتع بصلاحيات واسعة في كردستان وكان بإمكانها استخدام الأسلحة الكيماوية أيضاً، إلا أنه لم يكن بإمكانها حماية الأحياء في المناطق الواقعة في شمالي وشرقي كركوك ذات التضاريس المتموجة، وذلك خوفاً من هجمات المقاتلين الكرد عليها، وكان أمن الأحياء العربية يتمتع بأهمية قصوى لدى النظام العراقي، لذلك اقتصر انشاء الأحياء العربية في المناطق السهلية من المحافظة حتى عام ١٩٩٦م.

(٤٠) كتب الكثير عن الأنفال وعن ضحايا هذه الجريمة الكبرى، وكتفي هنا بالاشارة إلى أسماء بعض من كتبوا عنها باللغة الكردية، فمن بينهم طه سليمان، في ظل الأنفال، الجزء الأول، مطبعة ئاسا، السليمانية ١٩٩٩، وهتفال أبويكر، الأنفال بين شراسة العدو وعدم اكتراث الأصدقاء، مجلة «كركوك» العدد الأول، السنة الثانية، صيف ٢٠٠٠م، ص: ٥٧ وما بعدها، والدكتور معروف عمر كول، الأنفال مرحلة لتنفيذ جريمة الإبادة، مجلة «كركوك» العددان الثاني والثالث، خريف ١٩٩٩م، ص: ٧ وما بعدها.

كركوك وأطرافها وسط صمت وعدم اكتراث على النطاقين الاقليمي والدولي، رغم أن ممارساته العنصرية هذه كانت أشد قسوة ووحشية من ممارسات الأنظمة العنصرية المدانة دولياً، وهكذا فقدت كركوك منذ بداية الثمانيات وجهها الطبيعي بسبب نزوح موجات «العرب الوافدين» إليها وهيمنتهم على جميع مراكز القوى وعلى الادارة والأجهزة الامنية والمخابراتية فيها، فضلاً عن سيطرتهم على المرافق الاقتصادية والمؤسسات والتنظيمات المهنية المختلفة واستحوادهم على معظم الأراضي الزراعية في المحافظة، وأصبح بوسع المرء ان يلاحظ بسهولة وجود حشود من البشر لا صلة لهم بالمدينة وبالمنطقة قد أصبحوا الأمرين والناهين فيها، بينما تحول أبناء المدينة إلى غرباء وعرضة للأضطهاد والاحتقار من قبل الوافدين الجدد<sup>(٤١)</sup> وشدت النظام من اجراءاته القمعية ضد أبناء كركوك بعد اندحاره في حرب الخليج الثانية واندلاع شرارة الانتفاضة في الجنوب والفرات الأوسط، فقد أمر علي حسن المجيد وزير الدفاع والمشرف على القاطع الشمالي آنذاك، اتخاذ اجراءات قسرية ضد أبناء المدينة خوفاً من وقوع أي تحرك فيها، فأمر في البداية بالقاء القبض على أكثر من ثلاثين ألف كردي من أبناء كركوك، كان من بينهم العديد من العسكريين المجازين وقد مات بعضهم بسبب حشرهم في أماكن ضيقة وغير صحية و مع عدم تقديم الماء والمأكل لهم لأيام، علماً بأن معظمهم كانوا صائمين بمناسبة شهر رمضان المبارك، وخلال الفترة نفسها، أمر المجيد أيضاً بهدم حي كردي في (شوريجة) وحي آخر يسكنه الكرد والتركماني في «الأماس»، قرب منطقة «كاورباغي». وازدادت هواجس الخوف لدى رموز النظام بعد تحرير معظم أجزاء كردستان خلال الأسبوعين الأولين من شهر آذار ١٩٩١م، فاتخذوا استعدادات عسكرية واسعة خوفاً من تعرض المدينة لهجوم المقاتلين الكرد الذين تقدموا نحو كركوك وأحاطوا بها من أطرافها الشمالية والشرقية، وبعد قتال عنيف داخل شوارع المدينة دام بضعة أيام استخدمت فيه الراجمات والصواريخ والمدافع والمروحيات العسكرية في ضرب الأحياء الكردية، اضطر النظام إلى التقهقر والأنسحاب منها، وتم تحرير المدينة مساء يوم نوروز ولكن بثمن باهظ دفع من دماء العشرات من البيشمهترگه وآخرين من أبناء المدينة، بينهم بعض النساء اللواتي كنّ يساعدن المقاتلين أثناء ذلك المعادل الأمنية والمخابراتية ومقرات حزب البعث فيها<sup>(٤٢)</sup> ونظراً لأهمية كركوك بالنسبة للنظام وكونها تشكل عازلاً أمنياً لمناطق تكريت وبغداد،

(٤١) مؤلفنا: منطقة كركوك المشار إليه سابقاً، ص: ١٠٩.

(٤٢) سجل العديد ممن شاركوا في تحرير مدينة كركوك ذكرياتهم وأدوارهم فيه، نشير بوجه خاص إلى ما نشرته مجلة «كركوك» في عددها الرابع الصادر في ربيع عام ٢٠٠٠م، ص: ٥٥-٨٦. ويؤكد معظمهم أن المقاتلين الكرد كانوا يستقبلون بحفاوة ليس من قبل المواطنين الكرد وحدهم، =

فقد ضاعف من استعداداته العسكرية وتنسيقه الأمني مع مجموعات «مجاهدي خلق» الإيرانية التي تحولت إلى قوة من المرتزقة تدافع عن النظام بشراسة، فاستطاعت عدة مفارز منها دخول مدينة كركوك بعد تخفي، أفرادها بالأزياء الخاصة بالمقاتلين الكرد، وتعرضت المدينة خلال ثلاثة أيام متوالية اعتباراً من ٢٧ آذار ١٩٩١ إلى قصف مركز المدينة بجميع أنواع الأسلحة الثقيلة، مما أجبر سكانها على الخروج منها تاركين وراءهم جميع أموالهم وممتلكاتهم التي تعرضت للنهب والسرققة من قبل منتسبي وحدات القوات الخاصة الذين هرب معظمهم بعد وصول البيشمركة للمدينة، ثم عادوا إليها بصحبة الجيش والقوات الخاصة، وتعدر على الكثيرين من الكرد والتركمانيين الذين اضطروا إلى ترك كركوك، العودة إلى دورهم فيها خوفاً من القصف ومن بطش القوات الخاصة فيها، وهكذا كان فشل الانتفاضة آذار ١٩٩١ سبباً آخر يضاف للأسباب الأخرى التي أجبرت أبناء كركوك على الرحيل منها، خاصة الشباب الذين شاركوا في الانتفاضة بشكل أو بآخر.

وتعرض أبناء كركوك بعد عودة الأجهزة الأمنية والتنظيمات الحزبية إليها في بداية نيسان ١٩٩١ إلى حملة شرسة شملت هدم عدد من الدور في الأحياء الكردية، بالإضافة إلى القاء القبض على الكثير من الشباب بتهمة المشاركة في الانتفاضة، وهو ما دفع الآخرين إلى الهروب والتوجه نحو المناطق الأخرى من كردستان، ولم يحترم النظام تعهده التي التزم بها لممثلي الجبهة الكردستانية خلال التفاوض معاً في أواسط ١٩٩١م والمتمثلة بالسماح لأهالي كركوك بالعودة إلى ديارهم، وكان ذلك بداية لحملة جديدة أخرى من الطرد والترحيل أخذت تشتد مع الأيام، ويتبين من الإحصاءات التي نشرتها المنظمات الكردية والعالمية المهتمة بحقوق الإنسان، والمراكز التي تشكلت داخل وخارج كردستان للدفاع عن حقوق المهجرين والمرحلين من أبناء كركوك، أن وتيرة الطرد بدأت بالزيادة بعد اخفاق المفاوضات مع النظام وسحبه لأجهزته الإدارية من محافظات أربيل والسليمانية ودهوك في أيلول ١٩٩١. واشتدت حملات الطرد خلال السنوات ١٩٩٤ و ١٩٩٥ و ١٩٩٦، خاصة منذ بداية ١٩٩٧ أثناء تهيئة النظام الأجواء لاجراء احصاء رسمي في ذلك العام<sup>(٤٣)</sup> ولجأ النظام إلى أسلوب آخر غير مألوف

= بل من قبل المواطنين التركمانيين والآشوريين والعرب من سكان المدينة، وتعرضت الأحياء الكردية إلى خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات، خاصة بعد تعرضها من جديد لهجوم شرس شنته القوات الخاصة وقوات «مجاهدي الخلق» الذين فتكوا حتى بالجرحى الراقدين في المستشفيات، مما أجبر الناس على الخروج من كركوك والتوجه نحو السليمانية وأربيل، فقامت تلك القوات بنهب ممتلكاتهم.

(٤٣) نشرت منظمة العفو الدولية والمنظمة الكردية لحقوق الإنسان في بريطانيا و منظمات حقوق =

حتى في الدول المؤسسة على أسس عنصرية، كجمهورية جنوب أفريقيا سابقاً وإسرائيل فقد طالب الكرد بتغيير قوميتهم وتسجيل أنفسهم عرباً، وأعد استثمارات خاصة بذلك ورد فيها حقل يدون فيه رب العائلة أن تسجيلهم كأكراد تم «خطأ» في الاحصاءات السابقة<sup>(٤٤)</sup> وهدد النظام بطرد جميع من لا يملأ تلك الاستثمارات من كركوك، وياشر باتخاذ هذه الاجراءات قبل تنظيم احصاء عام ١٩٩٧م الذي جاء أكثر تزويراً من الاحصاء العام لسنة ١٩٧٧م، وقد استمر النظام في ممارساته العنصرية هذه حتى بعد اتمام عملية الاحصاء، فقد جاء في خطاب لأحد أقطاب النظام المشرف على تعريب كركوك، وهو عزت ابراهيم الدوري، أنه ليس بوسع غير العرب البقاء في كركوك<sup>(٤٥)</sup>!

وذهب النظام إلى ابعد من ذلك، حيث منع في السنوات الأخيرة نقل جثث موتي «الوافدين

= الانسان في كردستان و المراكز التي تأسست للدفاع عن حقوق أبناء كركوك، خاصة المرشحين منهم، في كل من السليمانية وأربيل وفي أوروبا، نشرت قوائم بأسماء المرشحين مع بيان تأريخ طرد كل عائلة و، نكتفي هنا بالاشارة إلى القوائم التي نشرتها مجلة «كركوك» في عددها الخامس ، ومجلة «هاواري كركوك» في عددها الثالث والرابع، وفي الدراسة القيمة التي نشرت في السليمانية تحت عنوان «أربع سنوات في خدمة المرشحين عن كركوك» التي تتضمن أسماء وعناوين وتاريخ طرد آلاف العوائل الكردية خلال السنوات ١٩٩٦، ١٩٩٧، ١٩٩٨، ١٩٩٩م.

(٤٤) كانت نسبة القومية الكردية في لواء كركوك بموجب احصاء عام ١٩٥٧، ٣، ٤٨٪، وانخفضت في احصاء عام ١٩٧٧م عام إلى ٥٣، ٣٧٪، بينما ارتفعت نسبة القومية العربية من ٢، ٢٨٪ في احصاء عام ١٩٥٧م إلى ١٤، ٤٤٪، والقومية التركمانية انخفضت نسبتها من ٤، ٢١٪ في احصاء عام ١٩٥٧م إلى ١٣، ١٦٪ في احصاء ١٩٧٧م. وتوضح هذه النسبة العالية في الارتفاع والانخفاض السريع وغير الاعتيادي أساليب النظام ولجوء لاجراءات قسرية وغير طبيعية، من بينها ترحيل عشرات الألوف من العائلات الكردية وآلاف من العائلات التركمانية جبراً عن كركوك وأطرافها، مع جلب المزيد من العائلات العربية من مناطق أخرى من العراق لتوطينها في هذه المدينة وفي أطرافها، وبطبيعة الحال ستكون نتائج احصاء عام ١٩٩٧ - غير المعلنة لحد الآن - اكثر دلالة في فضح ممارسات النظام، خاصة بعد اجباره المواطنين الكرد على «تصحيح قوميتهم» وترحيل من لم يملأ تلك الاستثمارات الشاذة إلى المناطق المحررة من كردستان، مع استمرار في جلب الألوف من العوائل العربية لتوطينها في المنطقة، راجع الدكتور خليل اسماعيل خليل، البعد القومي لسياسة «الترحيل والتجميع» في محافظة كركوك، مجلة يهاواري كركوك، العدد الأول أيلول ١٩٩٨م، ص: وما بعدها.

(٤٥) خطاب غزت الدوري في كركوك في بداية أيلول ٢٠٠٠م، وتأكيد على ذلك في كلمة أخرى أمام المسؤولين البعثيين والعسكريين في المدينة في اجتماع آخر له بمناسبة وجوده فيها، جريدة «الحياة» ليوم ٢١ أيلول ٢٠٠٠م.

العرب» الشيعة إلى مدينة النجف الأشرف واجبار ذويهم على دفنهم في كركوك، وذلك كي تكون للعرب مقبرة خاصة بهم في المدينة على غرار المقابر الخاصة بالکرد و التركمان. فمن المعلوم لدى الجميع أنه لا توجد في هذه المدينة غير مقابر خاصة بالکرد، وأخرى بالتركمان. ان الاحصاءات الأخيرة تشير إلى أن عدد المرشحين من كركوك وأطرافها إلى المنطقة المحررة من كردستان قد تجاوزت ١٠٨٠٠٠ نسمة، معظمهم من مدينة كركوك، ويعيش هؤلاء التعساء في ظروف سيئة للغاية وفي مخيمات ومجمعات لا تتوفر فيها أبسط مقومات الحياة ، ويعتمد معظمهم في عيشتهم على المساعدات التي تقدمها لهم المنظمات الانسانية. وأمام حالة اليأس واليأس التي يعيشون فيها والتي استمرت سنوات عديدة حاول ويحاول العديد من أبناء هؤلاء المرشحين التوجه نحو الغرب بطرق غير شرعية، وفقد الكثيرون منهم حياتهم أو ما في حوزتهم من مال قبل وصولهم إلى إحدى الدول الأوروبية. ومن المؤسف أن المجتمع الدولي لا يزال يتجاهل الأوضاع المأساوية لهؤلاء المرشحين من ديار آبائهم وأجدادهم، ولا يمارس الضغط على النظام العراقي لاييقاف حملات الطرد والسياسة العنصرية المناوئة لقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٦٨٨ لسنة ١٩٩١م ولجميع المواثيق الدولية التي التزم بها العراق كونه عضواً في الأمم المتحدة وفي هيئاتها العديدة<sup>(٤٦)</sup> ومن المؤسف أيضاً أن معظم أطراف وفعاليات المعارضة العراقية لا تزال تتجاهل هي أيضاً ممارسات النظام ولا تدينها بصورة صريحة، وهو ما يضع مسألة الثقة بين العرب والکرد في امتحان عسير وما يترتب على ذلك من آثار قد تهدد الكيان العراقي بالانهيار.

---

(٤٦) في مذكرة أرسلت إلى رئيس وأعضاء مجلس الأمن وجميع الهيئات الأخرى في المنظمة الدولية وعدد من دول العالم، وجه «مركز كركوك للبحوث والدراسات» مع ١٢٢ تنظيماً مديناً وحزبياً سياسياً كردستانياً من داخل وخارج كردستان، بالاضافة إلى عدد كبير من المنظمات والشخصيات المهتمة بحقوق الانسان في أوروبا، طالبوا فيها المجتمع الدولي بوضع المناطق الكردية الخاضعة لسيطرة النظام تحت اشراف دولي تطبيقاً للقرار الدولي بوضع المناطق الكردية الخاضعة لسيطرة النظام تحت اشراف دولي تطبيقاً للقرار الدولي رقم ٦٨٨ لسنة ١٩٩١ بسبب ممارسة النظام العراقي لسياسة التطهير العرقي ضد القوميات غير العربية فيها، وجاء في المذكرة أيضاً أن هذا الطلب ويتماش مع القرارات التي اتخذها المجتمع الدولي في مناطق أخرى من العالم تعرضت هي أيضاً لسياسة التطهير العرقي. راجع نص المذكرة المنشورة في ملحق مؤلفنا:

Arabization of the Kirkuk Published by Kurdistan Studies Press in Sweden, Uppsala, 2001,

Page:131.

ان من واجب جميع المخلصين لوحددة الكيان العراقي ولاستمرار العلاقات التاريخية بين العرب والكرد والتركمان والكلدو - آشوريين إدانة سياسة النظام العراقي الرامية إلى تغيير الواقع القومي في كركوك وفي المناطق الأخرى من كردستان الخاضعة لسيطرته، ويجب قبل أن تتفاقم سياسة النظام وتصل إلى حد طرد جميع الكسان الأصليين من كرد وتركمان وكلدو- آشوريين من هذه المناطق، وما يترتب على ذلك من آثار خطيرة على المدى البعيد، وضع هذه المناطق تحت حماية المجتمع الدولي تطبيقاً للقرار الدولي رقم ٦٨٨ لسنة ١٩٩١ الذي يلزم الحكومة العراقية باحترام حقوق الانسان في العراق بوجه عام، وفي المنطقة الكردية بوجه خاص.

ان استمرار النظام العراقي في تنفيذ سياسته الرامية إلى اخلاء كركوك من سكانها الأصليين وعدم اكتراثه بالاحتجاجات شبه المستمرة والتقارير الدورية للمنظمات العالمية المهتمة بحقوق الانسان وبتقارير المنسق الدولي لحقوق الانسان في العراق، يؤكد أن لا شيء يوقف النظام عن تنفيذ سياسته العنصرية هذه إلاّ باجباره على ايقاف الترحيل، كما يجب الزامه باعادة المرحلين إلى ديارهم تحت اشراف دولي، واعادة الوافدين العرب إلى المناطق التي جلبوا منها، ولا يتم ذلك إلاّ بوضع هذه المناطق تحت حماية دولية لحين سقوط النظام واقامة نظام ديمقراطي سليم في العراق، وهو ما طالبت به عشرات المنظمات المدنية والأحزاب السياسية الكردستانية والهيئات والمنظمات والشخصيات العالمية المعروفة العاملة في مجال حقوق الانسان التي قدمت مذكرة في ٢٩ كانون الأول ٢٠٠٠م موجهة إلى رئيس وأعضاء مجلس الأمن وإلى جميع الهيئات الدولية الأخرى في المنظمة العالمية.



## اتجاهات سياسة التفسير الديمغرافي لسكان

### محافظة كركوك

البروفيسور خليل إسماعيل محمد

أستاذ وباحث كردي عراقي

جامعة صلاح الدين - أربيل

#### مقدمة:

تكتسب الدراسات الديمغرافية في العراق، طابعاً خاصاً، وأهمية متميزة في ضوء ما تطرحه نتائج احصاءات السكان من بين بيانات تعكس التغيرات المستمرة، ليس في حجم السكان وتوزعهم الجغرافي فحسب، بل وفي الكثير من الخصائص الديموغرافية ومن بينها: التكوين القومي واللغوي والديني للسكان.

ومن الملاحظات، أن الحكومات العراقية، ومنذ الحاق ولاية الموصل بالدولة العراقية سنة ١٩٢٥م، سعت حديثاً لاعادة التكوين القومي لسكان العراق. بما يضمن احكام سيطرتها وبسط نفوذها على كافة شرائح وألوان المجتمع العراقي، ولاسيما في المحافظات ذات التنوع الاثنوگرافي مثل محافظات:

«نينوى»، «كركوك»، «صلاح الدين»، و«ديالى».

وتعد محافظة كركوك، من بين أهم المحافظات التي تشكلت منها الدولة العراقية الجديدة، وقد ضمت في حينه أفضية: الحويجة، داقوق، چمچمال، الصلاحية (كفري)، گل، وقضاء كركوك<sup>(١)</sup> ثم استحدثت فيها بعد أفضية: دوز خورماتو، الحويجة، داقوق، وقضاء كلار، بحيث بلغت مساحتها ٤,٥ ٪ من مساحة العراق، وسكانها ٥,٧ ٪ من مجموع سكان سنة ١٩٧٠م وامتدت حدود المحافظة بين نهري الزاب الصغير وديالى (سيروان) من جهة، والجبال العالية، ومرتفعات حميرين من جهة أخرى، وبقيت كذلك حتى عقد السبعينات من القرن الماضي، حيث

(١) طه الهاشمي: مفصل جغرافية العراق، مطبعة دار السلام، بغداد ١٩٣٠م، ص: ٥٥٤.

تعرضت إلى سلسلة من التغييرات المتتالية، ليس في مساحتها وحجم سكانها فحسب، بل وفي تشكيلاتها الادارية وفي تسمية الكثير من معالمها العمرانية والتراثية، ولم تعد تضم سوى ٢,٢٪ من مساحة العراق و ١,٤٪ من سكانه كما نقلت الوحدات الادارية بنسبة تزيد على ٤٣٪ خلال الفترة بين سنتي (١٩٧٠ - ١٩٧٧م)<sup>(٢)</sup> استبدل اسم المحافظة بـ«التأميم» بدلاً من محافظة كركوك. وتأسيساً على ذلك، فأُن دراسة المتغيرات الديمغرافية لسكان محافظة كركوك تمثل صفحة من تلك الصفحات التي خطت لها الحكومات العراقية المتعاقبة، بهدف تغيير هويتها القومية، سواء باعادة توزيع سكانها، أو تعديل حدودها الادارية أو تبديل معالمها العمرانية والتراثية.

تهدف - هذه الدراسة - إلى الكشف عن خطط تعريب محافظة كركوك من خلال معالجة المحاور التالية:

- ١- التطور الديموغرافي لمنطقة الدراسة.
- ٢- مؤشرات التغيير الديموغرافي وأنماطه.
- ٣- النتائج التي آلت إليها سياسة التغيير الديموغرافي.

### **التطور الديموغرافي لسكان محافظة كركوك:**

تشكو الدراسات الديموغرافية في العراق نقصاً في البيانات والأرقام، وضعفاً في قيمتها العلمية وفي دقتها وشموليتها، خاصة تلك تتصل بالتكوين الاثنوغرافي، ولا سيما، محافظات كردستان العراق.

وإذا تجاوزنا بيانات السكان للسنوات، قبل ١٩٤٧م، لكونها مجرد تقديرات أو تخمينات ليس إلا<sup>(٣)</sup> فإن كافة احصاءات سكان العراق - باستثناء تعداد سنة ١٩٥٧م - تعد، هي الأخرى، غير جديرة بالاطمئنان بخصوص المحافظات المذكورة<sup>(٤)</sup> لأنها جرت في ظروف سياسة أو أمنية غير طبيعية، مما يجعلنا حذرين في التعامل مع نتائجها. وفي ضوء البيانات التي قدمتها الحكومة العراقية للجنة (عصبة الأمم) لحل مشكلة ولاية

(٢) انظر: حصر السكان لسنة ١٩٧٠م، مطبعة الجهاز المركزي لوزارة التخطيط، بغداد ١٩٧٣م كركوك ونتائج تعداد السكان لسنة ١٩٧٠، مطبعة الجهاز ١٩٧٨م. «محافظة التأميم» والمجموعة الاحصائية السنوية لسنة ١٩٧٧م، مطبعة الجهاز أيضاً - «محافظة التأميم».

(٣) محمد سلمان حسن دراسات في الاقتصاد العراقي، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٦، ص: ٣٧.

(٤) خليل إسماعيل محمد: اقليم كردستان العراق (دراسة في التكوين القومي)، مطبعة زانكو الطبعة الثالثة، أربيل ١٩٩٩م، ص: ٣٨.

الموصل، والمعدة خلال الفترة بين (١٩٢٢-١٩٢٤) فأُن عدد سكان (لواء) كركوك<sup>(٥)</sup> كان قد بلغ (١١١,٦٥٠) نسمة، يمثلون ٣,٨٪ من مجموع السكان في العراق يومذاك، بيد أن وتأثر نمو السكان خلال النظرات التالية أخذت بالارتفاع، حيث بلغت نسب الزيادة بين (١٩٢٤ - ١٩٤٧م) نحو ٧,٧٪ سنوياً، وبلغت ٣,٦٪ بين (١٩٤٧ - ١٩٥٧م) (لاحظ الجدول التالي):

سكان العراق - محافظة كركوك بحسب الزيادة السنوية (%)<sup>(٦)</sup>

الفترة	المحافظة كركوك	العراق
١٩٤٧-١٩٢٤	٧,٧	٣,٣
١٩٥٧-١٩٤٧	٣,٦	٣,٢
١٩٦٥-١٩٥٧	٢,٧	٣,٤
١٩٦٥-١٩٧٠	٢,٠	٢,٨
١٩٧٧-١٩٧٠	٠,٧-	٤,٣
١٩٨٧-١٩٧٧	٢,١	٣,٦

وهي بالمقارنة مع نظيرتها في العراق، تبدو عالية، بسبب تزايد أهمية النفط في المحافظة، واتساع فرص العمل ومن ثم تصاعد حركة الهجرة إليها من جهة، وحملات توطين العشائر العربية الرحالة من جهة أخرى. بيد أن وتأثر نمو السكان هذه أخذت تميل إلى الانخفاض

(٥) كان يطلق على المحافظة في العراق اسم «لواء» حتى سنة ١٩٧٠م.

(٦) انظر: تقرير لجنة عصبة الأمم «مسألة الحدود بين تركيا والعراق لسنة ١٩٢٤م، مطبوعة الحكومة، بغداد ١٩٢٥م.

-وزارة الشؤون الاجتماعية، مديريةية النفوس العامة، احصاء السكان لسنة ١٩٤٧م، الأجزاء الثلاثة، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٥٤م.

-وزارة الداخلية، مديريةية النفوس العامة، مجموعة الاحصائية لتسجيل السكان لسنة ١٩٥٧م، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٣م، اللوائي السليمانية و كركوك.

-وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للاحصاء، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥م، مطبعة الجهاز، بغداد ١٩٧٣م.

-وزارة التخطيط، حصر السكان الأول لسنة ١٩٧٠م، مطبعة الجهاز، بغداد ١٩٧٣م.

-وزارة التخطيط، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٧٧م، مطبعة الجهاز، بغداد ١٩٧٨.

-وزارة التخطيط، نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٨٧م، مطبعة الجهاز، بغداد ١٩٨٨.

خلال عقدي الستينات والسبعينات، وذلك بسبب انخفاض امكانية المحافظة، في امتصاص المزيد من القوى العاملة، وتزايد حملات تهجير وترحيل السكان الكرد والترکمان من المحافظة، ولاسيما في مدينة كركوك والمناطق التي تحيط بها، أو القريبة من آبار النفط<sup>(٧)</sup> وشهدت محافظة كركوك خلال الفترة (١٩٧٠-١٩٧٧م) انخفاضاً سريعاً في حجم سكانها وفي رقعة مساحتها الجغرافية أيضاً ومن ثم تشكيلاتها الادارية حيث تم توزيع معظم وحداتها الادارية على المحافظات المجاورة كما سنرى، لذلك انخفض حجم سكانها وبنسبة تقرب من ١٪ سنوياً، فيما عادت إلى الارتفاع البطيء قياساً بمثيلاتها في العراق خلال الفترة التالية بين سنة (١٩٧٧-١٩٨٧م) (لاحظ الجدول رقم ١) ومع ذلك فإن هذا النمو كان مقتصرأ على قضائي كركوك والحويجة بالدرجة الأولى.

#### جدول الرقم (١)

نسبة الزيادة في سكان محافظة كركوك  
بحسب الأقسية (٪) سنوياً<sup>(٨)</sup>

١٩٨٧-١٩٦٥	القضاء
٦,٧	الحويجة
٠,٨	كفري
٠,٠٢	طوز خورماتو
٣,٩	چمچمال

فيما كانت نسب الزيادة تميل إلى الانخفاض في قضائي كفري وطوزخوماتو. ومن الملاحظ ان الانخفاض في حجم سكان الأرياف كان كبيراً ولاسيما في الوحدات الادارية التي يشكل الكرد غالبية سكانها، حيث تعرضت إلى حملات تدمير للقرى والتجمعات السكنية وترحيل سكانها، فيما تميز قضاء الحويجة - حيث غالبية سكانه من العرب - بارتفاع في حجم سكان الأرياف. وتشير نتائج احصاء السكان في العراق، إلى أن نسب الزيادة تجاوزت ٤٪ سنوياً بين أرياف قضاء الحويجة، فيما كان حجم سكان الأرياف في عموم المحافظة يميل إلى

(٧) ليلي نامق جاف، كركوك لمحات تاريخية، مطبعة خقيات، أربيل ١٩٩٢، ص: ١٠.

(٨) نتائج التعداد العام للسكان لسنة ١٩٦٥م والتعداد العام لسنة ١٩٨٧م، المصدران السابقان.

الانخفاض وبنسبة ٢,٥٪ سنوياً وذلك بين سنتي (١٩٧٠-١٩٨٧م)<sup>(٩)</sup> ان المتغيرات آنفة الذكر، عكست أبعادها على درجة التركيز الريفي- الحضري في المحافظة، حيث نتج عنها انخفاض في نسب سكان الأرياف لصالح سكان المراكز الحضرية، بلغ نسبة نحو ٤٣٪ بين سنة (١٩٤٧-١٩٨٧م) وكان الانخفاض أكثر حدة خلال الفترة بين (١٩٧٠-١٩٨٧م) (لاحظ الجدول التالي):

محافظة كركوك بحسب درجة التركيز الريفي- الحضري<sup>(١٠)</sup>

السنة	الريف	الحضر
١٩٤٧	٧,٧	٣,٣
١٩٥٧	٣,٦	٣,٢
١٩٦٥	٢,٧	٣,٤
١٩٧٠	٢,٠	٢,٨
١٩٧٧	٠,٧-	٤,٣
١٩٨٧	٢,١	٣,٦

ومع أن الانخفاض في حجم سكان الأرياف يعود في جزء منه إلى حركة النزوح الريفي إلى المراكز الحضرية، بحثاً عن فرص عمل أفضل أو رغبة في الاستفادة من خصائص تلك المراكز، إلا أن الجزء الأكبر من هذا الانخفاض يعود بالاساس إلى حملات تهجير سكان القرى الكردية أو التركمانية، وترحيلهم إلى «مجمعات» خاصة أعدت لهم خارج المحافظة. وفي ضوء البيانات المتوفرة، فإن عدد القرى والتجمعات السكنية في أرياف المحافظة سنة ١٩٥٧م، بلغ نحو ١٣٧٢ قرية، انخفض عددها إلى ٥١٩ قرية فقط سنة ١٩٨٧م<sup>(١١)</sup>

(٩) خليل إسماعيل محمد، الحويجة ومخططات تعريب محافظة كركوك، مجلة گولان (باللغة العربية)، العدد: ٣٩، لسنة ١٩٩٩م، أربيل - كردستان العراق.

(١٠) نتائج اجراءات سكان العراق للسنوات (١٩٤٧-١٩٨٧م)، المصدر آنف الذكر.  
(١١) وزارة الزراعة والاصلاح الزراعي، مصلحة الاسكان الريفي، بحوث المؤتمر الأول لمصلحة الاسكان الريفي، بغداد ١٩٧٧م (بحث رقم ٩) - بالرونيو- وأيضاً فريد شمعون: تحليل هيكل الاستيطان الريفي- رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد (مركز التخطيط الحضري- الاقليمي) ١٩٩٠م، ص: ١٠٤.

وهذا يعني أن نسبة الانخفاض بلغت ١, ٢٪ سنوياً خلال تلك الفترة، وكشفت إحدى الدراسات الخاصة بقرى كوردستان العراق المدمرة بأن ٧٧٩ قرية في محافظة كركوك شملتها حملات التدمير تضم نحو (١٩٨, ٠٦٤) عائلة و تم ترحيلها إلى خارج المحافظة، كما يشير إلى ذلك الجدول رقم (٢) بالاضافة إلى ذلك شهدت منطقة الدراسة حملات «الأنفال» خلال الفترة بين شباط - أيلول من سنة ١٩٨٨م.

#### جدول رقم (٢)

القرى المرحلة في محافظة كركوك (١٩٦٩-١٩٨٨)<sup>(١٢)</sup>

القضاء	عدد القرى	عدد الأسر
كركوك	٢١٨	٦١٣٩٤
كفري	٨١	٢٢٨١٧
دوز خورماتو	١٣٥	٤١٦٩٦
چمچمال	١٦٤	٥١٧٩٧
كلار	١٨١	٢٠٣٦٠
المجموع	٧٧٩	١٩٨.٠٦٤

وتمثلت تلك الحملات بقيام الحكومة العراقية بتجميع سكان القرى الكردية في مواقع معينة، ثم نقلهم إلى جهات مجهولة، حيث لا يعرف مصيرهم حتى الآن<sup>(١٣)</sup> من جهة أخرى كان للتغيير في الخريطة الادارية للمحافظة دور مؤثر في اتجاهات نمو السكان، ففي منتصف عقد السبعينات من القرن الماضي، تم فصل أقضية چمچمال وكلار وطوزخورماتو وكفري وألحقت بالمحافظات المجاورة، الأمر الذي أدى إلى انخفاض مساحة المحافظة إلى النصف، كما انخفض حجم سكانها أيضاً<sup>(١٤)</sup>

(12) S. M. Rasool; Destruction of Nation; Published By H. Zahawi and L. Rashid; U.S.A, 1990; p.p 111- 134.

(١٣) زياد عبد الرحمن، تونى مەرك، هيرشه كانى ئەنفال، ل: ٢٢.

(١٤) خليل إسماعيل محمد: البعد القومي للتغيرات في الحدود في محافظة كركوك منشورات وزارة الثقافة لاقليم كوردستان العراق، أربيل ١٩٩٧م ص: ١٠.

## البعد القومي لاتجاهات نمو السكان

يمثل الزحف العربي على العراق في ظل الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي، أهم الأحداث التي كان لها آثارها في التكوين القومي لسكانه<sup>(١٥)</sup> واستمر تدفق القبائل العربية خلال العهود التالية، متجاوزة نهر الفرات باتجاه الشرق والشمال<sup>(١٦)</sup> ويشير (لونكريك) إلى أن أعظم حادث شهده العراق في القرن السابع عشر الميلادي، كان هجرة عشائر شمر التي استوطنت منطقة الجزيرة فيما انتقل قسم منها إلى الضفة الأخرى من نهر دجلة إلى الجوار من نهر الزاب الأسفل ومنهم عشائر: الجبور، طي، الجحيش، والعكيدان، قادمة من الجزيرة العربية<sup>(١٧)</sup> لقد كان لمثل هذه الحركات، تأثير واضح على حركة القبائل الأخرى ومن ذلك، انتقال عشائر العبيد إلى شرق دجلة، واستقرارهم في منطقة الحويجة من محافظة كركوك متخطين بذلك مرتفعات حميرين<sup>(١٨)</sup> واستمرت هجرة القبائل هذه بعد الحرب العالمية الأولى<sup>(١٩)</sup> وتشير الدراسات إلى أن العشائر العربية التي تشكل اليوم نسباً متزايداً من سكان محافظة كركوك، كانت قد هاجرت إليها منذ عهد قريب بين قرنين إلى ثلاثة قرون، قادمة من جزيرة العرب أو من بلاد الشام، ومن هذه العشائر إضافة إلى ما ذكر: عنزة، الظفير، الجواله، جميلة، الهييات، الصميدع، بنو تميم، البوحمدان، البواسحق، البورياش، والبوشاهر<sup>(٢٠)</sup> فعشائر العبيد، على سبيل المثال، كانت قد نزحت إلى العراق منذ أربعة قرون، واستوطنت أراضي الجزيرة على ضفاف نهر الفرات الأعلى، لكن صراعها مع عشائر شمرو اضطرها إلى النزوح إلى سهل الحويجة في محافظة كركوك<sup>(٢١)</sup> وفي هذا الصدد و أكدت «مس بيل»: «أن السيل المستمر لسكان الجزيرة العربية نحو الشمال، من أكثر العوامل

(١٥) صالح أحمد العلي: معالم العراق العمرانية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٩م، ص:

٣١٠. سوادى عبد محمد: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، دار

الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٩م، ص: ٥٧.

(١٦) نوري خليل الزاري: البداوة والاستقرار في العراق، القاهرة ١٩٦٩م ص: ١٢٢.

(١٧) انظر: لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة أركان،

بغداد ١٩٨٥م، ص: ١٠٢ - ١٠٤.

(١٨) المصدر نفسه، ص: ٢٤٢، وأيضاً: نوري خليل الرازي، مصدر سابق، ص: ١٢٣.

(١٩) نوري خليل الرازي، مصدر سابق، ص: ١٢٧.

(٢٠) انظر: ثامر العامري: موسوعة العشائر العراقية و دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٣م.

وأيضاً شاكر خصباك، العراق الشمالي، مطبعة شفيق، بغداد ١٩٧٣م، ص: ١٥٤ - ١٥٦.

(٢١) يراجع: عبد المجيد فهمي حسن، دليل مشاهير الولاية العراقية و ج٢ (لواء كركوك) مطبعة

دجلة، بغداد ١٩٤٧م، ص: ٦٤.

أهمية في تاريخ العراق»<sup>(٢٢)</sup> ويمكن القول، بأن توطین مثل تلك العشائر في الأطراف الغربية والجنوبية الغربية من منطقة الدراسة، كان مقدمة لحملات تعريب واسعة النطاق وتم التخطيط لها وتنفيذها على مراحل، وعبر وسائل متنوعة، منذ تأسيس الدولة العراقية والحاك ولاية الموصل بها، بهدف ترقیق الوجود الكردي والترکمانی لصالح الأقلية العربية، كما سيتضح من دراستنا التالية.

### مؤثرات سياسة التعريب في المحافظة:

يعد محور كركوك من بين أهم المحاور الرئيسية الثلاثة سعت الحكومات العراقية لتنفيذ مخطط تعريبها، بالإضافة إلى محوري الموصل وشرقي بغداد<sup>(٢٣)</sup> ومن مؤثرات سياسة التعريب في منطقة الدراسة:

#### ١- مشروع الحويجة:

يتمثل هذا المشروع (الاروائي) بقناة تمتد من نهر الزاب الأسفل باتجاه منطقة الحويجة بطول ٥٥ كم لارواء الجهات الغربية من محافظة كركوك، بدأ العمل به منذ سنة ١٩٣٦م وأنجز سنة ١٩٥٢م وساهم في توطین أكثر من ٢٠ ألفاً من أبناء العشائر العربية الرحالة في منطقة الجزيرة، ومنها عشائر العبيد، طي، والجبور مثلما أوجد فرصاً مماثلة لتوطین عشائر اللهب، والكورية في سهول قرهتبه<sup>(٢٤)</sup> ويعد، هذا المشروع أول عملية توطین مخططة للعشائر العربية في المحافظة<sup>(٢٥)</sup> حيث أقيمت ١٢٤ مستوطنة لعشائر العبيد و ٨٥ أخرى للجبور، وخصصت ١٤ مستوطنة لعشائر البوحمدان، بالإضافة إلى خمسة مستوطنات للتكرارة والدورين<sup>(٢٦)</sup>

(٢٢) المس بيل: تأريخ العراق القريب ترجمة جعفر خياط، بيروت ١٩٤٩م، ص: ١١.

(٢٣) انظر: خليل إسماعيل محمد: «الاستيطان العربي في منطقة الكرد الفيليين»، من بحوث المؤتمر العلمي الأول لجماعة السليمانية في أيلول سنة ٢٠٠٠م وأيضاً: خليل إسماعيل محمد: «البعيد القومي للاستيطان العربي في محافظة كركوك» من بحوث المؤتمر العلمي لمكتب المنظمات الجماهيرية بالعنوان مع جامعة صلاح الدين في أربيل، نيسان سنة ٢٠٠١م، وكذلك البعد القومي للاستيطان الريفي في ناحية زمار: مجلة «سياسة تي دقولي»، العدد: ٣٢. السليمانية ٢٠٠١م، باللغة الكردية.

(٢٤) أحمد نوري الجبوري، الاستيطان الريفي في قضاء الحويجة، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد - غير منشورة ١٩٨٦، ص: ٤٤-٤٧.

(٢٥) نوري طالباني: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، لندن ١٩٩٥، ص: ٤٢.

(٢٦) أحمد رحيم أمين، «هويجه خاكي زهوت كراوى...» كؤفارى كهركوك، ژماره (٤) سالى ١٩٩٩، سهنتهري، كهركوك ههولير- ل ٤٩ (باللغة الكردية).



وبلغ تعداد هذه العشائر في منطقة الحويجة وحدها أكثر من ٢٧ ألف نسمة بموجب تقديرات السكان لسنة ١٩٥٦م<sup>(٢٧)</sup> كما شرعت الحكومة العراقية، بحفر الآبار لهم وتوزيع الأراضي الزراعية عليهم بمساحة ٧٢,٥ دونماً لكل عائلة<sup>(٢٨)</sup> بحيث بلغ عدد القرى في أراضي المشروع أكثر من ٥٠٪ من مجموع القرى في القضاء، إلى جانب مشروع (ري صدام) الذي ساهم في إقامة المزيد من تلك المستوطنات<sup>(٢٩)</sup> وذلك في النصف الثاني من عقد:-

السبعينات من القرن الماضي، ومن هنا فأن وتأثر الزيادة في سكان أرياف قضاء الحويجة ارتفعت بنسبة ٥٪ سنوياً بين سنتي (١٩٧٠-١٩٧٧م) وأكثر من ٩٪ سنوياً بين (١٩٧٧-١٩٨٧م) فيما كانت تنخفض في بقية الوحدات الادارية في المحافظة (لاحظ الجدول التالي):.

سكان ارياف قضاء الحويجة والمحافظة (١٩٥٧ - ١٩٨٧)(٣٠)

الفترة	أرياف قضاء الحويجة	أرياف المحافظة
١٩٥٧ - ١٩٧٠	٣,٢	١,٠
١٩٧٠ - ١٩٧٧	٥,١	٢,٥
١٩٧٧ - ١٩٨٧	٩,٤	صفر
١٩٥٧ - ١٩٨٧	٥,٥	١,٢
كلار	١٨١	١٨١
المجموع	٧٧٩	٧٧٩

(٢٧) وزارة الشؤون الاجتماعية، مديرية النفوس العامة، الدليل العام لتسجيل النفوس لسنة ١٩٥٧م - العشائر المتوطنة، ص: ١٦٧.

(٢٨) أمجد نوري الجبوري: الاستيطان الريفي في قضاء الحويجة، مصدر سابق، ص: ٤٨.

(٢٩) مصدر سابق، ص: ١٦٧ - ١٦٨.

(٣٠) احصاءات سكان العراق للسنوات ١٩٥٧، ١٩٧٧، ١٩٨٧م، وحصر السكان لسنة ١٩٧٠م المصادر السابقة والخاصة بلواء (محافظة) كركوك.

## ٢- التوسع في إنتاج النفط في المحافظة:

كان اكتشاف النفط بكميات كبيرة في منطقة الدراسة بعد الحرب العالمية الأولى، سبباً في سعي بريطانيا لضم ولاية الموصل إلى الدولة العراقية الجديدة، ومن ثم التخطيط لتغيير تكوينها القومي لصالح السكان العرب، وأصبح شعار الحكومات العراقية المتتالية منذ ذلك الوقت: «طرد الكرد أينما وجد النفط وتعريب المناطق النفطية»<sup>(٣١)</sup> النفط تدفق بكميات كبيرة في المحافظة بعد سنة ١٩٢٧م بدءاً من حقول باباگرگر القريبة من مدينة كركوك، وأخذ يصدر إلى الخارج منذ سنة ١٩٣٤م، استمر إنتاجه يتصاعد، وتتوسع معه فرص العمل في المشاريع والمؤسسات النفطية في المحافظة، واستخدمت شركة نفط كركوك في بداية الخمسينات أعداداً كبيرة من العمال والموظفين والمستخدمين تم جلب معظمهم من خارج المحافظة، وظهر العديد من الأحياء السكنية في مدينة كركوك وخارجها يغلب على سكانها العرب أو الأرمن والآشوريون<sup>(٣٢)</sup> فيما تم تسريح العمال والمستخدمين الكرد أو نقلهم إلى خارج المحافظة<sup>(٣٣)</sup> من جهة أخرى، فإن شركات النفط في العراق، كانت قد (حذرت) الحكومة العراقية من نتائج زيادة حجم السكان الكرد في المحافظة، بسبب ارتفاع نسب الانجاب بينهم، وعدت ذلك خطراً يهدد الأمن القومي للدولة<sup>(٣٤)</sup> وفي ضوء ذلك أشارت القيادة الكردية إلى «أن الحكومات العراقية كانت تسعى دوماً وبدرجات متفاوتة، ومعها شركات النفط إلى محاربة الطابع الكردي لكركوك»<sup>(٣٥)</sup> ومع تطور الأسلحة لدى الحركة الكردية في العراق واتساع نطاق فعاليتها، ازدادت خشية السلطات العراقية على منشآت النفط في كركوك، الأمر الذي دعاها إلى توسيع نطاق «الأحزمة الأمنية» حول المدينة وحقول النفط المجاورة لها أو القريبة منها، وذلك بإقامة المزيد من الربايا والثكنات العسكرية، أو زرعها بالمستوطنات العربية المسلحة<sup>(٣٦)</sup>

(٣١) مكتب الدراسات والبحوث المركزي للحزب الديمقراطي الكردستاني، نفط كردستان العراق، ج٢/١٩٩٨م، دراسة رقم (٣٢)، ص:٣.

(٣٢) انظر: مصدر سابق، ص: ٤٥، وأيضاً شاكر خصبك، العراق الشمالي، مصدر سابق، ص: ١٥٣.

(٣٣) نوري الطالباي، مصدر سابق، ص: ٥٨. ويلي نامق، مصدر سابق، ص: ١٠.

(٣٤) لطيف فاتح فرج، وكوردو كهركوك، كؤفارى په يقين، ژماره (٢) ١٩٩٧م، سليمانى - باللغة الكردية - ل: ٨١ - ٨٣.

(٣٥) مركز الدراسات والبحوث المركزي، مصدر سابق، ص: ٧٦.

(٣٦) انظر: چيا، گواستنى ناوچه سنووريبه كانى...، كؤفارى سياسه تى دهولى، ژماره (٤) / ١٩٩٣م، ههولير، ل: ٢٠ - ٢١ (باللغة الكردية)

ففي سنة ١٩٦٣م تم تهجير سكان ٦٣ قرية كردية في أطراف مدينة كركوك وحيء بالعشائر العربية محلهم، ومن هذه القرى هي<sup>(٣٧)</sup> «سونه گولی»، «باوه رلی»، «په نجا علی» و «ولی پاشا»، «قزلقايه»، «چیمهن الصغرى والكبرى»، «جهول بوز»، «هه نجیره»، «توتان»، «قوشقايه»، «شورلو»، «باجوان»

إن لموضوع ترحيل السكان الكرد من مدينة كركوك والقرى المجاورة لها، واستبدالهم بالسكان العرب أهميته، ليس لكونه أدى إلى تغيير الواقع السكاني لتلك المناطق فحسب، بل لأنه كان ولا يزال أبرز العقبات في طريق إيجاد حل للقضية الكردية في العراق.

استمرت سياسة التعريب هذه، خلال النصف الثاني من القرن الماضي، الأمر الذي دعا القيادة الكردية في كردستان العراق إلى الرد عليها بمذكرة قدمتها إلى الحكومة العراقية بتاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٦٤م، مشيرة إلى أن «دائرة تعريب الشركات النفطية، أصبحت أخيراً دائرة لتعريب الشركات»<sup>(٣٨)</sup> وتجددت حملات التعريب في عقد السبعينات حيث تم تنفيذ خطة جديدة لنقل العمال والموظفين الكرد من شركة النفط وسكة الحديد، وشركة الكوكاكولا، بالاضافة إلى نقل المعلمين والمدرسين إلى خارج المحافظة<sup>(٣٩)</sup>

### ٣- حملات التهجير والترحيل:

سبقت الاشارة عند دراستنا لاتجاهات نمو سكان محافظ كركوك، إلى تعرض الكثير من القرى للتدمير أو ترحيل سكانها، سواء تلك التي تحيط بمدينة كركوك أو القريبة من آبار النفط، وذلك في العقد السادس من القرن الماضي، إلا أن العقدين التاليين، شهدا حملات متتالية لتصفية القرى ذات الغالبية غير العربية من سكانها الكرد، وكذلك التركمان، وترحيلهم إلى «مجمعات قسرية» أقيمت في عدد من محافظات وسط وجنوب العراق فقد تضمن قرار مجلس قيادة الثورة برقم ١٣٩١ في ٢ / ١٠ / ١٩٨١م، تشكيل لجان على مستوى المحافظات (في محافظات شمال العراق) للقيام بتجميع الأسر والعوائل الكردية، واسكانهم في مجمعات خاصة أعدت لهذا الغرض ويحجم ٢٠ ألف وحدة سكنية لكل مجمع وذلك في محافظات «الأنبار، القادسية، ذي قار والمثنى»<sup>(٤٠)</sup>

(٣٧) نوري طالباني، مصدر سابق، ص: ٥٧.

(٣٨) مسعود البارزاني: البارزاني والحركة التحررية الكردية (١٩٥٨ - ١٩٦١م)، كردستان ١٩٩١م، ص: ١٢١.

(٣٩) لطيف فاتح فرج، كورد و كهركوك، سه رچاوهی پيشوو، ل: ٨١.

(٤٠) مجلة الوقائع العراقية، العدد (٢٨٥٦) في ١٢ / ١١ / ١٩٨١م عن جمعية أترك العراق «أترك العراق و حقوق الإنسان» نشرة رقم (٦) لسنة ١٩٩٣م، انقره.

على أن تقوم هذه اللجان (التنفيذية) وبالتنسيق مع لجنة «شؤون الشمال» باختيار العناصر المطلوب ترحيلها.

وفي تشرين الأول من سنة ١٩٨٧م، أصدر مكتب «تنظيم الشمال» كتاباً برقم (٣٣٤٠) إلى كافة دوائر الأمن في «المنطقة الشمالية» لتنفيذ الأمر (٤٣٥٠) في ٧ / ٩ / ١٩٨٧م وعلى النحو الآتي:

تشكل لجان أمنية تقوم بجرد عوائل (المخربين) أو ترحيلهم إلى مناطق تواجدهم عدا الذكور في سن (١٢ - ٥٠) سنة الذين تم احتجازهم، واستثني من الأمر العوائل التي لها «شهداء» أو «مفقودين» أو «أسرى» أو «مقاتلين في أفواج الدفاع الوطني»، حيث تم ترحيل الأم فقط باتجاه ابناء (المخرب)<sup>(٤٠)</sup> كما صدرت قرارات تقضي بطرد أية عائلة، إذا ثبت<sup>(٤١)</sup>

١- توقيف أحد أفرادها أو صدر الحكم بسجنه.

٢- لم يخدم أحد أبنائها في الجيش الشعبي.

٣- أن أحد أفرادها يقيم خارج العراق.

٤- أن أحد أفرادها ينتسب إلى الحركة الكردية.

وفي ظل الهجرة المليونية للسكان الكرد باتجاه الحدود العراقية - الإيرانية - التركية، بعد عودة النظام العراقي إلى المنطقة الكردية سنة ١٩٩١م، لم تسمح الحكومة بعودة الآلاف من سكان محافظة كركوك إلى ديارهم، مما اضطرهم للعيش في مخيمات توزعت في المنطقة المحررة من كردستان العراق<sup>(٤٢)</sup> ومن الملاحظ أن السلطات العراقية، وضعت العوائل الكردية في محافظة كركوك أمام خيارين: إما النزوح إلى المحافظات الجنوبية، ويحق لها في هذه الحالة، نقل ما يمكنها من الأمتعة والحاجيات، أو التوجه إلى المنطقة المحررة دون أن يصطحبوا معهم أية مستلزمات.<sup>(٤٣)</sup>

وفي ١٢ كانون الثاني من سنة ١٩٩٨م، أصدرت محافظة «التأميم» كتابها المرقم (٣٠١٤٣٣) عطفاً على كتاب ديوان رئاسة الجمهورية، يتضمن معلومات عن ترحيل العوائل الكردية من المحافظة جاء فيه:

١- حجز (شخص) من كل عائلة مرحلة إلى «المنطقة الشمالية» و بطاقته التموينية وممتلكاته.

(٤٠) علي سنجاري: الحركة التحررية الكردية، مطبعة خبات، دهوك، ص: ٣٤٢.

(٤١) ليلي نامق، مصدر سابق، ص: ١٢.

(٤٢) نوري طالباني، مصدر سابق، ص: ٦٧.

(٤٣) مصدر سابق، ص: ٣٢.

٢- إعلام مسؤول أمن المنطقة والحزب ومختارها عن ذلك. وقد تم ترحيل (١٤٦٨) عائلة خلال الفترة بين (١٥ نيسان و ١٥ حزيران) سنة ١٩٩٨م وذلك بمعدل (٧٣٤) عائلة شهرياً<sup>(٤٤)</sup> ويشير تقرير منظمة U.S.C.R. لعام ٢٠٠٠م إلى «أن الحكومة العراقية تسببت في ترحيل نحو (١٠٠) ألف شخص إلى شمال العراق معظمهم من منطقة كركوك»<sup>(٤٥)</sup> فيما منع على من تبقى منهم حق شراء أية أراض أو عقارات أو القيام بعمليات ترميم أو إعادة بناء وذلك بموجب القرار رقم (٢٩) /٢٤ /٨ /١٩٨٩م<sup>(٤٦)</sup>.

من جهة أخرى، فإن الباب قد فتح على مصراعيه لتوطين المحافظة بالوافدين من العوائل العربية، ولاسيما في مدينة كركوك بالذات، وتم تقديم كل التسهيلات لهم، من بينها بناء الأحياء السكنية لهم، وتوزيع الأراضي عليهم، ومنحهم المكافآت والامتيازات، وتشكلت في المدينة لجنة خاصة مهمتها تسهيل عمليات توطين هؤلاء (الوافدين) العرب من محافظات العراق الوسطى والجنوبية مقرونة بالتوسع في إقامة المؤسسات والمشاريع العمرانية و الخدمية لتوفير العمل لهم<sup>(٤٧)</sup> وبهدف تصفية المتبقي من السكان الكرد أو التركمان في مدينة كركوك، سعت الحكومة العراقية، إلى تغيير مورفولوجية المدينة وإعادة تخطيطها العمراني حيث ألغت الكثير من المحلات والأحياء ذات الغالبية الكردية أو التركمانية في سكانها، مثل حي كوماري (الجمهوري) الشورجة، ألماس، مصلى، ابلاخ، بقرتكية، پيريادي، بحجة إقامة الساحات والميادين العامة والمنتزهات، وفتح الطرق والشوارع الواسعة، أو إقامة المعسكرات والمراكز الأمنية والحزبية... الأمر الذي تسبب في ترحيل سكان تلك الأحياء، فيما قامت الحكومة بزرع أطراف المدينة بعشرات من الأحياء العربية من بينها<sup>(٤٨)</sup> الكرامة، المثنيو الأندلس، البعث، العروبة، غرناطة، الوحدة، الحرية، دور الأمن...

وقد جاء في إحدى الدراسات العلمية لمدينة كركوك<sup>(٤٩)</sup> أن الاتساع المساحي للمدينة بلغ

(٤٤) جرجيس فتح الله، زيارة للماضي القريب، دار الشمس للطباعة والنشر، استكهولم، السويد ١٩٩٨م، ص: ١٩٣.

(٤٥) خهبات: صحيفة الحزب الديمقراطي الكردستاني، العدد: ١٠١٤ في ١٦ /٢ /٢٠٠١م، أربيل - كردستان العراق.

(٤٦) وريا الجاف، مطبعة وزارة الثقافة في إقليم كردستان العراق، أربيل ١٩٨٨م، ص: ١٤٤.

(٤٧) نوري طالباني، مصدر سابق، ص: ٦٢.

(٤٨) لطيف فاتح فرج، مصدر سابق، ص: ٧٤.

(٤٩) زين العابدين علي أصغر: النقل في مدينة كركوك، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى جامعة بغداد، سنة ١٩٦٩م، ص: ٥١، ٢٦١.

أكثر من ١٥٪ سنوياً بين سنتي (١٩٧٣ - ١٩٧٧م)، كما ارتفع حجم سكانها بنسبة ١٢٪ سنوياً، وهي نسبة متميزة بالمقارنة مع السنوات السابقة أو اللاحقة وتشير الدراسة أيضاً إلى أن الزيادة في عدداً الأحياء السكنية في المدينة كانت تقل عن ٥,٥٪ سنوياً بين (١٩٢٧ - ١٩٥٧م) بينما تضاعفت النسبة بين سنتي (١٩٧٣ - ١٩٩٥م) مما يؤكد اتساع حركة بناء الأحياء السكنية داخل المدينة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي.

ومن نتائج بيانات احصاءات سكان العراق يتضح أن نسبة الوافدين إلى محافظة كركوك من محافظات وسط وجنوب البلاد تقل عن ٨٪ من مجموعهم الكلي سنة ١٩٥٧ بينما ارتفعت إلى ٧٩٪ سنة ١٩٧٧م. (٥٠)

#### ٤- التغيير في التشكيلات الادارية:

شهدت محافظة كركوك خلال النصف الثاني من القرن الماضي، سلسلة من التغيير في خريبتها الادارية تجاوزت الكثير من الأسس والمعايير ذات العلاقة بالتخطيط الاداري، بحيث حالت دون تطابق حدودها الادارية، الجديدة، ومعايير الجذب السكاني (٥١) ولم يتبق من وحداتها الادارية عند تغيير اسمها إلى «محافظة التأميم» سنة ١٩٧٦م سوى قضائي كركوك والحويجة قبل أن يستحدث قضاء آخر باسم قضاء دبس (دوبز) وبمعنى آخر انخفضت مساحتها الأصلية إلى ٢ كم<sup>٢</sup> فقط (٥٢) أما أقضية چمچمال وكلاز وطوزخورماتو وكفري فقد تم توزيعها على المحافظات المجاورة، كما ألحقت ناحية (ألتون كويري) التابعة لقضاء كركوك بمحافظة أربيل سنة ١٩٨٩م بهدف تصفية السكان الكرد والترکمان في المحافظة، فيما ألحقت بقضاء الحويجة ناحية «الزاب» من قضاء الشرقاط بمحافظة نينوى سنة ١٩٨٤ حيث غالبية سكانها من العشائر العربية (٥٣) ومعلوم أن قضاء الحويجة، نال اهتمام السلطات العراقية منذ بدأت بتنفيذ مشروع «الحويجة» الذي مرّ ذكره، وسعت حثيثاً إلى تشجيع العشائر العربية للاستقرار فيه، واستحدثت ناحية العباسي بالاضافة إلى ناحية «المركز والرياض» ثم أضيفت إليه ناحية «الزاب» التي أشرنا إليها بحيث زادت مساحة القضاء من

(٥٠) المجموعة الاحصائية لتسجيل السكان لسنة ١٩٥٧م ونتائج احصاء السكان لسنة ١٩٧٧م محافظة التأميم، جدول (١٥)، المصدران السابقان.

(٥١) وزارة التخطيط، هيئة التخطيط الاقليمي، تحديد المناطق التخطيطية في العراق، دراسة رقم ١٥٥، بغداد ١٩٨٥م، ص: ٥٠-٥١.

(٥٢) وزارة التخطيط، المجموعة الاحصائية لسنتي ١٩٧٠ و١٩٧٦م، مطبعة الجهاز المركزي بغداد.

(٥٣) خليل أسماعيل محمد: البعد القومي للتغيرات في الحدود الادارية، مصدر سابق، ص: ١١-

١٢، وانظر أيضاً: المرسوم الجمهوري رقم ٤٣٤ في ١١/٩/١٩٨٩م.

١٦,٦٪ إلى ٣٠٪ من مجموع مساحة المحافظة وسكانه من ٨,٢ إلى ١٧,٥٪ بين سنتي (١٩٦٥ - ١٩٨٧م)<sup>(٥٤)</sup>

#### ٥- حملات الأنفال في المحافظة:

وهي سلسلة من الاجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية خلال الفترة بين شباط - أيلول من سنة ١٩٨٨م وعلى ستة أو سبعة مراحل، تمثلت بتجميع الآلاف من سكان محافظات كردستان العراق في مواقع معينة ونقلهم إلى جهات مجهولة، ولا يعرف مصيرهم حتى الآن<sup>(٥٥)</sup> ولم يكن نصيب منطقة الدراسة بأقل من بقية تلك المحافظات، ففي خلال شهر نيسان من العام المذكور تعرض سكان القرى في كافة الوحدات الادارية في محافظة كركوك إلى مثل تلك الحملات عدا «قضاء الحويجة»، وقدرت منظمة C.O. A.V.R عدد الذين شملتهم حملات الأنفال في المحافظة بأكثر من ٢٠ ألف نسمة من الرجال والنساء والأطفال وكبار السن<sup>(٥٦)</sup> كما اضطرت آلاف اخرى النزوح إلى المواقع الجبلية الحصينة أو اجتياز الحدود إلى ايران تجنباً من الوقوع في مصيدة «الأنفال»<sup>(٥٧)</sup>

#### ٦- التزوير في سجلات الأحوال المدنية:

بالاضافة إلى ظروف عدم الاستقرار، التي رافقت قيام احصاءات السكان في العراق كما ذكرنا، وانعكاسات ذلك سلباً على حجم وتوزيع السكان في محافظة كركوك... فإن ثمة تزويراً قامت به السلطات العراقية في سجلات النفوس حسب تعداد سنة ١٩٥٧م، والذي غالباً ما تعتمده القيادة الكردية في مفاوضاتها مع الحكومة العراقية، بل وأيضاً في تعدادي ١٩٦٥ و ١٩٧٧م<sup>(٥٨)</sup> من جهة ثانية سعت الحكومة العراقية إلى ما عرف بـ«تصحيح» القومية، وذلك باستبدال قوميات البعض من الأفراد والعشائر (غير العرب)، بالعربية، ومن بين عشائر المحافظة التي شملها «التصحيح»: الصالحي (سالهبي)، الكاكائي الجباري، وخيرت العوائل

(٥٤) نتائج احصاء السكان لسنة ١٩٦٥م، واحصاء السكان لسنة ١٩٨٧م، المصدران السابقان.

(٥٥) ميدل ايست ووج، التطهير العراقي في العراق (كوردستان) ترجمة د. رزگار، مطبعة خفتبات دهوك ١٩٩٩م، ص: ٢١٧ - ٢٤٤.

(٥٦) زياد عبدالرحمن: تونى مهرگ، سه رچاوهى پيشوو- باللغة الكردية -ص: ٨.

(٥٧) منيدي: لنضع حداً لمعاناة الكرد، مجلة دراسات كردية، المصدر (٤) / ١٩٩٣م، باريس، ص: ١٨.

(٥٨) جرجيس فتح الله، زيارة للماضي القريب، مصدر سابق، ص: ١٨٩. وأيضاً نوري طالباني، مصدر سابق، ص: ٦٠ - ٦١.

بين الرحيل عن ديارهم، أو التوقيع على «استمارة» تصحيح قوميتهم إلى العربية<sup>(٥٩)</sup> فيما اضطر آخرون بفعل الضغوطات الاقتصادية أو السياسية، وخوف الترحيل ومصادرة ممتلكاتهم، إلى الرضوخ للأمر الواقع ف سجلوا أنفسهم عرباً<sup>(٦٠)</sup>.

ومع تشجيع الحكومة العرب الوافدين إلى محافظة كركوك على الاستقرار فيها، ولاسيما في مدينة كركوك، ومنحهم التسهيلات اللازمة، اشترطت عليهم نقل (قيود) سجلات النفوس معهم لاثبات انهم من أبناء المحافظة، ومن جانب آخر، عملت على نقل (قيود) السكان الكرد المرشحين معهم إلى المحافظات التي رحلوا إليها.

ويظهر أن السلطات العراقية، إزاء رغبة البعض من الوافدين العرب العودة إلى المحافظات التي جاؤوا منها، سمحت باعادة قيودهم معهم شريطة ألا يكونوا قد استفادوا من وجودهم في محافظة كركوك عقاراً أو داراً أو أموالاً<sup>(٦١)</sup>.

#### ٧- الأحزمة الأمنية:

يقصد بـ«الحزام الأمني» في هذه الدراسة، مجموعة الأحياء السكنية العربية، أو الربايا والتكنات العسكرية التي أقيمت حول مدينة كركوك، وكذلك المواقع النفطية والاستراتيجية في المحافظة، بهدف تأمين الحماية لمثل تلك المناطق من جهة، ورفع عدد السكان العرب من جهة أخرى<sup>(٦٢)</sup> وفي سنة ١٩٩٩م تم الكشف عن وثيقة (سرية) صادرة عن السلطات الرسمية في المحافظة تشير إلى ضرورة «زرع» المناطق المحيطة بمدينة كركوك بالعشائر العربية (المسلحة) بدء من ناحية شوان ومروراً بنواحي التون كبري ودبس، وانتهاءً بناحية قره حسن ضمن خطة أطلقت عليها الوثيقة اسم «الحزام الأمني»<sup>(٦٣)</sup>.

(٥٩) من تقرير لمنظمة (U.S.C.R) لسنة ٢٠٠٠م عن جريدة خفتات، العدد ١٠١٤ في ١٦/٢/٢٠٠١. أربيل- كردستان العراق.

(٦٠) نوري طالباني، مصدر سابق، ص: ٣٠.

(٦١) گوڤاری هاواری كهركوك، ژماره (٤) سالی ١٩٩٩م، ل: ١٦١، عن مجلة ألوان البيغدادية العدد ٧٢ في ١٣/٣/١٩٩٩.

(٦٢) فهمي هويدي: الأكراد شعب الله المختار، گوڤاری هاواری كهركوك، ژماره (٤)، سالی ١٩٩٩م، ل: ١٧٢.

(٦٣) خليل إسماعيل محمد: الحزام الأمني بين فلسطين و كردستان، جريدة «برايهتي»، ژماره ٢٧٢٤ في ٢٩/١١/١٩٩٨م، أربيل - كردستان العراق.



## نتائج سياسة التعريب:

من المناسب استقراء ما كتب عن التوزيع القومي لسكان محافظة كركوك خلال النصف الأول من القرن الماضي، وقبل أن تتبلور سياسة تعريبها وتعكس تأثيراتها السلبية على التكوين القومي لسكان المحافظة، بهدف المقارنة بما جاءت به نتائج تعدادات سكان العراق خلال النصف الثاني من القرن المذكور.

١- إن التقديرات البريطانية لسنة ١٩٢١م والمقدمة لـ «لجنة عصابة الأمم» لحل مشكلة ولاية الموصل تشير إلى أن التوزيع القومي لسكان محافظة (لواء) كركوك كالاتي<sup>(٦٤)</sup>.

نسبة السكان الكرد = ٤٨,٩٪

نسبة السكان الترك = ٣٨٪

نسبة السكان العرب = ١٠,٩٪

علماً بأن «اللجنة» ترى في تقديرات الحكومة البريطانية هذه أنها نظمت بصورة توافق السكان العرب، وقلل من أهمية العنصر الكردي<sup>(٦٥)</sup>

٢- قدمت الحكومة العراقية بياناتها حول التوزيع القومي لسكان محافظة (لواء) كركوك إلى لجنة «عصابة الأمم» للفترة من (١٩٢٢ - ١٩٢٤م)، وكانت على النحو التالي<sup>(٦٦)</sup>:

نسبة السكان الكرد = ٤٢,٥٪

نسبة السكان الترك = ٢٣,٤٪

نسبة السكان العرب = ٣١,٩٪

ومع ذلك فإن «اللجنة» رأت في البيانات المذكورة في السكان العرب بنسبة تتراوح بين (٥-١٠)٪، لذلك فقد دعت إلى الاستفادة منها مع بعض الاحتراس<sup>(٦٧)</sup>.

ومعلوم أنه في تقديم مثل تلك البيانات سواء العراقية أو البريطانية أو التركية، كان للتركمان أنصارهم، وللعرب أحلافهم، إلا الكرد فلم يكن لهم يومها من نصير<sup>(٦٨)</sup>.

(٦٤) فاضل حسين، مشكلة الموصل، مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٧م، ص: ٣٦.

(٦٥) لجنة عصابة الأمم، تقرير عن «مسألة الحدود بين تركيا والعراق» مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٢٥م، ص: ٣٩.

(٦٦) المصدر السابق، ص: ٩٤، وأيضاً فاضل حسيني، مصدر سابق، ص: ١٢٠ وأيضاً ألبرت م. فتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة الدكتور هاشم التكريتي، مطبعة جامعة بغدادو بغداد ١٩٧٨م، ص: ٢٦١.

(٦٧) لجنة عصابة الأمم، تقرير عن «مسألة الحدود بين تركيا والعراق»، مصدر سابق ص: ٦٨ و ١٠٩.

(٦٨) فتشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، مصدر سابق، ص: ٢٦١.

٣- أورد «دليل» العراق لسنة ١٩٣٦م في تعداده للعشائر الكردية في محافظة (لواء) كركوك، (أنها تشكل الأكثرية) وأشار إلى ١٣ عشيرة، منها تسعة كردية وثلاثة عربية وواحدة تركمانية<sup>(٦٩)</sup> كما ذكر صاحب كتاب «دليل تاريخ مشاهير الألوية العراقية»: أن معظم العشائر التي تسكن (لواء) كركوك هي كردية.<sup>(٧٠)</sup>

٤- وفي «دليل» تسجيل السكان لعام ١٩٥٧م للحكومة العراقية، ظهر أن أكثر من ٥٦٪ من سكان العشائر المستوطنة في لواء كركوك هم من الأكراد، فيما بلغت نسبة العشائر العربية ٣١٪، وأقل من ١٣٪ للعشائر التركمانية<sup>(٧١)</sup>.

٥- ذكر آدمونز (Admunds) في كتابه (Kurds, Turks, and Arabs)<sup>(٧٢)</sup>: إن نحو ٥٣٪ من سكان كركوك هم من الأكراد، ومثل هذه النسبة وردت في كتاب «الاحصاء في العراق لسنة ١٩٤٧م».<sup>(٧٣)</sup>

٦- ذكر المؤرخ المرحوم «عبد الرزاق الحسني»: «أن سكان كركوك ثلاثة عناصر: الكرد، العرب، التركمان، لكن الغالبية الساحقة للأكراد، لأن معظم قبائل (اللواء) من الأكراد، كالشوان، الطالبان، الداوذه، الصالحي، الكاكي...»<sup>(٧٤)</sup> وأورد نسباً للتوزيع القومي في اللواء وهي<sup>(٧٥)</sup>:

نسبة السكان الكرد = ٤٠٪

نسبة السكان الترك = ٣٥٪

نسبة السكان العرب = ٢٥٪

لا أجد ضرورة الاسترسال في متابعة مصادر أخرى، لاسيما وأن ما ورد أعلاه يمثل أفضل ما تناول سكان المحافظة خلال النصف الأول من القرن الماضي... وفي ضوء ذلك كان أربعة من ستة نواب يمثلون سكان محافظة كركوك في مجلس النواب العراقي هم من الكرد فيما كان الآخرون عربياً وتركمانياً<sup>(٧٦)</sup>.

(٦٩) مركز الدراسات والبحوث المركزي، نطق كردستان العراق، مصدر سابق، ج ٢/ص: ٤٤.

(٧٠) عبدالمجيد فهمي: دليل مشاهير الألوية العراقية، ج ٢، مصدر سابق، ص: ٦٣.

(٧١) وزارة الشؤون الاجتماعية، الدليل العام لتسجيل النفوس لسنة ١٩٥٧م، ص: ٢٠.

(٧٢) شاكر خصبك: الكرد والمسألة الكردية، منشورات الثقافة الجديدة، بغداد ١٩٥٩م، ص: ٢٠ و ٤٢.

(٧٣) انظر: فهيسل دهباغ، كورد و كهمه نهته واياه تييه كانى تر له سه رزميرى ١٩٧٧م دا، بهشى دووهم، چاپخانهى خهبات، ههولير ١٩٩٩م، ل: ١٠ (باللغة الكردية).

(٧٤) عبدالرزاق الحسني، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا ١٩٥٥م، ص: ٢٢٠.

(٧٥) المصدر السابق نفسه، ص: ١٨٩.

(٧٦) محمود فهمي درويش، الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦م، دنكور، بغداد ١٩٣٦.

وتأسيساً على طالب (النواب) الكرد في المجلس المذكور، الحكومة العراقية، في مذكرة قدموها سنة ١٩٢٩م<sup>(٧٧)</sup>:

بتشكيل وحدة إدارية كردية من (ألوية) السليمانية، أربيل، كركوك ولواء جديد من الأفضية الكردية في لواء الموصل، كما طالبت القيادة الكردية في كردستان العراق سنة ١٩٤٣م، بتشكيل ولاية كردستان من ألوية: السليمانية، أربيل، كركوك، خانقين، وأفضية الموصل الكردية، وفي سنة ١٩٤٣م، بتشكيل ولاية كردستان من ألوية: السليمانية، أربيل، كركوك، خانقين، وأفضية الموصل الكردية، وفي سنة ١٩٥٨م طالب عدد من الهيئات التدريسية في (لواء) كركوك، وزارة المعارف العراقية، باستحداث (مديرية معارف كردستان) يكون مقرها مدينة كركوك تشرف على ألوية: السليمانية، أربيل، خانقين، وأفضية الموصل الكردية، بالإضافة إلى (لواء) كركوك<sup>(٧٨)</sup> فيما اقترحت القيادة الكردية في مفاوضاتها مع الحكومة العراقية سنة ١٩٧٠م، (كركوك) مركزاً للحكم الذاتي لمنطقة كردستان العراق<sup>(٧٩)</sup>.

إن السؤال الذي يفرض نفسه بعد هذه الدراسة، وعبر مؤشرات سياسة تعريب المحافظة هو: ما هي النتيجة التي آلت إليها صورة التكوين القومي لسكانها؟ ولعل تحليلنا للجدول التالي يلقي الضوء على ذلك... ومنه يظهر الانخفاض المستمر في نسب السكان الكرد وخلال الفترة بين (١٩٥٧-١٩٧٧م) بحيث بلغ الانخفاض ١٠,٦٪:

سكان محافظة كركوك بحسب القومية<sup>(٨٠)</sup>

السنة	الكرد	العرب	التركمان
١٩٥٧	٤٨,٢	٢٨,٢	٢١,٤
١٩٦٥	٣٦,١	٢٩	١٩,٥
١٩٧٧	٣٧,٦	٤٤,٤	١٦,٣

(٧٧) ليلي نامق، مصدر سابق، ص: ٤٣.

(٧٨) نوري طالباني، مصدر سابق، ص: ٩٩:١٠٠.

(٧٩) مكتب الدراسات والبحوث المركزي، نطق كردستان العراق، ج٢، ص: ٧٣.

(٨٠) نتائج تعداد السكان لسنة ١٩٥٧م، جدول (١٦) / لواء كركوك، مصدر سابق، وأيضاً شاكر خصباك، العراق الشمالي، مصدر سابق، ص: ١٣٥. و: فهيسل دهباغ كورد و كهمه نهتهوايه تييه كاني تر له سه رزمي تري ١٩٧٧م دا، بهشي دووهم، چاپخانه ي خهبات هه وليتر، ١٩٩٩م، ل: ٤٠ (باللغة الكردية).

كما انخفضت نسبة التركمان بنحو ١,٥٪، فيما ارتفعت نسبة السكان العرب خلال الفترة نفسها بنسبة ١٦,٢٪، وهذا يعني أن وتائر نمو السكان تتباين على مستوى التكوين القومي لسكان المحافظة، فبينما بلغت نسبة الزيادة ٥٪ سنوياً بين السكان العرب، فإنها كانت تميل إلى الانخفاض بين السكان الكرد والتركمان، انظر الجدول التالي:

نسب الزيادة لسكان محافظة كركوك بحسب القومية<sup>(٨١)</sup>

القومية	١٩٥٧-١٩٦٥	١٩٦٥-١٩٧٧	١٩٧٧-١٩٥٧
الكرد	١,١-	٠,٧+	٠,١-
العرب	٨,٥+	١,٦+	٥+
التركمان	١,٤+	١,١-	٠,٢-

ومن الملاحظ أن نسب الانخفاض بين السكان الكرد كانت تزيد على ١٢٪ في المحافظة بين سنتين (١٩٥٧-١٩٦٥م)، وبلغت نحو ٧٤٪ في ناحية شوان، المجاورة لمدينة كركوك، و ٥١٪ في مركز قضاء چمچمال و ٤١٪ في ناحية بيبان، كما انخفضت في نواحي: شيروانه، وقادر كرم والتون كوپري وطوزخورماتو وداقوق (انظر الجدول أدناه)، وكذلك شهدت نواحي قرهتپه، داقوق، تازة، وناحية الحويجة، انخفاضاً في نسب السكان الكرد للفترة من (١٩٦٥-١٩٧٧م) مثلما كان الانخفاض واضحاً في محافظة كركوك بحسب نسب التغيير بين سنتي (١٩٥٧-١٩٧٧م).

(٨١) خليل إسماعيل محمد: إقليم كردستان العراق، ص: ٨٦.

السكان الكرد في محافظة كركوك بحسب نسب التغيير  
بين سنتي (١٩٥٧ - ١٩٦٥م)<sup>(٨٢)</sup>

الوحدة الإدارية	١٩٥٧	١٩٦٥	التغيير %
مركز قضاء كركوك	٤٠,٢	٣٨,٥	١,٧
ناحية شوان	١٠٠	٢٦,٥	٧٣,٥
ناحية التون كوبري	٥٠	٢٥,٧	٢٣,٣
ناحية طوزخورماتو	٤٠	١٧,٤	٢٢,٦
ناحية قادر كرم	٩٠	٥٠,٧	٣٩,٣
ناحية داقوق	٦٠	٤٧	١٣
مركز قضاء چمچمال	١٠٠	٤٩	٥١
ناحية بيباز	١٠٠	٥٩,٤	٤٠,٦
ناحية شيروانه	٩٠	٥٥,٤	٣٤,٦

من جهة أخرى كشفت نتائج تلك الاحصاءات عن ارتفاع في نسب السكان العرب في المحافظة، فخلال السنوات بين (١٩٦٥ - ١٩٧٧م) تجاوزت نسب الزيادة ٥٪ فيما بلغت نحو ٢٧٪ في ناحية تازة، و ١٩٪ في ناحية قرهتهپه، ومثلها في ناحية داقوق (انظر الجدول أدناه)، الأمر الذي يعكس أبعاد سياسة التعريب التي تم تنفيذها في منطقة الدراسة.

(٨٢) محمود الدرة: القضية الكردية، دارالطليعة، بيروت ١٩٦٣م، ص: ٢٠٥، وأيضاً: شاكر خصبك، العراق الشمالي، مصدر سابق، ص: ١٣٥.

### السكان العرب في محافظة كركوك بحسب نسب التغيير

(١٩٦٥ - ١٩٧٧م) (٨٣)

الوحدة الإدارية	١٩٦٥	١٩٧٧	التغيير %
مركز قضاء كركوك	٢٢,١	٣٨,٥	٢٦,٩
ناحية تازة	٤٠,١	٦٧	٢٦,٩
ناحية داقوق	٣٨,١	٥١,٧	١٣,٦
ناحية الحويجة	٧٢,٨	٩١,٧	١٨,٩
ناحية قرنتيه	٦٣,٨	٨٢,٨	١٩
مركز قضاء كفري	٨,٧	١١,٢	٢,٥

### الاستنتاج:

لقد كان هاجس الحكومات العراقية منذ تأسيس الدولة والحاق ولاية الموصل بها سنة ١٩٢٥م، ولا يزال، هو العمل على إعادة التكوين القومي لسكان العراق لصالح الفئة الحاكمة، وكانت محاور: الموصل، كركوك، شرقي بغداد (منطقة الكرد الفيليين) هي أبرز المحاور التي تم التخطيط لتعريبها، بهدف إحكام السيطرة على العراق عموماً وكردستان العراق على وجه الخصوص.

وكانت محافظة كركوك، تتسم بأهمية خاصة، سواء بسبب انتاجها النفطي أو تكوينها الاثنوغرافي، أو موقعها الجغرافي، الأمر الذي دعا تلك الحكومات إلى تنفيذ مخططاتها في تعريب المحافظة في وقت مبكر، وبأساليب مختلفة... وكانت أبرز صور التعريب تمثلت بما يلي:

١- توطين العشائر العربية في المحافظة منذ ثلاثينيات القرن الماضي وبشكل مخطط من خلال إقامة المشاريع الاروائية وبناء المجمعات السكنية، وتوزيع الأراضي الزراعية على البدو، بالإضافة إلى تشجيع الاسر والعوائل العربية من محافظات وسط وجنوب العراق للاستقرار في المحافظة في وقت لاحق، ولاسيما خلال العقدين السابع والثامن من القرن

(٨٣) شاكر خصباك، مصدر سابق، ص: ١٣٥، فهيسهل دهباغ، سهراودي يتشوو، ل: ٤٠.

الماضي وتقديم المستلزمات الضرورية لهم.

٢- حملات الترحيل المستمرة للسكان الكرد والتركمان طيلة النصف الثاني من القرن الماضي من محافظة كركوك وتوطينهم في محافظات: الأنبار، القادسية، ذي قار والثنى، أو سوقهم إلى الاجزاء المحررة من كردستان العراق، والحيلولة دون عودة الآلاف من السكان المحافظة (العائدين) إلى الصف الوطني بعد ابرام اتفاقية الجزائر سنة ١٩٧٥م بين العراق وايران إلى قراهم ومدنهم في المحافظة، ونقلهم إلى (مجمعات) أعدت لهذا الغرض في المحافظات المذكورة.

٣- حملات الانفال سنة ١٩٨٨م، والتي تمثلت في تجميع المئات من سكان قرى محافظة كركوك، وبغض النظر عن الجنس والعمر، ونقلهم إلى جهات مجهولة حيث لا يعرف مصيرهم حتى الآن.

٤- التغيير المستمر في خريطة (التشكيلات الادارية لمنطقة الدراسة)، بهدف تصفية المحافظة من سكانها (غير العرب) من خلال الحاق الوحدات الادارية لأقضية چمچمال وكلاز وطوزخورماتو وكفري بالمحافظات المجاورة، بينما اقتطعت ناحية الزاب من قضاء الشرقاط التابع لمحافظة نينوى وهي ذات أغلبية في السكان العرب وألحقت بقضاء الحويجة الذي نال اهتماماً متميزاً من قبل السلطات الادارية خلال النصف الثاني من القرن الماضي لكونه يضم أغلبية في سكان العشائر العربية.

٥- إقامة «الأحزمة» الأمنية حول مدينة كركوك أو بالقرب من آبار النفط المجاورة لها، وذلك بزرعها بالتجمعات العربية، أو إقامة الثكنات والمواقع العسكرية وذلك محل القرى الكردية أو التركمانية في المنطقة.

٦- التزوير في سجل الأحوال المدينة والسعى إلى نقل (قيود) سجلات نفوس الوافدين العرب من محافظاتهم إلى محافظة كركوك، فيما تم نقل (قيود) السكان الكرد المرحلين إلى المحافظات التي رحلوا إليها.

٧- ازاء صور التعريب المذكورة، ظهر تباين واضح في وتائر نمو سكان المحافظة من قومية لأخرى، حيث ارتفعت نسب النمو بين العرب، فيما أخذت تميل إلى الانخفاض بين سكان الكرد والتركمان، الأمر الذي نتج عنه انخفاض في نسب الكرد والتركمان لصالح العرب، لاسيما خلال النصف الثاني من القرن الماضي.

٨- إن سياسة تعريب محافظة كركوك، تعد جزء من سياسة تعريب شاملة لمحافظات كردستان العراق كافة، ومؤشراً لوجود مخطط لتصفية الوجود الكردي في المنطقة، أو

صهره في بودقة «السكان العرب»، تحقيقاً لشعار:

العراق جزء من الوطن العربي، والشعب العراقي جزء من الأمة العربية.

٩- إن عودة الاستقرار إلى العراق، مقرونة بإيجاد حل للقضية الكردية، وهذا الأخير، يرتبط بحل مسألة كركوك، وعودة أهلها إليها، مثلما يرتبط بعودة الوافدين العرب إلى محافظاتهم التي جاؤوا منها.



## الحياة الأدبية والثقافية في كركوك

مصطفى صالح كريم

باحث كردي من السليمانية - العراق

### مقدمة

امتازت مدينة كركوك منذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بتكايها ومساجدها وجوامعها التي كانت محط أنظار طالبي العلم، ومن التكايا المعروفة فيها تكية طالباني وتكية خانقاه وتكية البكتاشية المعروفة باسم بابا كرگر، وكانت تعقد فيها المجالس الأدبية والثقافية بل وحتى السياسة، كانت القراءات الشعرية هي الغالبة في تلك المجالس، وكركوك هي موطن تربية ونشأة شعراء كرد معروفين في عالم الأدب والثقافة، ومنهم شيخ رضا طالباني والخالصي وعبد الخالق أسيري ومأمند كركوكي وهجري دده وغيرهم، كما كانت موطن العلماء والمتصوفين والشخصيات الأدبية والسياسية الشهيرة أمثال: سيد أحمد خانقاه ورفيق حلمي وملا جميل رؤيبياني وشيخ حسين خانقاه والشيخ محمد حبيب طالباني وأحمد آغا كركوكي وصديق مظهر مصطفى والفريق بكر صدقي واللواء فتاح باشا وآخرون كثيرون.

كان طلاب العلم يتجهون إلى كركوك من شتى انحاء كردستان لتعليم القرآن الكريم والعلوم الدينية لدى كبار العلماء الكرد الذين كانوا يتولون التدريس في حجرات التكايا والجوامع. كان الشاعر الكردي المعروف (قانع) واحداً من هؤلاء الذين واصلوا دراسة العلوم الدينية فيها<sup>(١)</sup> وقد برز فيما بعد العديد من الكتاب والشعراء الكرد من الذين درسوا في كركوك

(١) اذكر أن أحد الكتاب كتب دراسة عن الشاعر (قانع) وقدمها إلى هيئة الرقابة في بغداد التي لم توافق على طبعها بحجة ان الكاتب أشار في دراسته إلى «أن (قانعاً) واصل دراسه الدينية في كركوك، وكركوك هي خارج منطقة الحكم الذاتي»، وفي اجتماع حاشد على قاعة مكتبة السليمانية في صيف عام ١٩٨٤ عرضت هذا الموضوع أمام الملأ بأسلوب ساخر على لجنة وزارية كانت قد حضرت لتقصي الحقائق، للحقيقة أقول: ان السيد بابكر محمود رسول بشدري الذي كان وزيراً للعمل والشؤون الاجتماعية آنذاك و المقيم حالياً في القاهرة وكان رئيساً للجنة، أجبني بقوله: =

أمثال الروزياني ومحمد ملا عبد الكريم وشكور مصطفى، وكانت الشخصيات الكردية في كركوك تشجع الكردية في كركوك تشجع التعليم حتى ان بعضهم كان يصرف من ماله الخاص على المساجد والتكايا لتواصل تدريس طلاب العلم الذين يقبلون عليها وتؤمن معيشتهم اليومية، ثم بدأت الحياة الثقافية في كركوك تتطور مع تطور المجتمع والمستجدات التي تحدث داخله، وظهرت تيارات سياسية في كركوك كانت ذات تأثير مباشر على الحركة الثقافية، لأن الشباب الذين كانوا يتعاطفون مع الأحزاب السياسية كانوا يحاولون التعرف على الآداب العربية والأجنبية، وبصورة خاصة الآداب الروسية، ويرى فاضل العزاوي<sup>(٢)</sup> ان شركة نفط العراق لعبت دوراً فيما يتعلق بالطابع الذي أضفته على المدينة عدا التنوع الثقافي العربي - الكردي - التركماني - الآشوري - الانكليزي، والامكانات الثقافية التي اتاحتها لسكانها، إضافة إلى مكتبتها العامة والمكتبة الأمريكية الضخمة والمكتبات الأهلية التي كانت تستورد الكتب الانكليزية والاسطوانات والكتب التي تصلها من بغداد واستانبول وانقرة.

وفي خضم هذا التآلف الثقافي تشكلت في تلك الحقبة الزمنية مجاميع وحلقات أدبية جمعت الكرد والعرب والتركمان والسريان، فتآلفوا فيما بينهم وأعطوا زخماً للحركة الثقافية في المدينة وقد برز بينهم فيما بعد كتاب وأدباء وفنانون معروفون ذاع صيتهم وأصبحوا نجوماً مضيئة في عالم الكلمة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: فاضل العزاوي، عبد الصمد خانقاه، جليل القيسي، محيي الدين زنگنه، عبد العزيز خانقاه، سرطون پولص، جان دمو، يوسف الحيدري، مؤيد الراوي، القس يوسف سعيد، قحطان الهرمب، انور الغساني، زهدي الداودي، صلاح فائق.

وكان المثقفون الذين انضموا إلى الحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكردي والحركات السياسية والدينية الأخرى، يهتمون بتثقيف أنفسهم وفي الوقت نفسه يشجعون الآخرين على القراءة، وطبيعي جداً أن تنتعش الحركة الثقافية بجانب ازدياد عدد المدارس وتكوين الجمعيات.

---

= «أفهم جيداً معاناتكم، أن الذي قام به هذا الرقيب الذي أشرت إليه يدل على جهل مركب، لأنه لا يعرف بأن كركوك وإلى الآن تشهد يوماً ولادة أكثر من ١٠٠ طفل كردي».

(٢) فاضل العزاوي: الروح الحية، جماعة كركوك ١٩٥٥ - ١٩٦٤م، صحيفة «الاتحاد» العدد ٤٠٨، ٢٠٠١/٢/٩م.

## النشاط الصحفي في كركوك:

تشير المصادر التي دونت تاريخ الصحافة في كركوك إلى أن هذه المدينة شهدت في الثمانيات من القرن التاسع عشر ابان الحكم العثماني تأسيس اول مطبعة فيها بقرار من الوالي فيضي باشا القائم بأعمال الولاية في الموصل.

وفي عام ١٩١١ أسس أحمد مدني مطبعة أخرى في كركوك سماها (الحوادث). ويعتبر بعض الباحثين - ومنهم عطا الله ترزي باشي<sup>(٣)</sup> تأسيس هذه المطبعة نقطة تحول في تاريخ نشوء الصحافة في كركوك، حيث طبعت اول جريدة سياسية صدرت فيها تحمل اسم (حوادث) وكانت تصدر مرة في الاسبوع وهي أول صحيفة عراقية صدرت بكلايش كانت تهيأ في مدينة (فيانة) التركية بوساطة محلات الزونكغراف في الأستانة، ولاشك ان الصحيفة استقطبت الكتاب والأدباء في كركوك وكان لها دور بارز في انتعاش الحركة الثقافية، وقبيل الحرب العالمية الثانية تأسست مطبعة أخرى باسم « صنایع مكتبي مطبعة سي» والتي ساعدت على انتشار العديد من الكتب والرسائل المتنوعة بالإضافة إلى صدور بعض المجالات منها معارف» وهي مجلة أدبية فنية كانت تصدر باللغة التركية، ساهم في تحريرها كتاب معروفون امثال فتحي صفوت<sup>(٤)</sup> وخلوصي و حامد نديم وزين العابدين قابل زاده واحمد مدني ومكي لبيب.

وصدرت بعدها مجلة «كوكب معارف» كان رئيس تحريرها مصطفى اليعقوبي، ثم اصدرت سلطات الاحتلال البريطاني جريدة «النجمة» باللغة العربية وكانت صحيفة رسمية ثم صدرت فيما بعد باللغة التركية، وكان الكاتب الكردي المعروف رفيق حلمي يكتب فيها مقالات مكرسة لشرح ابعاد القضية الكردية أو للرد على آخرين يشوهون تاريخ الكرد.

وفي سنة ١٩٢٦ تغير أسمها إلى «كركوك» وتولى الشاعر الكردي الكاكايي هجري دده ادارة تحريرها وبعد انفصاله عنها بسبب تعيينه في وظيفة حكومية تولى عبد الرحمن بكر ادارتها، ولا بد أن نشير إلى ان الشاعر الكبير الحاج توفيق همزة آغا مصرف المعروف باسم «پيره مپرد» كان ينشر فيها مقالاته التي يبعثها إلى هجري دده الذي كان يعزه كثيراً، وساهم فيها أيضاً رفيق حلمي وفهمي عرب آغا وشكري آغا وأغلو وأسعد نائب ورشيد عاكف وعمر فوزي وعثمان مظلوم وتوفيق جلال ووحيد الدين بهاء الدين وجمال عزالدين، وكانت الجريدة

(٣) عطاالله ترزي باشي: تاريخ الصحافة في كركوك، مجلة «الثقافة الحديثة»، العدد الأول مايس ١٩٥٤، دار المعرفة - بغداد.

(٤) فتحي صفوت: والد الدبلوماسي والباحث المعروف نجدت فتحي صفوت.

تطبع في أول تأسيسها بمطبعة «الحوادث» حتى تسنى لبلدية كركوك شراء مطبعة أمريكية حديثة حلت محل المطبعة القديمة، ثم صدرت جريدة «تجدد» الأسبوعية التي كانت تصدر باللغة التركية، وفي عام ١٩٣٥ صدرت جريدة باسم «ايلري» كان مديرها المسؤول رشاد عارف<sup>(٥)</sup> وكانت الجريدة تصدر باللغة التركية مرتين في الأسبوع أما رئيس تحريرها فقد كان ع. خلوصي<sup>(٦)</sup> وفي أيام الوثبة، بعد سقوط حكومة صالح جبر والغاء معاهدة بورتسموث صدرت جريدة «الوحدة» الأدبية باللغة العربية لصاحبها جمال عبدالنور الذي كان يطبع جريدته في الموصل وينشرها في كركوك اسبوعياً لكنها توقفت بعد اعلان الاحكام العرفية وعودة الارهاب والقمع وخنق الحريات.

- وفي نيسان ١٩٤٩ صدرت مجلة «صدى الشباب» وهي مجلة مدرسية كانت تطبع في بغداد وتوزع في كركوك، وفي شباط (فبراير) ١٩٥١ اصدر معروف العارف (صحفي كردي من محافظة السليمانية) جريدة باسم «صدى الشمال» وبعد صدور اعداد منها اغلقتها السلطات الحكومية<sup>(٧)</sup>

- وفي يناير (كانون الثاني) عام ١٩٥٨ صدرت في كركوك مجلة أدبية ثقافية عامة باللغتين الكردية والعربية باسم «الشفق» صاحب امتيازها العقيد المتقاعد شيخ قادر البرزنجي وتولى مسؤولية تحرير القسم العربي فيها الأديب عبدالصمد خانقاه المحامي، ورغم ان المجلة لم تعلن عن أسماء هيئة تحريرها إلا أنها كانت مؤلفة من السياسي والأديب الكردي المعروف ابراهيم احمد المحامي، الذي كان آنذاك أحد أبرز الأعضاء القياديين في الحزب الديمقراطي الكردي الذي كان يعمل سراً، والقاص معروف البرزنجي المحامي (الذي أعدم في ٢٣ / ٧ / ١٩٦٣م) والأديب الدكتور معروف خزندار (أستاذ جامعي في جامعة صلاح الدين حالياً)

(٥) رشاد عارف: هناك تشابه في الأسماء، فالعروف أن رشاد عارف ، كردي الأصل تولى أرفع المناصب القضائية في العراق وعينه الزعيم الراحل عبدالكريم قاسم عضواً في مجلس السيادة خلفاً للسيد خالد النقشبندي، ولكني لا استطيع الجزم بأن رشاد عارف الحاكم هو نفسه رشاد عارف صاحب امتياز الجريدة المذكورة.

(٦) ع. خلوصي: كنت اعتقد أن ع. خلوصي هو عبدالعزيز خلوصي الذي كان محامياً آنذاك ثم عين حاكماً في محاكم السليمانية وبقي فترة طويلة في سلك القضاء العراقي وهو كردي من منطقة خانقين، شقيق القاص العراقي المرحوم عبدالمجيد لطفي ووالد البروفيسور صفاء خلوصي المقيم في انكلترا، ولكني لم استطع التحقق من ذلك لعدم وجود مصادر يمكن الاعتماد عليها، والذي أربك الأمر علي أثناء البحث والتنقصي هو وجود كاتب في كركوك كان ينشر مقالاته في صحف كركوك آنذاك باسم خلوصي بتليسي.

(٧) عطا الله ترزي باشا، مصدر سابق.

وكان آنذاك مدرساً في كركوك والناقد عمر عارف محمود (كاتب كردي من السليمانية توفي عام ١٩٨٦) كان هو الآخر مدرساً في كركوك. وكانت اغلب اجتماعات هيئة التحرير تعقد في بيت المهندس نوري شاويس الذي كان هو الآخر عضواً قيادياً في الحزب الديمقراطي الكردي، وكانت زوجته ناهدة شيخ سلام (أم زوّز) تساهم في الكتابة للمجلة، وكان جمال خزندار معتمد المجلة في بغداد يزودها بالأخبار والمقالات والخواطر، يذكر ان معروف البرزنجي وعبد الصمد خانقاه وعمر عارف كانوا محسوبين على الحزب الشيوعي العراقي السري، أما الشؤون المالية للمجلة فقد انيطت مسؤوليتها بالشاعر الكردي علي كمال باپير الذي كان يقيم في كركوك أيضاً، والمجلة كانت تطبع في مطبعة الشمال بكركوك.

- استطاعت «الشفق» تحريك الوسط الثقافي في كردستان فبدأ الكتاب الكرد يرسلونها ويساهمون في تحريرها بقصصهم وأشعارهم ومقالاتهم وخواطرهم، وكان صدورها في كركوك وفي تلك الحقبة الزمنية حديثاً تاريخياً في عالم الصحافة الكردية.

تمكن القاص عبد الصمد خانقاه بحكم علاقاته مع المثقفين العرب والكرد ان يجمع في مكتبه المتواضع خيرة المثقفين الشباب المتواجدين آنذاك في كركوك امثال فاضل العزاوي وانور الغساني وزهدي الداودي حيث كانوا يزودونه بالمواد واحياناً يراجعون ما يرد إلى المجلة من نصوص، واستمرت المجلة في الصدور حتى انبثاق ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، أذ انشغل القائمون على اصدارها بأعمال حزبية وأمور سياسية جعلت امكانية تواصلهم مع «الشفق» غير ممكن، فانتقلت بعدها ادارة المجلة إلى السليمانية وتغير اسمها إلى «بيان» وانتهجت التعبير عن جماعة «انصار السلام» وأشرف على تحريرها الشاعر المعروف عبدالله گوران، فيما ظل الكتاب الكرد المقيمون في كركوك وأقضيته يرسلونها ويبعثون إليها بمقالاتهم، وفي ايلول (سبتمبر) ١٩٥٩ صدرت في كركوك جريدة سياسية يومية باسم «رأي كهل- رأي الأهالي» كانت لسان حال فرع الحزب الوطني الديمقراطي الذي تزعمه السياسي المعروف كامل الجادرجي، كانت الجريدة تصدر مرة واحدة في الأسبوع، وكان رئيس تحريرها المرحوم صديق بلوكيني الذي اغتيل في احد شوارع المدينة فتولى بعده ناظم الوندائي رئاسة تحريرها حتى توقفها عن الصدور بعد قرار الغائها، وكان المرحوم محمد جميل روژبياني واحداً من كتابها، حتى ان إحدى مقالاته التي نشرها فيها أحدثت ضجة أدت إلى توقيف الروژبياني اثر كتابته المقال المرسوم بـ«حسبتك ساهراً يا سيدي، فنمت».

- بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ صدرت في كركوك جريدة «ازادي» باللغة الكردية وكان صاحب امتيازها نافع يونس المحامي الذي اعدم بعد انقلاب الثامن من شباط عام ١٩٦٣ وساهم في تحريرها محمد كريم فتح الله ومحمد ملا عبد الكريم وعمر عارف واحمد غفور،

وبعد أحداث كركوك انتقلت الجريدة إلى بغداد حيث انضم الشاعر عبد الله گوران والدكتور عز الدين مصطفى رسول إلى هيئة تحريرها، وصادر الاتحاد العام لطلبة العراق - فرع كركوك - مجلة باللغات العربية والكردية والتركمانية صدرت منها ثلاثة اعداد فقط، وفي ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ نشطت الحركة الثقافية فازدادت الفرق الفنية وكثرت المطبوعات وبدأ الكتاب يكتبون بحرية دون خوف من مقص الرقيب. وتبعاً لذلك فقد ازدادت المطابع، فمطبعة البلدية التي اعيد تجديدها بعد ثورة ١٤ تمرز ونصبت ماكينة أخرى جديدة، قامت بطبع العديد من الكتب والصحف الكردية، ومطبعة الترقى لصاحبها محمد امين عصري التي كانت قد تأسست في كركوك عام ١٩٥٣ رغم قدمها، فقد ساهمت بطبع كراسات ودواوين شعرية صغيرة ومطبعة الشمال التي كانت قد تأسست عام ١٩٥٦ ساهمت في طبع العديد من المطبوعات الكردية هذا عدا بعض المطابع القديمة الأخرى كمطبعة الهلال ومطبعة الحكمة ومطبعة كركوك التي كانت موجودة في كركوك.

وعن تلك الفترة يحدثنا فاضل العزاوي في بحثه المنشور في مجلة «المدى» عن جماعة كركوك، أن الشاعر الكردي عثمان مصطفى خوشناو كان يتولى ادارة مطبعة البلدية وهو من المتابعين للأدب العربي، يقول العزاوي: أن خوشناو عرض على جماعة كركوك تحويل جريدة «كركوك» التي كانت تصدر بالكردية والتركمانية إلى جريدة ادبية باسم «گاورباخي»، وطلب منهم المساهمة في تحريرها، وهذا عقدت اجتماعات كثيرة في تلك الاجتماعات فاضل العزاوي و مؤيد الراوي وانور الغساني وزهدي الداودي ويوسف الحيدري.

### **الحركة الفنية في كركوك**

بحكم التفاعل الثقافي والفني في المدينة وتأثير عدد من المثقفين العاملين في شركة النفط والعلاقات المستمرة بين أدباء وفناني كركوك وبغداد انتعشت الحركة الفنية في كركوك والتي ساهم فيها الكرد والعرب والتركمانيون فقد شهدت المدينة نشاطاً فنياً ملحوظاً منذ بداية الخمسينيات من القرن الماضي وكانت تقام المهرجانات والاحتفالات الربيعية والحفلات المدرسية التي كانت المدارس فيها تتسابق لتقديم المسرحيات القصيرة والحفلات الغنائية والخطابية.

كان لشعبة النشاط المدرسي في مديرية معارف كركوك دورها في انعاش الحركة الفنية في المدارس، وبدأ المسرحيون يهتمون بالمسرح الجاد ويحاولون تقديم افضل ما لديهم، ومن أشهر الأعمال الفنية التي عرضت في كركوك عام ١٩٥٦ «فلوس الدوه» ليويسف العاني اشترك في اداء ادوارها جليل القيسي (قاص، كاتب مسرحي معروف) وعصمت الهرمزي

(مسرحي رائد) وعلي جسين السعيدي وناطق ابراهيم، وكما يقول تحسين شيخ اوغلو<sup>(٨)</sup> كانت بداية موفقة لميلاد حركة مسرحية جادة في كركوك، ثم قدمت المجموعة نفسها مسرحية «توء مربيط» ليوسف العاني.

وبعد ثورة تموز ١٩٥٨ عادت تلك الفرقة بتشكيلة جديدة وقدمت مسرحيتين، الأولى «اغنية التم» والثانية «قوة الشعب»، وشكلت هذه المجموعة فرقة باسم مسرح كركوك الفني الحديث على غرار فرقة المسرح الفني الحديث في بغداد التي كان يوسف العاني وسامي عبد الحميد من ابرز اعضائها.

وفيما بعد تنوعت الفعاليات وازدادت النشاطات وخاصة في الأوساط الطلابية والملمين حيث قدمت الفرق الطلابية في مطلع الستينيات من القرن الماضي مسرحيات «دموع ابليس» و «انتصار الحرية» و «في سبيل الوطن» و «العرضحال» و «اليتيمان» وقدمت الفرقة المركزية للمعلمين مسرحية «اهل الكهف» و «ثمن الحرية» وقدمت اعدادية كركوك مسرحية «انتيطونا» لجان كوكتو، و «تاجر البندقية» لشكسبير، وفي عام ١٩٦٢ قدمت فرقة التربية مسرحية «يوليوس قيصر» لشكسبير، وبعد صدور اتفاقية آذار عام ١٩٧٠ الموقعة بين قيادة الحركة الكردية وقيادة حزب البعث الحاكم بدأت الحركة الفنية ولاسيما الكردية تشهد تطوراً ملحوظاً وخاصة بعد أن استعانت ادارة تلفزيون كركوك ببعض الفنانين لتقديم عروضهم على شاشته. وبرز فنانون معروفون منهم جهاد دلياك وجليل زنگنه وعلي كريم وحسين مسري وفاضل جاف، حيث قدموا عروضاً مسرحية جيدة سواء على المسرح أو من خلال التلفزيون وتشكلت فرقة «مَشخَل» للتمثيل التي قدمت عدداً من المسرحيات في مدن كردستان بالاضافة إلى فرقة «سولاف» الكردية التابعة لنادي سولاف الرياضي وقد شاركت هذه الفرقة في جميع الاحتفالات التي اقيمت في تلك الفترة في كركوك. كما اصبح للمنظمات المهنية والجمعيات والفرق الثقافية دورها البارز في ازدهار الثقافة والفن الكرديين.

### **اتفاقية آذار وازدهار الحركة الادبية والثقافية في كركوك**

مدينة كركوك التي كانت قد شهدت تأسيس اول جمعية كردية في مطلع العشرينيات، حيث تأسست في ٢١ حزيران ١٩٢٦ جمعية «زانستي» التي تآلفت هيئتها الادارية من ملا عبدالقادر أفندي (رئيس دائرة الأوقاف) رئيساً ومصطفى أفندي (متقاعد) نائباً للرئيس وعبدالخالق أفندي حسين النقشبندي نائباً للرئيس واحمد أفندي (متقاعد) وقادر أفندي حسن بلود (متقاعد) وعزت أفندي توفيق أغا وعبدالرحمن أفندي ناجي أفندي ورؤوف أفندي ناجي

(٨) تحسين شيخ اوغلو: نشأة المسرح في كركوك، صحيفة توركمان ايلي.

أفندي وعلي رضا أفندي (كاتب في دائرة الأوقاف) وحميد أفندي ابن حاج فتاح أعضاء في الهيئة الإدارية.

فيما انتسب إلى عضوية الجمعية من رؤساء عشيرة الداوده رفعت بك اسماعيل بك وحسن بك اسماعيل بك ومحمد خورشيد آغا ومن عشيرة طالباني شيخ عز الدين أفندي وشيخ حسيب أفندي وشيخ جميل أفندي ومن عشيرة كاكائي سيد خليل آغا وسيد سليمان آغا وعلي آغا<sup>(٩)</sup> وجاء انتسابهم لدعم وتشجيع الجمعية والمساهمة في نشر التعليم بين أبناء الشعب الكردي.

عملت الجمعية بجد وإخلاص على نشر التعليم بين الكرد في كركوك وأنحاءها، وكانت على صلة وثيقة بجمعية زانستي في السلمانية التي تأسست بمبادرة الشاعر الكبير بيرقير في آذار من العام نفسه، وبعد مرور أربعة عقود على تأسيس تلك الجمعية افتتح لأول مرة في كركوك فرع لاتحاد الأدباء الكرد الذي انضوى تحت خيمته أدباء كركوك والأقضية التابعة لها، فبدأ الاتحاد يزاوّل نشاطه الأدبي والثقافي علناً ويقوم الندوات الأدبية حيث يستضيف لها أدباء من السلمانية وأربيل ودهوك وبغداد، وفي اليوم التالي لعيد نوروز في عام ١٩٧٢ أقيم في كركوك المهرجان الأول للشعر الكردي برعاية الأستاذ صالح اليوسفي الذي كان رئيساً لاتحاد الأدباء الكرد بجانب وظيفته الرسمية كوزير للدولة، حضر المهرجان بالإضافة إلى الأدباء والشعراء الكرد عدد غفير من الشعراء والكتاب العرب - وفي مقدمتهم الجواهري - الذين باركوا المهرجان والقوا فيه كلمات عذبة وقصائد شعرية، واستمر الاتحاد في ممارسة نشاطاته الأدبية والثقافية في كركوك حتى تجدد القتال في ربيع عام ١٩٧٤م.

وبجانب اتحاد الأدباء الكرد افتتح فرع جمعية الثقافة الكردية التي كان مركزها في بغداد ورئسها صالح اليوسفي، وفرع لجمعية الفنون والآداب الكردية، بالإضافة إلى المنظمات الكردستانية ذات الطابع السياسي كاتحاد طلبة كردستان واتحاد نساء كردستان واتحاد الشعبية الديمقراطي الكردستاني واتحاد معلمي كردستان<sup>(١٠)</sup> الذي تغير اسمه فيما بعد إلى نقابة معلمي كردستان.

(٩) د. نيلد حمدي: الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية، ص: ٢٠٦، ٢٠٧.

(١٠) وريا الجاف: كركوك - دراسة سياسة واجتماعية، ١٩٨٨.



## الخاتمة

لقد تعرضت مدينة كركوك لسياسة التطهير العراقي التي مازالت الحكومة العراقية تمارسها ضد الكرد القاطنين فيها، وتعرضت للاضطهاد والقهر السياسي والقومي والثقافي فبدأت السلطات بمنع الدراسة الكردية فيها وغيرت أسماء مدارسها ومحلاتها إلى أسماء عربية واغلقت المؤسسات الثقافية الكردية فيها، وشمل التغيير حتى أسماء مكنتاتها الاهلية، ثم اشتدت حملات الترحيل التي شملت خيرة المثقفين والمتعلمين الكرد بحيث أصبحت الحالة الثقافية في هذه المدينة ضحلة، ولا توجد فيها ثقافة سوى ثقافة البعث المفروضة على المكتبات والمدارس والمعاهد وعلى المواطنين.

وبعد نكسة الثورة الكردية في آذار ١٩٧٥ وجدت الحكومة العراقية الفرصة سانحة لاجراء تغيير الواقع القومي وبدأت بحملات الترحيل القسري التي ما زالت مستمرة لحد الآن، وتعرض الكرد والتركماني إلى هجمات شرسة من السجن والتشريد والترحيل، وتبعاً لكل ذلك تفرق مثقفو كركوك في انحاء كردستان وفي مختلف اقطار العالم، وقد سبقهم المثقفون الرواد في الاغتراب والهروب من جحيم الارهاب، القس الأب يوسف سعيد (١٩٦٣) إلى ألمانيا، سرتون پولص (١٩٦٧) إلى بيروت ومنها إلى أمريكا، أنور الغساني (١٩٦٨) إلى ألمانيا وبعد ذلك إلى كوستاريكا، مؤيد الراوي (١٩٧٠) إلى بيروت ثم إلى ألمانيا، صلاح فائق (١٩٧٦) إلى سوريا ومنها إلى بريطانيا وأخيراً إلى الفلبين، فاضل العزاوي (بداية ١٩٧٧) إلى ألمانيا، جان دمو (١٩٩٢) إلى الأردن، بعد وفاة يوسف الحيدري في العام ١٩٩٣ في بغداد لم يبق من جماعة كركوك سوى جليل القيسي وقحطان الهرمزي في كركوك ومحي الدين زنكنة في بعقوبة<sup>(١١)</sup> أما المثقفون والأدباء الكرد المعروفون الذين كان لهم دور في الحياة الثقافية والأدبية و الفنية في كركوك فمنهم من اعدم ومنهم من توفي وآخرون اما هاجروا أو ارتحلوا، فقد اعدم معروف البرزنجي وحسين البرزنجي وجبار جباري وأنور زوراب وشيرزاد جباري وعبد القادر عمر طونبيدي، واستشهد آزاد هورامي، وتوفي كل من شيخ حسين خانقاه وعبد العزيز خانقاه وعبد الصمد خانقاه ورؤوف خانقاه وطاهر صادق وشيخ عطا طالباني ومصطفى نريمان ولطيف حامد برزنجي وشيخ محمد شيردره، واغتيل ملا جميل رؤثياني. وهاجر إلى أوروبا كل من الدكتور نوري طالباني والدكتور جمال رشيد والدكتور گوران طالباني والدكتور شيرزاد طالباني وسلام محمد وعبد الله سراج وأزاد أحمد أسود وعبد الرحمن ملا سعيد وهاشم كوچانی وسيروان رحيم وكنعان مدحت وفهمي كاكائي ومهدي

(١١) فاضل العزاوي، المصدر السابق.

اوميد وهاوار كاكائي وفرهاد شاكلي وصلاح شوان ومدحت كاكائي وهمت كاكائي وفاضل جاف ومهاباد قرداخي وقيس قرداخي وسليمان فايق واحمد بيكس وصلاح حسن ثالوان ووريا جاف.

ويقيم في أربيل فلك الدين كاكائي وناصر عبد الغفور وشكور مصطفى واحمد تاقانة واحمد محمد اسماعيل وظاهر روژبياني وجيل كاكاي ويس ونوزاد احمد اسود وآزاد صبحي ونجاة حميد ومديحة صابر صوفي ومصطفى زنگنة وجلال زنگابادي فيما يقيم في السليمانية محمد موكري ولطيف هلمت ومارف عمر طول وجهاد دلياك وصدر الدين عارف وعلي كريم وحسين ميسري وحسن جاف وفؤاد طاهر صادق وغفور صالح ونجيب گرمياني ورؤوف هموندي وأري بابان وآخرون.

وهذه الهجرة والتشريد تدل على ان النظام القائم في العراق حاول بكل طاقاته القضاء على الحياة الثقافية في كركوك بصورة عامة والحياة الثقافية الكردية بصورة خاصة.

ولكن الذين ذكرناهم اينما كانوا سيظلون يغنون لمدينتهم التي سلبت منهم، وستظل كتاباتهم مكرسة لهذه المدينة الكردستانية العريقة التي حاولت وتحاول حكومة بغداد تغيير معالمها القومية وتخريب صرحها الحضاري والثقافي، وما هدم قلعة كركوك الأثرية إلا جزء هام من المخطط الذي تنفذه السلطات الحاكمة ضد كركوك وأبنائها الذين عاشوا فيها أباً عن جد.

## كركوك مدينة النفط

الأستاذ مير بصري

باحث ومؤرخ عراقي - لندن

إذا ذكر التركمان في العراق فلا بد من ذكر كركوك مدينة النفط. عثر على الذهب الأسود في أماكن مختلفة من العراق شماله وجنوبه، لكن كركوك كانت أولى هذه الأماكن وأقدمها في الاستثمار وأكثرها شهرة.

يرجع الأهتمام بالنفط العراقي إلى أواخر القرن التاسع عشر حين كان السلطان عبدالحميد الثاني يهيمن من قصره المطل على البوسفور على مقادير امبراطورية واسعة الأرجاء، مترامية الأطراف، تجمع بين قارات ثلاث وتزخر بشتى الموارد والمرافق، وفي العقد الأخير من ذلك القرن تطلعت الولايات المتحدة الأمريكية إلى الاستيلاء على منابع النفط العراقية الغزيرة، فقدم إلى الاستانة نائب أمير البحر كولوي شستر لمفاوضة الباب العالي بشأن الامتياز، ولم يكد المفاوضات الأمريكي يشرع بمباحثة السلطان حتى بادر دراسي الانكليزي وجماعة «الدويتش بنك» الألماني إلى مزاحمته على هذه الثروة الكامنة، وطالت المفاوضات سنوات، لكن السلطان الداهية لم يضع وقتاً لضمّ منطقة النفط العراقية إلى الأملاك السنية، وكان ذلك منشأً الدعاوي التي ادعاها بعدئذ امراء الأسرة العثمانية المخلوعة في المطالبة بأراضي النفط في شمال العراق.

غير أن الانقلاب العثماني قد وقع، فخلع السلطان عبد الحميد قبل منح امتياز النفط العراقي إلى أحد الطامعين فيه، وبرز عندئذ إلى الميدان رجل إرمني من أهل الذكاء والدهاء اسمه كالوست سركييس غولبنكيان، فلم يمض وقت طويل حتى وقعت الحكومة التركية في ٢٣ تشرين الأول ١٩١٢م على الاتفاق القاضي بمنح الامتياز المنشود إلى المصرف الوطني التركي وكتلتي «شل» الانكليزية و«دويتش بنك» الألمانية بنسبة ٥٠ بالمائة للأول و ٢٥ بالمائة لكل من الكتلتين الأتنتين، ثم والى غولبنكيان الوسط جهوده فأسفرت بعد سنة ونصف عن تنازل المصرف الوطني التركي عن حصته لشركة النفط الانكليزية الفارسية وكوفىء المفاوضات الداهية بهدية ٥ في المائة من أسهم الشركة الولفة لاستثمار النفط العراقي، وقيمة هذه الأسهم

أصبحت تساوي بعد بدء الاستثمار بملايين الجنيهات، وأعلنت الحرب المعظمى بعد أشهر قليلة في أواخر سنة ١٩١٤م. فقرر تحويل حصة الكتلة الألمانية إلى كتلة «شل» الانكليزية، وهكذا أصبحت بريطانيا تمتلك امتياز النفط العراقي برمته.

وكانت قد انشئت شركة لاستثمار هذا الامتياز برمته منذ أوائل سنة ١٩٠٠م في لندن باسم «شركة الامتيازات الافريقية والشرقية المحدودة» وبأرأس مال قدره ٥٠ ألف باوند. ثم استبدل اسم الشركة عند الحصول على الامتياز بـ«شركة النفط التركية» ورفع رأس مالها إلى ٨٠ ألف باوند. وأصبح اسم الشركة منذ سنة ١٩٢٩م «شركة النفط العراقية» وارتفع رأس مالها شيئاً فشيئاً إلى ١٤,٥ مليون باوند.

واستعرت نيران الحرب سنة ١٩١٤م ودارت رحى المعارك في أنحاء العراق، وأصبح العالم في شغل عن النفط وامتيازه، وانتهت الحرب باندحار تركية وفوز انكلترا. ثم تتابعت الحوادث وألحقت منطقة الموصل بالعراق. ولم تتأخر شركة النفط التركية بعد ذلك عن مفاوضة الحكومة العراقية لتحديد امتيازها الذي حصلت عليه من الحكومة التركية السابقة، وفي ١٤ آذار ١٩٢٥م وقع المندوب العراقي وممثل شركة النفط على اتفاق يقضي بمنح الشركة امتياز استثمار النفط لمدة ٧٥ سنة، وعدلت شروط الامتياز بعد ست سنوات، فحددت منطقة الامتياز بأراضي ولايتي الموصل وبغداد السابقتين شرقي نهر دجلة على مساحة قدرها ٢٢ ألف ميل مربع، وجعل رسم الحكومة على النفط المستخرج أربعة شلنات ذهبية للطن الواحد على أن يكون الحد الأدنى للرسوم السنوية ٤٠٠,٠٠٠ باوند ذهب.

أما حصص شركة النفط العراقية فبقيت بضعة أعوام مثار نزاع بين الكتل العالمية الكبرى حتى تم الاتفاق على توزيعها بنسب متساوية بين شركة النفط الانكليزية الايرانية وكتلة «دتش شل» الهولندية البريطانية وشركة النفط الفرنسية وكتلة «ستاندارد» الأمريكية، وذلك باستثناء حصة آل غولينكيان البالغة ٥ بالمائة وعند استنزاف كل هذه المراحل أذفت ساعة استنباط النفط العراقي الكامن واستثماره، وباشرت الشركة أعمال الحفر والتنقيب.

إذا اقترب القادم من كركوك بدت له في حواشي الأفق عواميد تتصاعد ناراً ودخاناً وتتجمع في سحب كثيفة يشقها وميض اللهب المتأجج، وداعبت أنفاسه رائحة غريبة تهيج خيشومه. لقد أشرف على منطقة النفط الواسعة التي تفجر أديمها منذ القدم بالمعدن السائل وظلت ينابيع ثروتها تفيض في البقاع الجرد أعواماً وقرونأ، حتى انتبه لها العلم فألجمها بعدده وآلاته وصبها في المسارب الفولاذية المتلوية في جوف الأرض، وأفرغها في الأنابيب التي تذهب بها إلى كل بحر وقطر.

في وسط تلك الأراضي المضطربة بالنار الأزلية انتصبت كركوك، مدينة النفط، مطلة من علياء قلعتها القديمة على الآبار والعيون المتدفقة حواليتها، وقد عرفت نواة هذه البلدة قبل مئات السنين باسم كرخ سلوق، ثم أصبحت على عهد صاحب معجم البلدان، ياقوت الحموي، تدعى كرخيني. وبقيت إلى عهد قريب واحة منزوية في صحراء النفط، حقيرة البيوت، ضيقة الطرقات، رتيبة الحياة. لكن عصا النفط الساحرة قد مستها ذات يوم فأذاعت ذكرها في الخافقين، ونفخت في ربوعها روح حياة ونشاط جديدين، وأوفدت إليها القصاد من أربعة أطراف الأفق، ورفعت في جوانبها دياراً معمورة وأبراجاً آلية ومصانع صاخبة، وأفادت عليها نعمة سابغة ضافية الذبول، وأفادت البلدة من هذه الحركة بركة وعمراً وبسطة عيش، فالتسعت مرابعها وكثرت مبانيتها ومغانيتها وزاد سكانها عدداً ورفاهية، وأصبحت الأرض الفضاء التي تحيط بها عامرة بالمساكن والمعامل والأجهزة ومراكز السعي والنشاط.

بدأت أعمال الحفر في منطقة كركوك في أوئل نيسان ١٩٢٧م بعد دراسة دقيقة لطبقات الأرض، فلم تمض أشهر ستة حتى انبثق النفط من بئر باباگرگر على مسافة أحد عشر كيلومتراً شمال شرقي كركوك، اندفع المعدن السائل من سجنه الأرضي بقوة هائلة ودويّ شديد فارتفع إلى علو ٢٥ متراً فوق فوهة البئر، وتدفق في الأراضي المجاورة مكوناً بحيرة نفطية أغرقت العامر والغامر، واستمر تدفق النفط على هذا الشكل ثمانية أيام ليلاً ونهاراً حتى أمكن كم فوهة البئر وكبح جماح السائل المتفجر.

ووالت شركة النفط العراقية أعمال الحفر في نواحي مختلفة، فحفرت خلال تسع سنين ما يقارب خمسة آلاف متر مكعب من الأرض، وعثرت على النفط في أماكن متعددة. غير ان الاستثمار تأخر سنوات حتى كشف طريق خطوط الأنابيب التي تصل المنابع النفطية بساحل البحر واتفق على مدّها، وبوشر العمل في انشاء الأنابيب في الأشهر الأولى من سنة ١٩٣٢م، وتم انجازها في ٣٠ شهراً وبغلت كلفتها نحو عشرة ملايين دينار، وكان هذا المشروع من المشاريع الهائلة التي تستنفد القوى وتقتضي استخدام كل ما أبدعه العلم واتقنته الصناعة من الآت وعدد. وقد قرّ الرأي على مدّ خطين للأنابيب يمتدان متوازيين من كركوك على ارتفاع ٨٠٠ متر من سطح البحر، فيجتازان قعر نهر دجلة حتى يتفرعا على مسافة ١٦٠ كيلومتراً عند حديثة الواقعة على الفرات، فيتّجه احدهما إلى الجنوب لينتهي في حيفا على طول ٩٩٠ كلم، وينحرف الخط الآخر إلى الشمال فيمر بالقائم وتدمر وحمص وينتهي في ميناء طرابلس على طول ٨٥٠ كيلومتراً، وشرع بتخطيط طريق الأنابيب، فعبّدت المسالك، وأعدت أحداث الآلات وأضخمها من السيارات والحفارات والناقلات والرافعات عدا الطيارات المستخدمة في نقل المهندسين والمديرين، وهيئت فرق تتألف من ٣٠ موظفاً مسؤولاً وما يتراوح

بين ٢٥٠ و ١٢٠٠ عام، فتنقل مضاربها في مراحل مسافة كل منها ٥٠ كيلومتراً. وصارت الحفارات تحفر كل يوم نحو ١٦٠٠ متر من الخنادق إلى عمق ٩٠ سنتيمتراً وبعرض ٦٠ سنتيمتراً، مع الاستعانة بالبارود في نسف الصخور. وتوضع في الخنادق أنابيب فولاذية يقارب قطرها ال ٣٠ سنتيمتراً، تلحم قطعها بطريقة كهربائية وتغطي بطبقة من القار ومواد واقية أخرى قبل أن يهال عليها التراب، وتصبّ الأنابيب في أقصى نهايتها في أحواض ضخمة تسع عشرات الآلاف من الأطنان، كما تمّ أنابيب أخرى إلى مسافة ألف متر ونيف في البحر لصبّ النفط في البواخر التي لا تستطيع الدنو من الساحل، وأنشئ على طول خطوط الأنابيب اثنا عشر مركزاً للضخّ مجهزة به ٢٤ محرّكاً ذات قوة ٢٢٥٠٠ حصان لدفع السائل الكثيف إلى الموانئ البحرية.

احتفل بافتتاح خطوط الأنابيب في ١٤ كانون الثاني ١٩٣٥م، وشرع بتصدير النفط من العراق بانتظام منذ ذلك الحين، وكان إنتاج النفط قد بلغ مائة ألف طن سنة ١٩٢٩م، فقارب المليون طن سنة ١٩٣٤م، وارتفع في السنة التالية على أثر البدء بتصديره إلى ثلاثة ملايين ونصف، ثم زاد بعد سنتين أربعة ملايين من الأطنان. وتستخرج شركة النفط العراقية النفط من أبار منطقة كركوك التي ينوف عددها على الأربعين، وهي تقذف النفط الخام بضغط يتراوح بين ١٥ و ٢٠ كيلو غراماً للسنتيمتر المربع وبكمية يقارب مجموعها ١٢ ألف طن يومياً. ويرسل بالنفط الخام المستخرج إلى معامل تفصله عن الغرات الطبيعية العالقة به، ثم يصب في أحواض أولى محطات الضخ توطئة لاسالته في خطوط الأنابيب. ويصدر النفط العراقي إلى الخارج خاماً، لكن شركة النفط العراقية قد أنشأت مصفى لها بجوار باباگرر لتجهيزها بما تحتاج إليه من المنتجات المختلفة<sup>(١)</sup> ومنحت امتيازات نفطية إلى شركات أخرى لاستثمار النفط العراقي في النفطخانة بين مندلي وخانقين، والمنطقة الشمالية غربي نهر دجلة في القيارة، وجنوبي العراق في منطقة البصرة، وأصبح العراق في عداد الدول العالمية الكبرى المصدرة للنفط.

وقد مدّ خط أنابيب آخر قطره ١٦ عقدة (إنش) إلى طرابلس وبدأ الضخ فيه في تموز ١٩٤٩م ثم مدّ خط آخر قطره ٣٠ عقدة من كركوك إلى ميناء بانياس في سورية بطول ٨٨٨ كيلومتراً، وهو أوسع خطوط الأنابيب. وقد انجز سنة ١٩٥٢م بكلفة ٤١ مليون باوند استرليني، وبلغ مجموع هذه ٤٥٤٠ كيلومتراً. وقد أوقف الضخ في الخط المنتهي إلى حيفا في سنة ١٩٤٨م على أثر قيام إسرائيل.

(١) من حديث للمؤلف أذاعه من إذاعه بغداد في ٢١ كانون الأول ١٩٤٠م ونشر في مجلة غرفة تجارة بغداد، ثم أعيد نشره في كتابه «مباحث في الاقتصاد العراقي» (طبع بغداد ١٩٤٨م).

وتم في سنة ١٩٥٢م تعديل اتفاقيات النفط لصالح العراق اشترك العراق سنة ١٩٦٠م في تأسيس منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبك). وأصدر رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم في كانون الأول ١٩٦١م قانوناً يقضي باسترداد الأراضي غير المستثمرة من شركات النفط، وقد بلغ مجموع كميات النفط المستخرجة من حقول كركوك من ١٩٣٤م إلى نهاية سنة ١٩٦٠م نحو ٢٧٠ مليون طن. أنشأت الحكومة العراقية مصافي للنفط والدهون والقيير أخذت تستثمر الغاز الطبيعي، وفي سنة ١٩٧٢م قامت بتأميم عمليات شركة نفط العراق، ثم أمت سائر الشركات الأجنبية.

وشيدت الحكومة العراقية في سنة ١٩٧٦م انبوباً نفطياً جديداً عرضه ٤٠ عقدة من كركوك إلى تركيا يصبّ في خليج اسكندرونة على ساحل البحر المتوسط. بلغت كلفة الخط ٨٥٠ مليون دولار دفع العراق منها ٢٥٠ مليوناً وتركيا ٦٠٠ مليون، وبلغ طول الانبوب ٩٨٠ كيلومتراً منها ٣٤١ كيلومتراً في العراق و ٦٣٩ في تركيا، وحصل الاتفاق مع تركيا على أن يدفع العراق رسم مرور عبر تركيا (بلغت الرسوم ١٠٠ مليون دولار سنة ١٩٧٧م)، على أن يكون لتركيا الخيار في شراء ١٠ ملايين طن من النفط في السنة الأولى و ١٤ مليون طن سنوياً بعد ذلك بأسعار متفق عليها، وبدأ الضخ في هذا الانبوب في أيار ١٩٧٧م.

تلك لمحة عن كركوك ونفطها ذكرتها آملاً أن يجد القارئ فيها بعض المتعة والفائدة.





## كركوك: الشواهد والمواقع

القرن ١٨ - ١٩ م

الدكتورة نرمين أمين

باحثة كردية من العراق - باريس

كانت كركوك منذ أقدم العصور الطريق لتقاطع الحضارات والأمم من سومر إلى آشور، ومن بابل إلى أربيل. أبناء الشعوب تمازجوا واختلطوا وتصارعوا... إنهم خطوا الخطوة الأولى من حياة الإنسانية.

المواقع الأثرية هي شواهد لتمازج وتنوع الشعوب والأمم و الحضارات وهي اليوم ضحية مصيرها التاريخي المؤلم.

كركوك مدينة تقع على نهر خاصة في منطقة سهلية بعد ٢٧٠ كيلومتر من بغداد. جاء أسم هذه المدينة في كتابات جغرافي اليونان، فقد ذكره شرابون، وهو جغرافي يوناني عاش في القرن الأول الميلادي، زار المناطق التي كانت تحت سيطرة الامبراطورية الرومانية، وجاب بعض المناطق في غربي آسيا و جمع معلومات عن هذه المناطق في Kourkour (أي كركوك الحالية)، جاءت بصيغة كرخورا أو كوركورة عند بطليموس، وهو جغرافي من القرن الثاني الميلادي. وفي وصفه للسكان والمجموعات البشرية يذكر بطليموس (Les Garameens) الذين يقطنون Beth Garmai<sup>(١)</sup> وبعدها في عهود المسيحية عرفت باسم كرخا بيت سلوخ والتي تعني اللغة الآرامية (مدينة سلوخ) نسبة إلى سلوقس الذي أعاد بناء وتحصين وتوسيع المدينة (٢٢٦ ق. م.)<sup>(٢)</sup> وفي الحقبة الإسلامية عرفت هذه المدينة وحصنها باسم كرخيني أو كرخ وهي تحوير للاسم الآرامي (كرخ بيت سلوخ).

هذه المنطقة تعرف اليوم باسم «گرميان» والتي تعني باللغة الكردية المناطق الحارة، ولعل لهذا الاسم علاقة بالظاهرة الطبيعية المرافقة للنيران التي تعني باللغة الكردية «گر» وتكرارها

(1) Dillemann, La haute Mesopotamie Oriental, Paris 1962, Page: 85 - 90.

(2) Fiery, Assyrie chretienne, Bet Garnar; tom III, Beyrouth 1968, Page: 14 - 16.

«گرگر» ما هو إلا تأكيد على هذه الظاهرة ووجود هذه التسمية في اسم البقعة الموجودة خارج كركوك والتي تعرف باسم «باباگرگر».

ونحاول أن نقدم دراسة عن المواقع الأثرية وشواهد عن مدينة كركوك من خلال دراسة بعض ما كتبه الرحالة الأوروبيون خلال الفترة الممتدة بين القرنين ١٨ - ١٩م، وقد اخترنا بعض من كتب باللغة الفرنسية ولم نتطرق إلى الرحالة الشرقيين الأتراك والعرب وغيرهم، هؤلاء الرحالة هم:

- Jean Otter (فرنسي) الذي عبر كردستان في سنة ١٧٤٨م مع طريق قافلة من قسطنطينة، وقد زار مدينة الموصل، أربيل، كركوك، بغداد، كمنشاه واصفهان.

- Nibuhr (ألماني) عبر كردستان في سنة ١٧٦٦م مع بعثة علمية مكونة من فريق ومختصين في الآثار والأحياء.

- Sestini (إيطالي) عبر كردستان في سنة ١٧٣٢ - ١٧٥٠م من ديار بكر ووصل إلى الموصل وزار مدن: زاخو، العمادية، أربيل، كركوك وبغداد.

- Dupre (فرنسي) عبر كردستان الجنوبية خلال الفترة من ١٨٠٧ - ١٨٠٩. وقد زار مدن أربيل، كركوك، داقوق، كفري، طوزخوماتور، الموصل وبغداد. وقد اقتبس كثيراً من المعلومات من Sestini.

- Benjamin II (يهودي) زار كردستان في الفترة ١٨٤٦ - ١٨٥١م زار المواقع الأثرية المختصة باليهود. وزار مدن الموصل، القوش أربيل كركوك ورواندوز، ونجد في كتاباته معلومات عن الطائفة اليهودية في كردستان.

- Lyckiana (هولندي) عبر كردستان وفارس وقوقاس في الفترة ١٨٦٦ - ١٨٦٨م، وقد زار مدن أربيل، كركوك والموصل، ويعطي معلومات مختصرة عن السكان والمواقع الأثرية.

لقد أكد هؤلاء الرحالة من خلال مشاهداتهم في القرنين ١٨ - ١٩م على أن كركوك مدينة تقع في منطقة سهلية وهي عاصمة شهرزور وهي آشور القديمة وكردستان الحالية، والمواقع البارزة فيها هي: القلعة، النفط ونيران باباگورگور وأضرحة الأنبياء اليهود وكنيسة طهمزکرد<sup>(٣)</sup> أما السكان فهم خليط من المسيحيين والمسلمين واليهود، وبالنسبة للقوميات فهم من الأكراد والنسطوريين وليس هناك ذكر للعرب.

---

(٣) تعرف هذه الكنيسة أيضاً باسم «درب الأحمر» ويعود تاريخها إلى القرن الخامس الميلادي تقريباً، قمنا بالدراسة هذا الموقع بالتفصيل في رسالة الدكتوراه عن «الكنائس والأديرة في كردستان العراق».

وفيما يلي مختصر مما قاله هؤلاء الرحالة عن مدينة كركوك.

يقول Otter في القرن الثامن عشر عن مدينة كركوك: «هي مدينة متوسطة، وتقع في سهل به عدد من تلال وبها حائط وقلعة كبيرة يقعان على ارتفاع متدرج وفي سفح هذه التلال تجري جداول تسمى خاصة صو. كركوك هي اليوم عاصمة شهرزور ويسكن الباشوات مدينتين في هذه المنطقة وتبتعد الواحدة عن الأخرى (لم يذكر الرحالة اسم هذه المدينة وهي غير معروفة)، وعلى بعد ساعتين من كركوك يوجد تل «Baba Kiourkiiour» (أي بابا كوركور) وعندما نحفر في قمة هذا التل نجد مادة تترق عندما تلامس الهواء حيث أنها تغلي الماء ويخفقى اللهب حين تتردم الحفرة بالتراب، وعلى بعد قريب نحو الغرب توجد ثلاثة منابع نبط تكون جدولاً<sup>(٤)</sup>.

Nibuhr في سنة ١٧٦٦م يقول عن كركوك: «كركوك تقع وسط سهل خصب وجميل ولكنه قليل الزرع وتقع على ارتفاع خط الاستواء ٢٩ - ٣٠ درجة لا يوجد إلا قليل من المواقع الأثرية الخاصة بها، وهذه مواقع تقع على سفح متدرج. حول هذه تل يقع حائط من طوب التبيء والقلعة قد شيدت من الطوب التبيء أيضاً. وقد أضاف نيبور أن هذه القلعة مسكونة وبها فريق من العساكر». «هذه المنطقة المسماة بالقلعة قذرة ولم أر في حياتي مكاناً مثلها والمنازل فيها قديمة مهدمة. توجد ثلاثة مساجد فيها (برج)، ومنازة إحدى هذه الأبراج ممتازة لأنه يمكن رؤية قبور دانيال وعزريا اليهود من أعلاها، ولا يشك اليهود بأن هؤلاء الأنبياء مدفونون في هذه القبور ولكن المسلمين لا يسمحون لليهود بالدخول إليها»<sup>(٥)</sup> Sestini<sup>(٦)</sup>

في عام ١٧٨١م يقول عن كركوك: «أثناء وجودنا الاجباري في تسيا (غير معروفة) -Tais sessia) حاولنا الذهاب سراً إلى كركوك عاصمة شهرزور وهي أشور القديمة، أنها تقع على جبل صناعي على شكل منحنى مسطح وسط منطقة سهلية، عندما تمطر السماء بغزارة فأنها تغطي الجبال المجاورة التي تصبح جزيرة، احتلها نادر شاه بعد ٢٤ يوماً من حصار الأتراك. كركوك مسكونة بالأكراد من قبيلة كويران التي تملك حصناً آخر ليس يبعد يقع على قيمة جبل يصعب الوصول إليها. على أرضها (كركوك) يُنتج القمح والشعير والنسطوريون الذين

(4) Otter, Voyage en Turqnie et en Perse, II vol, chezfreres Guerin, Paris 1748, Tom I Page 150 - 152.

(5) Nibuher, voyage en Arabie et d'autres pays voisins, TomII, a Amsterdam, Autrecht, MD CCLXX, page: 274 - 275. 275.

(6) Sestini, Voyage de Constantinople a Bassora en 1781, par le Tigre et L'Eu Phrate et retour a Constantinople en 1682, par les de'serts et L'Alexendrie, traduit de L'italine, paris, page: 243.

حلوا بين الأكراد يجيدون صنع النبيذ، وفي إحدى المساجد نرى قبر القديس دنيس (De-nise) ومسيحي آخر».

Dupre في سنة ١٨٠٧ - ١٨٠٩ م يقول عن كركوك: «إن اسم كركوك لم يحرق إلا قليلاً، فهو بلا شك كوركور

(Corcura) ويقول عنها بطليموس (Ptolemee): انها من مدن آشور وهي اليوم كردستان، ويستخرج النفط من الصخور المجاورة لها، وبالقرب من هذه المدينة تقع منابع النفط والنيران الكثيرة، كركوك التي كانت عاصمة شهرزور تقع على جبل صناعي منحني الشكل وسط سهل منبسط، وترتفع في هذا السهل كثير من التلال. هذه المدينة تحيط بها الأسوار، هناك قلعة حصينة تقع على ارتفاع متدرج وعلى سفح هذه المدينة الجبل يوجد جدول مياه، وعندما تمطر السماء بغزارة فإن المياه تغمر الجبال وما حولها فتجعلها تبدو مثل جزيرة وسط البحر»<sup>(٧)</sup>

Benjaamin II يقول عن مدينة كركوك في سنة ١٨٤٦ - ١٨٥١ م<sup>(٨)</sup> أنها: «سميت كركوك في الكتاب المقدس باسم Kalak وهي ما زالت تدعى بهذا الاسم عند الاسرائيليين في منشوراتهم المكتوبة بالعبرية. المدينة مكونة من جزئين متباينين: الأول الجزء المسور، أي القلعة، تقع على قمة جبل ويسكنها القليل، والآخر يقع في سهل المحلة الأخيرة، وهي مسكونة من قبل اليهود، ومركز الأعمال والتجارة، هذه المدينة تعرض لوحة فريدة من نوعها في صعوبة رؤية كتلة حجر غير متحولة... خاصة في موسم سقوط الأمطار فالمدينة تبدو وكأنها ممتدة في مستنقع كبير من المياه يصعب اجتيازه، بين الجزء العلوي والجزء السفلي من المدينة، والواقع على سفح جبل (أي القلعة) يعلو في الوسط فناء بناية تحتوي على الأضرحة الأربعة: قبر دانيال على يسار المدخل وعلى بعد قليل منه يوجد قبر Arazas, Mizraael, Ana- nia المرافقين للنبي. انه مكون من مواقع صغيرة مربعة الشكل مبنية كما أن القبور جميعاً يغطيها سقف. حسب الكتاب المقدس فان المرافقين الثلاثة لدانيال رموا بناء أوامر نبوخذنصر ملك بابل في سعيهم حام ولكنهم خرجوا منه سالمين. قبر دانيال لا يحمل علامة النجمة السداسية».

ويعبر الرحالة عن شكّه في هذا الموقع ويقول: «لدى شك كبير في أن يكون هذا هو قبر دانيال، فانه حسب (Ceder Hadoth) يكون دانيال قد مات ودفن في فارس، لكن عند زيارتي لفارس لم أجد مكاناً خصص له ولا اكتشف أي أثر أو دليل أو موقع باسمه، ولا أجراً على

(7) Dupre, voyage en perse, Tome Ier paris 1819, page: 131- 132.

(8) Benjamin II, Cinqueannees de voyages en Orient, 1846 - 1851, paris, page: 78 - 79.

تأكيد شيء لأنني لم أجد شيئاً عليه دليل أو برهان قاطع، الآثار الباقية من القبرين في حالة جيدة. أنها مغطاة بسجاد جميل ورائع. كل السكان بدون تمييز يأتون للحج إليه مع تقديس عميق له. في اليوم الأخير من كل شهر واليوم الأول من (Pentcote) (عيد الخميس عيد الحصاد عند اليهود) يأتي الاسريليون خصوصاً لأجل أداء صلاة (Mussaph) فيه».

Lycklama في سنة ١٨٦٥ م يقول عن كركوك: «بعد مسيرة سبع ساعات وصلت اليوم الأحد من شهر October إلى كركوك منهكاً ومحموماً. حطت ضيفاً على كلداني كاثوليكي ترك لي منزله الذي يقع في الحي المسيحي. هذه المدينة المكان الذي كان يستريح فيه الاسكندر الكبير في طريق ذهابه إلى أرييلا وبابل. والبقية يتبنون رأي Anville الذي (يطابقه) يحدده مع مدينة (Kercoura) لبطليموس. اليوم يعيش في كركوك مائتين أو ثلاثمائة من المسيحيين ومئات من عائلات اليهود، وعلى نسبة السكان ١٢ أو ١٣ ألف نسمة. الحائط (الجدار) الذي يحيط بالتل مرتفع متوحد، يمثل آثاراً منذ أقدم العصور، وربما تكون آشورية<sup>(٩)</sup> نصد إلى احدى الكنائس القديمة التي أصبحت مسجداً، نرى القبر الذي يُزعم انه لطهمزكرد الاسطوري قائد الملك ساپور، العشرات من الكنائس يعود تاريخها إلى بداية عهود المسيحية تحولت إلى مساجد باستثناء الكنيسة التي تخلد اسم دانيال، وهناك كنيسة أخرى يقال أنها تحتوي على قبر السيدة مريم العذراء حسب التقاليد الساذجة هنا.

كل هذه المواقع المتنوعة مشيدة بأحجار جميلة، ومع ذلك فليس هناك شيء بارز أو مميز فيها، كانت هناك أيضاً العديد من الكنائس وكلها اليوم مساجد تقريباً، وهي في حالة يرثى لها، الأكبر بينها بسيط يستخدم اليوم كمكان للعبادة والفرائض الدينية من قبل الكلدان و الكاثوليك القاطنين على الطريق الشمالي الذي يتجه من سهل يمر بقرب قرية (Koria) قوريه. ويذكر الرحالة منابع النفط ونيران باباگورگور. «هنا ترى آبار النفط الذي كان يحول إلى قار كانت تطلّى به جدران بابل ومدن أخرى من آشور، من آلتون كوبري طريق المجيء إلى كركوك». وقد أشار إلى وجود آبار النفط والنيران البركانية، وتحدث عن جغرافية اليونان والمعاصرين للمسيح و بالنسبة لمدينة (Demetrais de sardraques) لا يوجد لها أثر اليوم لا لبعده (Diane) الذي إشارة إليه سترابون في كتاباته.

(9) Lycklama, Voyage en Russie, au caucase et en perse dans La Mesopotamie et le kurdistan, IV Tome, MD CCLXX, Tome I, page: 78 - 79.



## قلعة كركوك:

### أهميتها التاريخية وقيمتها الحضارية

د. جليل العطية

كاتب وباحث عراقي - فرنسا

تعد كركوك من أقدم مدن العالم، وتشير التنقيبات الأثرية انها كانت مدينة الالهة، اتخذت معبداً مقدساً، تقدم فيه قرابين الطاعة والغفران كما ان خصوبة تربتها وموقعها الجغرافي جعلها مركزاً للحركة التجارية ومعقلاً عسكرياً لصد الغارات الخارجية، وقاعدة للقيام بهجوم يشن منها إلى الخارج، وقد احتضنت عدة اجناس تبادلوا العادات والتقاليد راضين او كارهين وترك الحوريون والاكديون والبابليون والآشوريون والكاشيون والفرثيون والفرس والأكراد والترك والعرب شيئاً من تراثهم ومدينتهم امتد آفاقها حتى اليوم.

فكركوك بؤرة حضارية لها جذور تمتد إلى أقدم الحضارات والثقافات التي صنعها الانسان على الكوكب الأرضي وهي رمز للتسامح بين سكانها الطيبين.

وأكدت التنقيبات الأثرية أن مدينة Ar - rapha - عرفة - كانت مقدسة لدى الملوك والحكام بحيث اعتبرت ملجأً للالهة وكان Neriglissar - نيريكليسار قد اعاد هيكل الالهة Auunitum إلى مدينة Sippar بعد اغتصاب يمتد إلى سنة ٢٦٠٠ ق.م<sup>(١)</sup> وقد اختلف المؤرخون والباحثون في اسم كركوك، ويرى الدكتور مصطفى جواد اجتماع ثلاثة كافات في هذا الاسم أمر نادر من حيث الحروف وتركيبه اللفظي يدل على أنه من الأسماء السامية الآرية ثم نقل عن ياقوت الحموي في معجم البلدان «كرخيني بكسر الخاء المعجمة ثم ياء ساكنة ونون وياء... هي قلعة في وطء من الأرض، حسنة حصينة بين دقوقا واربل رأيتها وهي على تل عال ولها ربض صغير». ثم خلص إلى ان هذا الوصف الجغرافي ينطبق تمام الانطباق على «كركوك» الحالية. وحدد - الجواد - العصر الذي سُميت به بلدة كرخيني «كركوك» هو زمن الدولة

(1) Reallexikon der Assyriologie, Erichebeling und Bruno Meissner Cvol: 1, P. 154 Arr (Ar-rapha) Berlin 1932.

التركمانية القرقوينلية، أي في حدود القرن التاسع للهجرة أي الخامس عشر للميلاد<sup>(٢)</sup> وفي العهد العثماني اتخذت مدينة كركوك مركزاً دارياً لكردستان.

وفي الثلاثينات من القرن العشرين بدأت أولى محاولات تعريب كركوك، ومنذ سنة ١٩٦٣م تحول تعريب هذه المدينة العريقة إلى هاجس انتهى بوضع خطة استراتيجية تنفذها الحكومة العراقية الحاضرة منذ سنة ١٩٦٨م حيث ابدلت البنية الادارية والديمغرافية لمحافظة كركوك التي استبدل اسمها إلى محافظة التأميم سنة ١٩٧٢م. وخلال هذه المدة رحل عشرات آلاف من الكرد والتركمان وجاءت السلطة بابناء عدد من القبائل العربية بعد أن قدّمت لهم الاغراءات المادية وقطع الارض واسكنتهم بدل أبناء المدينة الاصليين وهدمت عشرات القرى والقصبات، وقد سعت الحكومة العراقية وبعض الجهات الاقليمية لتأجيج الصراع الكردي-التركماني مستثمرة حوادث ١٩٥٩م، والزعم بوجود نوايا لانشاء «دولة كردية» بدعم الغرب. ان الاضطهاد الذي تعرض له العراقيون جميعاً اليوم وفي مقدّماتهم الاكرد والتركمان ومحاولات صهر القوميتين الكردية والتركمانية ببوتقة القومية العربية تحتم عليهم التعايش والذي طالب (السلطة الكردية القائمة في المنطقة المحررة بكردستان، الاعتراف بالحقوق القومية والثقافية للتركمان، وتثبيت ذلك في صيغ قانونية وتوفير المؤسسات لممارستها عملياً وبصيغ ديمقراطية)<sup>(٣)</sup> أما قلعة كركوك التي انشئت قبل سبعة وعشرين قرناً فانها تتعرض هي الاخرى إلى محاولات مسخها ومسحها وتشريد منذ مئات السنين على سطوح البيوت، والمنائر بعد ان افزعته اصوات المكائن التي هدمت تلك البيوت الوديعة التي طالما ثابتة الاركان، تقاوم الزمن<sup>(٤)</sup>

### قلعة كركوك

تعد قلعة كركوك مركزاً للمدينة الحالية و تقع في المنطقة المحصورة بين الجسرين الواقعين على نهر الخاصة، كما وانها مهمة بالنسبة للسهل المحيط بها حيث يبلغ ارتفاعها ١٨ متراً عن الشارع المحيط بها. أما أعلى نقطة فيها فيبلغ ارتفاعها ٣٦٨ متراً من ضمنها ارتفاع الأبنية

(٢) كركوك في التاريخ للدكتور مصطفى جواد، العدد ٤٠، بيروت، ١٩٥٤.

(٣) منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي للدكتور نوري الطالباي، جريدة الاتحاد، الصحيفة المركزية للاتحاد الوطني الكردستان، السليمانية، العدد ٢٤١/ تشرين الاول ١٩٩٩م، السنة السابعة- ص: ١٧، القسم الثاني عشر من دراسة مسهبة حول كركوك.

(٤) انظر: اغتيال قلعة كركوك لنصرت مردان، مجلة قارداشلق، الاخاء، السنة الثانية، العدد السادس، استنابول، نيسان- حزيران ٢٠٠٠، ص: ٤٣.



الموجودة على سطحها.

تتميز القلعة بأن سطحها مستو وتبلغ مساحتها (٢٥ هكتاراً) أما مساحة الجزء المستثمر كبيوت للسكن فتبلغ مساحته ٥ آلاف متراً مربعاً، تقسم القلعة إلى ثلاثة أقسام رئيسة هي:

١- محلة الميدان - تقع في الشمال.

٢- محلة القلعة - تقع في الوسط.

٣- محلة الحمام - تقع في الجنوب.

وتضم مجموعة من المساجد ودور العبادة هي: حسن باكين، شيخ نادكب، حسن مكّي، العريان، اولو جامع، ملا توفيق، النبي دانيال وكنيسة الكلدان... ان عدداً منها تلاشت واندرثت<sup>(٥)</sup> وللقلعة أربعة مداخل رئيسة:

١- الباب الحجرية لله داش قابو.

٢- باب الطوب (طوب قابو) من الجهة الغربية.

٣- سبع بنات.

٤- باب الطلوجية - من الجهة الشرقية.

وحتى أواخر الثمانينات كانت تضم ٥٦٠ وحدة سكنية يسكنها ٤ آلاف شخص. وتشتمل القلعة<sup>(٦)</sup> على العديد من المباني الاثرية، ذات القيمة التراثية والمعمارية المتميزة عقودها وأقواسها وقبابها وزخارفها وهي:

١- جامع النبي دانيال:

يعتبر أقدم وأشهر جامع، وهو ذو منارة شاحصة تعود بتاريخها إلى أواخر العصر المغولي أو بداية العصر التيموري (أي حدود القرن التاسع الهجري - الخامس عشر الميلادي). مآذنة هذا الجامع بنيت من الطابوق وهي بمثابة نقطة استدلال، تشاهد من جميع اجزاء القلعة وفي الجامع أقواس وعقود ما تزال قائمة وجالسة على قاعدة مثمثة بجانبها المنارة، ويحتوي الجامع على مشهدين متجاورين ومصلى تطل على فناء مكشوف، وللجامع قيمة اجتماعية -

(٥) انظر: الأبنية التراثية في قلعة كركوك لجرجيس محمد الرملاوي - مجلة التراث الشعبي العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، شباط ١٩٨٢ - بغداد ص: ١٧ - ١٤.

(٦) عثر في تل القلعة على عدة ألواح يعود تاريخها إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، أنظر: المرشد إلى مواطن الآثار الحضاري، الرحلة الرابعة، تأليف: د. طه باقر وفؤاد سفر، بغداد ١٩٦٥.

روحية حيث يحظى بزيارة الناس باستمرار خاصة أيام السبت، ويعتقد العوام بأن الانبياء حنينا وعزرا ودانيال مدفونون فيه، وبني الجامع على أنقاض أقواس بناية قديمة.

٢- جامع العريان:

يقع في منتصف القلعة، يرقى تاريخ انشائه، إلى سنة ١١٤٢هـ، كما يستدل من قطعة الحجر المثبتة مدخله. يتميز هذا الجامع بمحابه المزين بزخارف نباتية وهندسية ملونة بألوان عديدة على شكل أزهار، بعد ازالة قسم من هذه الزخارف تبين أنها مجددة حيث ظهرت تحتها زخارف نباتية، تلوها كلمات آية قرآنية هي \* (وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب) \* (٧) أما منبر الجامع فقد بني بالجص وزخرفت جوانبه بزخرفة جصية تمثل أشكالاً هندسية منها نجوم سداسية يحيطها إطار من القرش (التوريق)، يحتوي الجامع، الجامع على قبتين مختلفتين في الحجم.

٣- الجامع الكبير (اولو جامع):

يُعرف بجامع المرجانة، يتألف من أربعة أروقة ترتكز على دعائم تتصل الواحدة بالأخرى بمنافذ معقودة على شكل أقواس انصاف دائرية.

زالت معظم بقايا هذا الجامع ولم يبق منه سوى بعض الاقبية ذات الأقواس المدببة وبقايا المئذنة، كان الاسم القديم لهذا الجامع يحمل اسم الام مارية.

٤- جامع حسن باكير:

عبارة عن مرتفع من الانقاض.

٥- بوابة (طوب قابو):

هي البوابة الوحيدة التي لا تزال ماثلة للعيان ويعود تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وهي من البوابات الحجرية ذات أقواس مدينة الشكل، نصف دائرية،

٦- السوق القيصري:

يقع السوق في أسفل القلعة، وهو عبارة عن سوق قديم مسقف كان مركزاً تجارياً أساسياً للمدينة يشتمل على نحو ٣٠٠ دكان، وفيه الكثير من المعالم المعمارية من القبة والأسواق المدببة والزخارف، وخلال الثمانينات تم الحفاظ على قسم من أجزاء السوق وتهدم الجزء الآخر.

(٧) سورة آل عمران، آية: ٣٧.

## ٧- القبة الخضراء:

تقع في وسط القلعة وهي مثمثة الشكل من الخارج ومربعة من الداخل ولها طراز معماري متميز مبني من الطابوق والنورة والجص، زينت جدران القبة بزخارف آجرية بنائية وهندسية مطعمة بالقاشاني الملون، وقد وردت لها عدة تسميات منها: يشتمل قنبد ويشيل كومبت وتعني القبة الخضراء. وكوك كنبوكوك كومبت وتعني القبة الزرقاء.

يعتقد سكان القلعة ان القاشاني المستخدم في زخرفتها اخضر اللون. لكن فحص الاجزاء الباقية من القاشاني بين أنه ازرق اللون.

تقع هذه القبة على سطح قلعة كركوك، على مسافة قريبة من باب القلعة الشمالي حيث يمكن الوصول إليها مشياً على الاقدام، وذلك بعد اجتياز باب القلعة بـ(٢٠٠متر) تقريباً يفتقر فتسير في زقاق إلى الجهة اليمنى مقدار ثلاثين متراً تدخل في زقاق صغير ثان على اليمين أيضاً فتشاهد بعد الدخول مسافة (٢٠متر) بيتاً أمامه رواق على مدخله كتابة بارزة نصها «رأس الحكمة مخافة الله، سنة ١٢٨٠هجري» عند الوصول إليه تنظر إلى اليسار تشاهد القبة الخضراء.

مبنى القبة قديم، وثمة شاهد على قبر سيّدة مؤرخ بسنة ٧٦٢ هجرية ومنه يتبين ان هذا المبنى يعود إلى نهاية عصر الايلخانيين وبداية الحكم الجلائري.

بناء القبة مئمن يبلغ قطره خمسة أمتار، ارتفاعه الكلي عشرة أمتار، اما ارتفاع جداره فيبلغ ستة أمتار، والمبنى مربع من الداخل - كما أسلفنا - يتكون من طابقين، الطابق الأرضي مربع من الداخل يحتوي على ثلاثة نوافذ للاضاءة ومدخل، أما سقفه فيتكون من قبتين شيّدت احدهما فوق الأخرى، فالقبة الأولى من الداخل ثمانية الأركان ترتكز على أربعة اقواس نصف دائرية، أما القبة الثانية فتكون أرضية الطابق الثاني، يضم الطابق الأرضين في داخله حفرة مستطيلة الشكل طولها ٣,٢٠ متراً وعرضها ٢,٥ م، أما العمق فبلغ مترين. كانت القبة تضم رفات قبر السيدة، لكن العوام نهبوه ظناً منهم انه يضم كنزاً ثميناً من الذهب...!

الطابق الثاني مربع من الداخل يضم أربعة أقواس مدببة الشكل، فيها زخرفة نباتية عملت من الصبغ القهوائي حيث ظهرت معالم بسيطة منها، وفي نهاية عقد الأقواس السفلى ثمة افريز من القاشاني الأزرق يدور حول جسم القبة من الداخل مجتازاً من أعلى أقواس النوافذ الأربعة، حيث تظهر معالم بسيطة منه للعيان. ثمة أربعة نوافذ ذات أقواس نصف دائرية من الخارج ومدببة من الداخل، وتظهر في نهاية الطابق الثاني من الداخل في الأركان الأربعة مقرنصات كانت ترتكز عليها القبة، ويحتمل ان تكون هذه القبة مدببة في قديم الزمن.

أما شكل بناء القبة من الخارج فهو مئمن يرتكز على قاعدة بنيت من الحجر والجص بارتفاع متر ونصف المتر، بني فوق القاعدة صف من الطابوق المنجور ارتفاعه ٦ سم يدور حول جسم القبة ويبلغ طوله الكلي نحو عشرين متراً ويعتبر محيط القبة من الخارج، بني فوقه صف من الحجر الأحمر المهندم قياس الواحدة منه ٥, ٣٥ × ٣٠ سم ويمتاز هذا النوع من الاحجار بأنه مقاوم ضد عوامل الطبيعة (كالأمطار - مثلاً) بني فوقه صف من الطابوق المنجور ارتفاعه (٥سم) يقع فوقه صف آخر من الطابوق بني بوضعية افقية ارتفاعه ٢٨ سم، ثم تبدأ حافات الافريز وعددها ٨ وحدات قياس الواحدة ١٨١ × ٨٠ سم، أما طول الزخرفة المعينة الشكل فتبلغ ١٤٠ سم، بني فوق زجاجة الوحدة الزخرفية صف من الطابوق المنجور ارتفاعه ٢٨ سم وبوضعية افقية (كان) تقع فوق ٨ وحدات زخرفية أي في كل جهة من جهات القبة الثمانية وحدة زخرفية وهي مستطيلة الشكل وتتكون من اطار ذي أشكال معينة، داخل شكل نجمة رباعية الأضلاع.

في الجهة الثانية من الشكل المعيني، ثمة اشكال معينة اخرى من القاشاني الأزرق، هناك اطار ثان بعد الاطار الأول تقع داخله زخرفة مكونة من وردة ثمانية الأضلاع معمولة من الطابوق المنجور والمنحوت، تمتد هذه الزخرفة إلى ما قبل بداية ارتكاز القبة.

**نقوش:** تقع بين كل وحدة زخرفية هندسية وحدة تشتمل داخلها نقوشاً كتابية بالقاشاني المزجج ذي الألوان المتعددة، نص الوحدة الباقية منها:

- ١- هذه تربة المرحومة السعيدة
  - ٢- المنغصة في شبابها (ياشا بنت الحاجية بغداد...)
  - ٣- خاتون بنت المرحوم السيد مسافر (ابن) هند
  - ٤- ... ثامر توفت في تاريخ ذي
  - ٥- القعدة من سنة (اثنتين) وستين وسبعماية
  - ٦- وكانت تعيسة (وكان من العمر لها)
  - ٧- اربع وعشرون سنة وصلى الله على محمد
- وفي القسم الآخر آيات قرآنية أو صلوات ودعاء غير ان معظمها تلاشى واندثر من جراء العوامل الطبيعية والرطوبة وغير ذلك.

وثمة صف الطابوق بوضعية افقية يليه افريز من الكتابات الجصية تدور حول قاعدة القبة كتبت بحروف بارزة من المرجح انها تمثل صلوات وآيات كريمة تاكلت بعوامل الطبيعة لم يبق منها سوى عبارة (الحمد لله).

تبدأ القبة بعد الافريز الكتابي، ولم يبق منها سوى معالم بسيطة من الداخل نظراً لسقوطها، غير ان من المحتمل ان تكون مديبة الشكل وتتكون من قبتين واحدة فوق الاخرى حيث ان الأولى تكون سقف القبة الداخلي والثانية تكون سقف القبة الخارجي.

يحتل الاستخدام السكني في قلعة كركوك الجزء الاكبر من مساحتها وهو بحالة غير مستقرة يتقلص يوماً بعد آخر بسبب كثافة الدور المتهدمة نتيجة تسرب المياه إلى أسس مبانيها لانعدام المجاري الصحية، فتحدث فجوات تؤدي إلى انهيارات مستمرة في أسس أبنيتها، واهمال صيانة الدور وتوسيع الشوارع الداخلية على حساب الأرض وحتى سنة ١٩٨٩ كانت تمثل ٤٢ في المائة من مجموع مساحة القلعة، وتمثل الدور التي هي بحالة انشائية جيدة ٤ في المائة والدور التي هي بحالة انشائية متوسطة ٤٥ في المائة وهي تحتاج إلى اصلاحات وصيانة لكي تقاوم المناخ وعوامل الطبيعة.

يمكن القول ان ٨ في المائة من مجموع دور القلعة السكنية هي دور تراثية لها قيمة تاريخية معمارية تم صيانة ٤ في المائة منها فقط، كما ان هناك ١٣ في المائة من الدور السكنية بحالة انشائية رديئة تشكو من رطوبة مزمنة وتفتقر إلى شبكة المياه الصحية والمجاري وانعدام التهوية والاضائة الطبيعية وثمة ١٢ في المائة من الدور السكنية عبارة عن دور متهدمة متآكلة لا تصلح للسكن.

تشغل المناطق الخضراء ما نسبته ٦ في المائة لكنها في طريقها إلى الجفاف وتشكل المحلات التجارية والحرفية ما نسبته ٨ في المائة بينما تشكل الازقة الملتوية ١٢ في المائة من مساحة القلعة في حين تشكل الشوارع ١٠ في المائة، وفي القلعة مدرستان ابتدائيتان احدهما في وسطها والاخرى في الجانب الغربي وتخلو القلعة من المدارس الثانوية ودور الحضانه والروضات كما تفتقد ملاعب الاطفال والمكتبات وشبكات المياه الثقيلة حيث تتشابك المياه القذرة الخارجة من الدور مع تصريف مياه المطر وتصرف داخل القلعة وازقتها وتتجه نحو حافاتها.

### **مقترحات لتطوير القلعة:**

عُني عدد من الباحثين العراقيين والأجانب بقلعة كركوك فوضعوا مقترحات لانقاذها من الزوال، نظراً لكونها جزءاً مهماً من التراث العراقي والتراث الانساني وحضارة الرافدين... ومن بين الدراسات الجادة تلك التي أعدها «زين العابدين علي صفر»<sup>(٨)</sup> إثر مسح ميداني

(٨) انظر: التجديد الحضري لقلعة كركوك لزين العابدين علي صفر، مجلة المورد، المجلد الثامن عشر، العدد الاول - ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ص: ٧٨ - ٨٤.

للقلعة قام به سنة ١٩٨٦م مما يمكن ان يلخص بما يأتي:

- ١- الحفاظ على الدور التي لها قيمة تراثية من القباب والاقواس والزخارف وكذلك المباني ومنها: جامع النبي دانيال، جامع مرجانة، جامع سحن مكّي، جامع عريان، القبة الخضراء، كنيسة الكلدان، جامع اليعقوبي، جامع زيدان، سوق القيصرية.
- ٢- إعادة بناء مداخل القلعة الأربعة بنفس مواد البناء المستخدمة في القلعة (الحجر والجص) ووضع تصاميم خاصة لمداخلها تعكس قيمتها الحضارية.
- ٣- صيانة وتطوير السلم الحجري للصعود والنزول وتلوين أحجاره وتسلط الضوء عليها.
- ٤- انشاء مقهى ومطعم سياحي ودار إستراحة وفندق سياحي على ان لا يتجاوز الطابقين ومحلات لعرض وبيع التحف والهدايا النحاسية والبرونزية في حدود عشرة محلات، مع انشاء ناد اجتماعي ودائرة بريد ومصرف وخدمات اخرى (مركز اطفاء ومخفر شرطة). ومواقف لسيارات الزوار وحدائق مشجرة.
- ٥- ربط أجزاء القلعة بشبكة حديثة للمجاري واعادة بناء الاجزاء المتهدمة من القلعة.
- ٦- الاهتمام بنقطة الجذب الدينية المتمثلة بجامع النبي دانيال بخلق فضاءات مفتوحة مناسبة له أمام مدخل الجامع مع توفير الخدمات (مقهى ومطعم ) بالقرب منه.
- ٧- العناية بنقطة الجذب الترفيهية بزراعة أشجار دائمة الخضرة في المنحدر الشمالي للقلعة، مع توفير ارض خضراء داخل القلعة بمساحة لا تقل عن ألفي متر.
- ٨- تطوير نقطة الجذب التجارية المتمثلة بالسوق الكبير المحيط بالقلعة وتحويل شارع السوق إلى طريق للمشاة وإعادة تبيطه بالمواد التي لا تسمح بمرور السيارات أو فرشته بالطابوق أو الحجر الملون واستغلال الخانات المتروكة وتأهيلها وتحويلها إلى فنادق درجة ثانية أو مطاعم وتنظيم حركة المشاة وحركة السيارات وتنظيم السكن باعادة بناء القطع المهدامة والمتروكة وصيانة الدور الاخرى واقتراح «صفر» التعامل مع القلعة كحي سكني واحد مقسم إلى محلتين سكنيتين بواقع ألفي شخص لكل محلة مع توفير الخدمات لكل منهما. وأخيراً فان قلعة كركوك ذات الاصاله الحضارية العريقة، تستصرخ منظمة «اليونيسكو» للحفاظ على وضعها وصيانتها كموقع أثري مهم.

## حقوق الإنسان والتنوع الاثني لسكان كركوك

الدكتور منذر الفضل

باحث عراقي/السويد

تعتبر مدينة كركوك من المدن المهمة والحيوية في العراق تبعاً لعوامل متعددة، لعل من أهمها الثروة الطبيعية التي تكمن في باطنها من البترول والغاز الطبيعي وخصوبة أراضيها الزراعية وكذلك لقدم تاريخ المدينة الذي تدل عليه شواهد الآثار وما تناقلته الكتب عن تاريخها من بين المدن العراقية، هذا بالإضافة إلى موقعها الجغرافي والتجاري المتميز فضلاً عن مميزات التسامح والتعايش والوثام بين الأديان والمذاهب المختلفة والأعراق من الكرد والعرب والتركمان والآشوريين والأرمن، كما شهدت المدينة تعايش المسلمين والمسيحيين واليهود جنباً إلى جنب حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية ولغاية هجرة اليهود من العراق بعد ظهور مشكلة فلسطين وقيام الحكومة العراقية باسقاط الجنسية عنهم. وهذا التعايش والوثام جنباً إلى جنب بين القوميات والأديان ظل قائماً رغم محاولات الأنظمة السياسية في العراق اتباع نهج سياسة التمييز والتطهير العرقي وبخاصة سياسة التبعيث في عهدي حكم البعث بفعل النظرة الشوفينية لبعض قادة النظامين من العرب في الفترة الأولى عام ١٩٦٣ ومن الفترة الثانية ١٩٦٨. ويعود تاريخ مدينة كركوك إلى آلاف السنين وتشير الدراسات إلى أنها وجدت قبل الميلاد فقد تأسست في زمن (الكوتيين أو الكاشيين ١٦٠٠ ق.م) وهم أجداد الكرد وكانت تعرف في الماضي بـ«كوركورا» أي نور النار باللغة الميديّة القديمة، بينما يرى البعض الآخر أن المقصود بتسمية المدينة ومنذ عهد السومريين (العمل المنظم والشديد) وهي ترجمة لكلمة «كاركوك»، بينما سميت المدينة بأسماء أخرى<sup>(١)</sup> ولذلك ينصب هذا الموضوع على مسألتين

(١) أنظر عبد القادر البريفكاني، صحيفة الحياة يوم ٨/٥/٢٠٠١م. وانظر كذلك عوني الداودي: صحيفة الاتحاد، العدد ٤٠٢. ٢٢/١٢/٢٠٠٠م، ص ١٠ وجرجيس فتح الله، زيارة للماضي القريب، مشار إليه في بحث الداودي، وكذلك الأستاذ شاكر خصباك: الكرد والمسألة الكردية، بغداد ١٩٥٩م ص: ١٤-١٥، انظر حول تسميات مدينة كركوك زميلنا الأستاذ الدكتور نوري طالباني: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي، ١٩٩٥، ص: ٨-١١.

مهمتين هما صلة بالمجتمع المدني التعددي لعراق المستقبل الذي يجب أن يقوم على التسامح والتعايش والتكافل والتعددية القومية والدينية والسياسية والمذهبية، وهاتان المسألتان هما: أولاً: قضية حقوق الانسان ووجوب احترامها والالتزام بمعاييرها الدولية والقانونية، وثانياً: هي خصوصية مدينة كركوك في العراق وما تتميز به منذ القدم من التنوع العراقي للسكان والتعايش والوثام بين مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والآراء السياسية دون أن تكون هناك أية حساسية أو اصطدام بين السكان إلى وقت ليس ببعيد من الزمان بفعل عوامل متعددة منها التزاوج بين مختلف الأعراق وسيادة فكرة العيش المشترك في الوطن الواحد في ظل مبدأ سيادة القانون ونهج التسامح بين السكان.

وبذلك شكلت المدينة في تسامحها وتعايشها بين السكان رمزاً من رموز المدن العراقية دون صراع بين أهلها، غير أن هذه الحالة- وللأسف لم تستمر- فقد جرت عمليات كثيرة من الحكومات العراقية المتعاقبة وبخاصة الحكومة الحالية في ممارسة سياسة تعريب السكان أو تبعيئهم (أي اجبارهم على الانتماء إلى حزب البعث) وممارسة سياسة التطهير العرقي-Eth-nic Cleansing بصورة مخالفة للدستور والقانون والقواعد القانونية الدولية وبخاصة ضد الكرد والتركمان الآشوريين. ولغرض القاء المزيد من الضوء على هذا الموضوع لا بد من تقسيم البحث على ثلاثة محاور وهي:

## القسم الأول

### القواعد العامة لحقوق الانسان في حماية الإعراف البشرية

من المعلوم أن الاعتراف بالكرامة المتأصلة في جميع أعضاء الأسرة البشرية وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام في العالم. كما أن من الضروري أن يتولى القانون حماية حقوق الانسان لكي لا يضطر المرء آخر الأمر إلى التمرد على الظلم والاستبداد فالناس يولدون أحراراً ومتساويين في الكرامة والحقوق (المادة ١ من الاعلان العالمي لحقوق الانسان)<sup>(٢)</sup> كما جاء في المادة الثانية «لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان دون تمييز كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء». إذن فان لكل شخص أينما وجد الحق في أن يعترف بشخصيته القانونية (المادة ٦).

وفي نطاق الاتفاقيات الدولية، جاءت نصوص اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة

(٢) الاعلان العالمي لحقوق الانسان لعام ١٩٤٨م.



عليها لسنة ١٩٤٨م واضحة في هذا الصدد في حماية الأعراق البشرية كجزء من سياسة احترام حقوق الانسان والمعايير الانسانية الدولية، ويراد بجريمة إبادة الجنس البشري هو التدمير المتعمد للجماعات القومية أو العرقية أو الدينية أو الاثنية حيث أن التاريخ شاهد على وجود ممارسات خطيرة وجرائم بشعة في التاريخ الانساني جرت وتجرى بصورة واسعة وفي مناطق مختلفة من العالم، فالحكومة الألمانية النازية ارتكبت هذه الجريمة ضد ملايين البشر بسبب دينهم أو اصولهم العرقية، وهي من الجرائم التي تمس الأمن الدولي وتهدد السلام والاستقرار في العالم ولا يقبل القول بأن هذه الجرائم هي شأن داخلي للدول وبالتالي لا يحق للمجتمع الدولي التدخل لمنعها ومحاسبة الفاعلين لها<sup>(٣)</sup> كما ارتكبت الجريمة في البوسنة والهرسك وفي كوسوفو وفي أفريقيا.

وهذا يعني أن جريمة إبادة الأجناس البشرية هي جريمة عادية (غير سياسية) وهي لا تسقط بالتقادم (مرور الزمان المانع من سماع الدعوى) وان مرتكبها لا يمنح حق اللجوء السياسي ولا يمكن اعفاء الفاعل منها أو من عقابه حتى ولو كان رئيس دولة اذ تتقرر مسؤوليته حسب القانون لا سيما وان هناك اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الانسانية، ذلك لان جريمة إبادة الجنس- كالتطهير العرقي والاثني- هي جريمة ضد الانسانية وتعد من جرائم الحرب اذ ارتكبت أثناء الحرب وكل من الجريمتين هما من الجرائم الدولية International crimes كما أن وصف الجريمة هذا يبقى قائماً حتى ولو لم تكن الأفعال المذكورة اخلالاً بالقانون الداخلي للبلد الذي ارتكبت فيه، كما أنه لا بد من القول بأن هناك توافقاً يجب حصوله بين (القوانين الوطنية الداخلية) و «الالتزامات الدولية» ولا يعد تدخل المجتمع الدولي لوقف الأعمال الاجرامية ضد الأعراق والأصول أو الأجناس الأخرى تدخلاً في الشأن الداخلي للبلد الذي تمارس فيه هذه السياسة المخالفة لقواعد حقوق الانسان، وهذا الأمر يعد قيداً على مبدأ السيادة المطلقة للدولة.

لقد أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة أن جريمة إبادة الأجناس تدخل تحت طائلة القانون الدولي لأنها من الجرائم الدولية وأياً كان الشخص القائم بها فإنه يخضع للعقاب ومن

(٣) انظر نصوص اتفاقية منع جريمة إبادة الأجناس والمعاقبة عليها لسنة ١٩٤٨ وانظر كذلك اتفاقية عدم تقادم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الانسانية التي دخلت حيز التنفيذ في ١١ نوفمبر ١٩٧٠م وانظر أيضاً الدكتور عبد الرحيم صدقي - القانون الدولي الجنائي - القاهرة ١٩٨٦م ص: ١٣، ٤٤، وانظرت بخصوص جرائم نظام صدام ضد الكرد الفييلين في التطهير العرقي والتهجير من العراق والمخالفات ضد حقوق الانسان بما فيها قرارات مجلس قيادة الثورة في اسقاط الجنسية عنهم وعن كل شخص عراقي إذا تبين عدم ولائه للوطن والشعب!! (القرار رقم ٦٦٦ في ٥/٧/١٩٨٠م) وراجع الدكتور مصطفى الأنصاري: عمليات التهجير في العراق، ١٩٩١م، ص: ١٠٥.

الطبيعي أن وجود الاتفاقية الخاصة بمنع جريمة إبادة الجنس البشري يعني طبقاً للقانون الدولي، الاتفاق بين الدول ذات السيادة، أي على الدول الموقعة على الاتفاقية القبول بالتزامات محددة واحترام النصوص المتفق عليها وتنفيذها وفقاً للاتفاقية.

وجريمة إبادة الأجناس البشرية ليس بالضرورة أن تتم بالقتل المادي أو بالسلح الكيماوي كما حصل في مدينة حلبجة عام ١٩٨٨م التي استشهد فيها أكثر من خمسة آلاف إنسان في كردستان العراق أثناء الحرب العراقية - الإيرانية وذلك بسبب فعل نظام الرئيس صدام، وإنما يمكن أن ترتكب هذه الجريمة الدولية من خلال وسائل متعددة ذلك أن إبادة الجنس البشري قد تحصل بفعل إيجابي أو بفعل سلبي (الامتناع عن تقديم العون) وبعبارة أخرى تعني ارتكاب أي أفعال معينة بقصد التدمير الكلي أو التدمير الجزئي لجماعات قومية أو إثنية أو عنصرية أو دينية بصفاتها هذه، ومثال ذلك (جريمة القتل) بآبادة جسمانية مباشرة أو إلحاق الضرر العقلي بها أو من خلال فرض ظروف معيشية قاسية عمداً كما حصل في الأهوار في جنوب العراق حين قامت أجهزة نظام الرئيس صدام بتسميم الأهوار وقتل الحياة فيها وتجفيفها وتدمير البيئة بحجة منع العمليات العسكرية ضد النظام.

ومن صور إبادة الجنس البشري سياسة التعقيم للبشر والأجهاض والحيلولة دون انجاب الأطفال ونقل أطفال جماعة معينة بالقوة إلى جماعة أخرى وكمثال سياسة التهجير ضد الأكراد الفيلية من مناطق العراق المختلفة بحجة أنهم من التبعية الإيرانية حيث جرت ابشع جريمة ضد الكرد الفيليين في العراق منذ عام ١٩٧١م وحتى أواخر الثمانينات، ومن المعلوم أن قواعد القانون العامة ونصوص اتفاقية منع إبادة الأجناس البشرية توجب معاقبة الفاعل الأصلي للجريمة ومن ساهم في وقوعها أو حرض عليها أو تأمر لغرض ارتكابها أو حاول القيام بها لأنها تعتبر من أشنع صور الجرائم ضد الإنسانية.

ومن المعلوم أن هذه الجريمة ارتكبت من قبل نظام الرئيس صدام، ويتحمل هو المسؤولية الأولى عنها، أثناء الحرب العراقية الإيرانية وفي وقت السلم أيضاً، ولا تجيز الاتفاقية التي وافق عليها العراق تخلص أي مسؤول من العقوبة عن جرائمه حتى ولو كان الفاعل هو رئيس الدولة (المادة الرابعة من اتفاقية منع جريمة إبادة الجنس البشري) وقد ارتكبت جريمة إبادة الجنس في العراق ضد الكرد في كردستان وضد التركمان وضد الشيعة في جنوب العراق وضد الكرد الفيليين الذين تعرضوا إلى تجارب السلاح الكيماوي والبيولوجي من الوحدة العسكرية رقم ٥١٣ أثناء الحرب العراقية - الإيرانية.

ومنذ عام ١٩٦٨م انتهت الجمعية العامة للأمم المتحدة من اعداد واعتماد اتفاقية عدم جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية وبدأ تنفيذ الاتفاقية منذ ١١ / ١١ / ١٩٧٠م، ومن هذه

الجرائم هي جريمة إبادة الأجناس crime of genocide الوارد تعريفها في اتفاقية عام ١٩٤٨م. وهذا يعني أن الفاعل للجريمة يستحق العقاب ولو مرت مدة طويلة على ارتكاب جريمته فمرور الزمان لا يكون مانعاً من موانع العقاب أو المسؤولية على المجرم لكي لا يفلت من العقاب. وقد تكون البواعث على ارتكاب جريمة الإبادة هي البواعث الدينية كما حصل في جنوب العراق في تدمير الأهوار وتسميمها وتهجير البشر من مناطق سكنهم بسبب كراهية نظام الرئيس صدام لعشائر الجنوب الشيعية في العراق المناوئة لنظامه المستبد فضلاً عن تدمير العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وقتل علماء الشيعة بتصفيتهم جسدياً في كل مناطق العراق. كما أن هناك باعثاً سياسياً واجتماعياً لجريمة إبادة الجنس البشري مثل جريمة إبادة الجنس الكردي والتركمان في كردستان العراق بسبب العنصر أو العنصر والدين معاً مثل الكرد الفيليين والتركمان الشيعية.

إن الاعلان العالمي لحقوق الانسان نص في المادة الثانية على «أن لكل انسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الاعلان، دون تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، دون أية تفرقة بين الرجال والنساء».

كما نصت المادة ١٢ على (١- لكل فرد حرية التنقل واختيار محل اقامته داخل حدود كل دولة. ٢- يحق لكل فرد أن يغادر أية بلاد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه».

ومنعت المادة ٥ تعريض أي انسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية، كما نصت المادة ٩ على عدم جواز القبض على أي انسان أو حجزه أو نفيه تعسفاً. ووفقاً للمادة ١٥ لكل فرد حق التمتع بجنسية ما ولا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً أو إنكار حقه في تغييرها. ونصت المادة ١٧ على أن لكل شخص حق التملك بمفرده أو بالاشتراك مع غيره ولا يجوز تجريد أحد من ملكه تعسفاً.

## القسم الثاني

### جريمة التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان في كركوك

ليس هناك أدنى شك في وقوع سلسلة من جرائم التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان في مدينة كركوك بصورة خطيرة لتغيير هوية المدينة ومعالمها والتأثير على وجودها ومن خلال تفكيك القرى المحيطة بها وفك ارتباطها بالمدينة المذكورة وقد شملت سياسة التغيير لهويتها حتى القبور الموجودة فيها لكي لا تكون دليلاً على كشف الهوية الكردية لسكان المدينة.

ولم تتوقف سياسة أنظمة الحكم في العراق عن عمليات التطهير العرقي رغم الاحتجاجات

المحلية والدولية والاقليمية، فقد مارست السلطات وما تزال تمارس عملية مصادرة الأراضي للکرد والترکمان وتوزيعها على العرب وبخاصة منتسبي الأجهزة الأمنية ذلك لأن مدينة كركوك خاضعة لسلطتها المركزية وتمارس عملية نقل وطرد السكان الكرد والترکمان من كركوك والمناطق المحيطة بها إلى مناطق أخرى في الجنوب أو ترحيلهم إلى كردستان للتأثير على الوضع السكاني في المدينة ومنع السكان الأصليين من الاكراء والترکمان وغيرهم من نقل ملكية الأراضي والعقارات أو بيعها فضلاً عن قيام الحكومة العراقية بتوزيع الأراضي على العرب من العراقيين والفلسطينيين من العاملين في الأجهزة الأمنية والعسكرية ومصادرة الأملاك لسكان الكرد والترکمان وعدم السماح لهم بتسجيل الأملاك بأسمائهم<sup>(٤)</sup> وهذه الأعمال مخالفت خطيرة لحقوق الانسان. ومن سياسات نظام الرئيس صدام ممارسة أسلوب التهجير القسري الداخلي والخارجي، ويتمثل التهجير الداخلي في فرض الإقامة الجبرية في محل الولادة أو المحل المقيم فيه قبل احصاء عام ١٩٥٧م أي وضع القيود على حرية السكن والانتقال داخل الوطن وهو ما يخالف حقوق الانسان وحقه في التنقل واختيار السكن وحقه في التملك (المادة ١٧) وكذلك تدمير القرى كلياً ومسحها من الخارطة أو تغيير أسمائها كما حصل في خانقين وكركوك والموصل ومخمور وكفري وتلعفر وداقوق ومناطق كردية عديدة وأخرى يسكنها الترکمان<sup>(٥)</sup> أما التهجير القسري الخارجي فنقصد به جريمة التطهير العرقي ضد العوائل الكردية والترکمانية وكذلك ضد الشيعة من الكرد الفيليين وطردهم من بلادهم (العراق) إلى ايران والاستيلاء على دورهم واموالهم وثرواتهم خلافاً للدستور والقانون وقد بلغ عدد هؤلاء ما يقارب مليون نسمة.

ويشير العديد من الباحثين إلى أن أولى محاولات التعريب في كركوك جرت ابان الحكم

(٤) ومن الجدير بالذكر أن جريمة إبادة الجنس البشري تعد من الجرائم ضد الانسانية اذا ارتكبت وقت السلم ومن جرائم الحرب اذا ارتكبت وقت الحرب وان كلاً منهما جريمة دولية تتحقق بوجود أركانها (الركن الشرعي وهو العرف الدولي والاتفاقيات الدولية) والركن المادي وهو الفعل ذاته سواء وقع بصورة عمل ايجابي أم بصورة سلبية وكذلك حالة التحريض والتآمر والاشتراك سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة، ثم الركن المعنوي أي انها جريمة عمدية تقع عن قصد (القصد الجنائي) وهي دائماً تكون في مرتبة الجنائيات وليس الجناح بفعل خطورة الجريمة. المرجع السابق، ص: ٥٢ - ٥٥ وانظر كذلك مجلة الحقوقي - لندن - جمعية الحقوقيين العراقيين - العدد ٢، ص: ٨٣ وانظر مقال الدكتور رياض عبد المجيد - سياسة التهجير القسري الداخلي والخارجي - مجلة الحقوقي لندن، العدد ١، ٢٠٠١م، ص: ٣٥ - ٣٧.

(٥) انظر صحيفة صوت التأميم التي تصدرها السلطة العراقية - العدد ٥٧، في ٢٣ نيسان من عام ٢٠٠١ وانظر كذلك صحيفة الاتحاد الوطني الكردستان - العدد ٤١٨ في ٢٧ نيسان ٢٠٠١.

الملكي (عهد وزارة ياسين الهاشمي) من خلال اسكان عشائر العبيد والجبور في الحويجة وذلك لتوفر الأراضي الزراعية الخصبة وبحجة منع النزاعات مع عشائر عزه في دياالى التي كانت قائمة مع عشائر عربية أخرى في مناطق أخرى من العراق<sup>(٦)</sup> ووفقاً لإحصاء عام ١٩٥٧م فان نسبة السكان الكرد في مدينة كركوك هي ٤٨,٣٪ وهو الاحصاء الذي اتفق عليه وفق بيان آذار عام ١٩٧٠م بينما نقصت النسبة لعدد السكان الكرد في احصاء عام ١٩٧٧م، وصارت ٣٣,٣٧٪ بفعل سياسة التعريب والتطهير العرقي، أما التركمان فقد كانوا حوالي ٢١,٥٪ ثم أصبحت النسبة في احصاء عام ١٩٧٧م، ٣١,١٦٪<sup>(٧)</sup> وفي هذا الصدد يشير الأستاذ الدكتور حسن الجليبي في معرض حديثه عن الفيدرالية للكرد في كردستان عن مدينة كركوك قائلاً ما يلي: «وحيث يتعلق الأمر بالمنطقة الكردية يبرز ما يسمى بعقدة كركوك، حسناً يتعلق السؤال بما إذا كانت كركوك تدخل ضمن منطقة كردستان أم لا؟ من ناحية المعطيات التاريخية والواقعية والسكانية فان المعلوم أن كركوك كانت تتكون من الأكراد (وهم الأكثرية) والتركماني ومن ثم العرب، ولهذا فمن الحتمي أن تدخل كركوك ضمن اقليم كردستان في الاتحاد الفيدرالي أو في صيغة أخرى»<sup>(٨)</sup> أما الدكتور غسان العطية فيرى عكس ذلك قائلاً «... كركوك يقطنها مزيج مذهبي وقومي - تركمان وكرد وعرب - كما تعرضت ولا تزال لإجراءات تمس التركيبة الاثنية للسكان بسبب سياسة تعريب أو غيرها، كل ذلك يجعل منطقة كركوك ذات خصوصية تحتاج إلى صيغة توفيقية خاصة، الأمر الذي يتمثل في اعتماد كركوك - أمانة غير تابعة لأية جهة أخرى، شأنها في ذلك شأن بغداد التي يقطنها إلى جانب العرب المسلمين، التركمان والأكراد والآشوريين والمسيحيين...»<sup>(٩)</sup> بينما يذهب الدكتور نوري طالباني - بحق - إلى القول اذا كانت منطقة كركوك ضمن حدود كردستان الجغرافية وان فقهاء القانون والمؤرخين العراقيين يثبتون ذلك قانونياً وتاريخياً، فلماذا اذن القول بصيغة

- 
- (٦) انظر عزيز قادر: التاريخ السياسي للتركمان - دار الساقى - لندن ١٩٩٩م، ص: ٩٣، وانظر المؤلف القيم للدكتور نوري طالباني: منطقة كركوك ومحاولات تغيير واقعها القومي - لندن ١٩٩٥م. ص: ٣٢-٣٣، وعوني الداودي، ص: ١٠.
- (٧) انظر عوني الداودي والمراجع التي يشير اليها وكذلك مقال الدكتور نوري طالباني- صحيفة الاتحاد، العدد ٣٢٣ في ١٨/٦/١٩٩٩م.
- (٨) انظر رأي الأستاذ الدكتور حسن الجليبي المنشور في مؤلف الأستاذ الدكتور عبد الحسين العطية -مأساة شعب العراق و ارادة الحياة، ١٩٩٥م ص: ٢١٤.
- (٩) انظر رأي الدكتور غسان العطية: مقترحات في الوضع الدستور لعراق ما بعد صدام التصدي للقضية الكردية والمسألة الطائفية - الملف العراقي - لندن العدد ٩٠، ١٩٩٩م.

توفيقية وفقاً لطروحات نظام صدام في مفاوضات عام ١٩٧٠ وعام ١٩٨٤م و عام ١٩٩١م<sup>(١٠)</sup> ومع احترامنا الكبير لهذا الرأي، الا اننا نخالفه الرأي، ونحن لا نؤيده في هذا الموقف لانه لا توجد احصاءات رسمية الركون إليها قبل عام ١٩٥٧ لكي تكون دليلاً رسمياً وحجة قاطعة على ما يقول، ولأن الفقيه القانوني (الأستاذ الدكتور حسن الجليبي) أكد قائلاً أن حدود كركوك هي ضمن كردستان العراق ويلزم أن تنبغ لحكومة اقليم كردستان لان أغلبية السكان هم من الكرد قبل وبعد احصاء عام ١٩٥٧م حيث كانت نسبة السكان الكرد التقريبية قبل احصاء عام ١٩٥٧م هي ٥١٪ بينما شكل التركمان نسبة ٢١,٥٪ ووفقاً لإحصاء عام ١٩٥٧ وبفعل سياسة التعريب نزلت نسبة الكرد إلى ٤٨,٣٪ وبينما كانت نسبة العرب في احصاء عام ١٩٥٧ هي ٢٨,٢٪ ارتفعت إلى ٤١,٤٤٪ في احصاء عام ١٩٧٧م ونقصت نسبة الكرد في الأحصاء المذكور إلى ٣٧,٥٣٪ ونزلت نسبة التركمان إلى ١٦,٣١٪ هذا فضلاً عن أن موسوعة الأعلام للعلامة التركي شمس الدين سامي التي ألفها عام ١٨٩٦م، ص: ٣٨٤٢. جاء فيها «أن كركوك هي مدينة كردية وتقع في قلب كردستان».

كما لا نتفق مع السيد عزيز قادر في اعتباره بعض السكان العرب في كركوك هم في حقيقة الأصل من التركمان قاصداً بذلك زيادة أعداد نسبة التركمان في مدينة وجعلهم من الأغلبية قبل احصاء عام ١٩٥٧ ذلك لأن سياسة التعريب والتطهير العرقي تجعل العكس هو الصحيح لتغيير نسبة العرب في المدينة بجعلهم من طرف الحكومات هم الأغلبية من خلال الترحيل والتعريب. وهنا لا بد من الاعتراف بحقوق التركمان والعرب والأرمن والأشوريين في مشاركتهم في المدينة الكردية كركوك، ونشير إلى أن افضل معيار يمكن الرجوع إليه هو احصاء عام ١٩٥٧م لأنه أول احصاء رسمي معترف به أما التقديرات السابقة على ذلك فهي تخمينية وغير رسمية ووفقاً لهذا الاحصاء فان أغلبية السكان هم من الكرد - كما بينا - حيث بلغت نسبتهم ٤٨,٣٪. وهو نظام ارتكب جرائم التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان. وفي عهد حكم البعث الأول عام ١٩٦٣م جرت سلسلة من الاجراءات الخطيرة والممارسات ضد السكان من الكرد والتركمان في مدينة كركوك من خلال تدمير القرى القريبة منها واتباع سياسة الترحيل واسكان بعض العشائر العربية بدلاً منها ونقل العاملين الكرد من مناطق

(١٠) انظر رأي الدكتور نوري طالباني: مقترحات دستورية تعمل علي تعقيد المسألة الكردية وليس حلها، صحيفة الاتحاد، العدد ٣٢٣ في ١٨ / ٦ / ١٩٩٩م، وهو منشور كذلك في مجلة أوراق عراقية، العدد الثاني ١٩٩٩، ص: ١٤٧. بينما يذهب السيد عزيز قادر في كتابه الموسوم التاريخ السياسي لتركمان العراق ص ٢٥٩ إلى الاعتماد على وضع سكان كركوك قبل احصاء عام ١٩٥٧ بحجة أن التركمان كانوا هم الأغلبية من السكان وان كركوك هي قلب التركمان النابض و رمز وجودهم القومي والتاريخي.

كركوك إلى أعمال أخرى خارج المدينة وجعل المنطقة أشبه بالمعسكر الذي تحيط به الربايا العسكرية وتبديل أسماء القرى والأحياء وتسليح العشائر العربية والبدو بحجة الوقوف ضد البيشمركة الكرد، إلا أن أكبر عملية تطهير عرقي حصلت في الفترة من ١٩٦٨م وقد ازدادت بصورة خطيرة جداً بعد عام ١٩٧٤م، ثم بعد تأسيس الكرد للحكم الفيدرالي في إقليم كردستان حيث ارتكبت - وما تزال - إبشع صنوف تغيير الهوية ومعالم المدينة بصورة دفعت المنظمات الدولية ومخالفة لقواعد حقوق الإنسان. كما عقد أكثر من مؤتمر بخصوص مدينة كركوك في كردستان وأبلغت العديد من المنظمات الدولية بجريمة التطهير العرقي المستمرة وبعمليات تغيير معالم مدينة كركوك وتفكيكها إدارياً وطرد سكانها.

بل أن سياسة الاستفزاز ضد الكرد لم تنحصر في كركوك أو خانقين أو مخمور فقط وإنما امتدت إلى كل المناطق الكردية وجرتم ممارسات خطيرة جدا ضد الكرد وقراهم وضد أملاكهم وثوراتهم في مختلف مناطق كردستان وهو ما يوجب محاسبة المجرمين الدوليين عن هذه الجرائم وفقاً للوثائق المتوفرة والتي تمت السيطرة عليها عقب انتفاضة الكرد عام ١٩٩١م. كما نشير إلى أن النظام الحاكم في بغداد كان يختار المسؤولين الحزبين والأمنيين والعسكريين للقيام بهذه الأعمال من العرب غير الشيعة (الأبشار، الموصل، تكريت...) أو من الفلسطينيين - أحياناً - ذلك لأن العرب الشيعة يتعاطفون مع القضية الكردية وحركتها التحررية هذا بالإضافة إلى أن المرجع الشيعي الأعلى المرحوم السيد محسن الحكيم لم يوافق على إعطاء أي فتوى لضرب الثورة الكردية في حزيران من عام ١٩٦٣م رغم محاولات التهديد والوعيد التي تعرض لها أثناء حياته من قبل عبد السلام عارف ومحاولات الصاق تهمة الشيوعية بالحركة التحررية في كردستان. كما أن شخصية المرحوم الملا مصطفى البارزاني وأولاده والقيادة الكردية والشعب الكردي محط احترام وتقدير من قبل العديد من العشائر والشخصيات العربية في وسط وجنوب العراق ممن يتعاطفون مع قضية الشعب الكردي وينادون بالوحدة الوطنية والحل السلمي للقضية الكردية وبالاعتراف بحقوق الكرد والتركمان وحقوق الاقليات الأخرى في عراق موحد يقوم على العدل والمساواة واحترام القانون وتفصيل الدستور والالتزام بقواعد حقوق الانسان ومعاييرها المتعارف عليها في المجتمع الدولي.

لقد أدانت لجنة الأمم المتحدة لحقوق الانسان في نيسان ٢٠٠٠ انتهاكات نظام صدام المنظمة والقاسية والواسعة النطاق لحقوق الانسان وقد تبنت اللجنة قراراً قدمه الاتحاد الأوربي ينتقد نظام صدام على ممارسات القمع والاضطهاد والارهاب وصوت لصالح القرار ٣٢ دولة من مجموع ٥٣ دولة عضو في اللجنة، كما حثت اللجنة في قرارها الصادر في نيسان ٢٠٠١م نظام صدام على ضرورة احترام حقوق القوميات والاقليات العرقية والديانات

المختلفة والامتناع عن تهجير الكرد والتركمان أو ارغامهم على تغيير محل اقامتهم، كما صدر قرار منظمة العفو الدولية في نيسان من عام ٢٠٠١م يدين انتهاكات حقوق الانسان في العراق ومنها عمليات التطهير العرقي ضد الكرد والتركمان والاقليات الأخرى وكذلك سياسة التعريب والتخريب في هذه المناطق.

### القسم الثالث:

مستقبل مدينة كركوك (التآخي والتسامح والعيش المشترك)

لاشك أن مدينة كركوك كانت واحدة من العقد التي وقفت أمام ايجاد الحل السلمي للقضية الكردية في العراق اذ كانت العنصرية والتطرف من بعض العرب في السلطة والنظرة الضيقة لنظام الحكم الدموي في بغداد حائلاً أمام ايجاد الحل الأخوي والاعتراف بالحقوق القومية المشروعة للكرد وفقاً للدستور والقانون ووفقاً للالتزامات الدولية المعروفة، لا سيما وان الكرد قدموا مئات الآلاف من الضحايا من أجل هذه الحقوق ورفضاً للظلم والاستبداد ومن أجل حرية العيش<sup>(١١)</sup> ونحن نعتقد أن وضع مدينة كركوك التاريخي والجغرافي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والاثني يشير بما لا يقبل الشك إلى أن كركوك مدينة مهمة تقع ضمن حدود كردستان العراق تاريخياً وقانونياً، وان الكرد هم السكان الذين يشكلون الأغلبية في المدينة وضواحيها منذ القدم وعلى الرغم من وجود القوميات الأخرى، كالعرب والتركمان والآشوريين وغيرهم، إلا أن السكان من الأكراد هم الذين شكلوا أغلبية السكان ولعل من أهم الأدلة على ذلك هو احصاء النفوس عام ١٩٥٧م وكذلك قبور الكرد التي سعت حكومة البعث إلى العبث بها وتغيير ملامحها وبخاصة بعد مطالبة الزعيم الملا مصطفى البارزاني احصاء القبور من الكرد كشاهد على دخول المدينة ضمن حدود كردستان في معرض رده على الوفد الحكومي المفاوض عام ١٩٧٠م وهو ما دفع الأنظمة المتعاقبة - وبخاصة في عهد البعث - إلى اتباع نهج عدواني ضد الكرد والتركمان وغيرهم بتطهير الأعراق والسيطرة على مقدرات المدينة من الثروات الطبيعية وهو تدخل - كما بينا يتنافي وحقوق الانسان - اثر على النسيج الاجتماعي والتركيب العرقي والبنية التحتية والحدود الجغرافية. بل أن نهج السلطات

(١١) اطلعت على رسالة سرية غير منشورة من المرحوم المهندس نوري محمد أمين أحد المؤسسين للحزب الديمقراطي الكردستاني في كونفراس عام ١٩٤٨م ومن موسسي حزب شورش وقد رد فيها على رسالة صدام التي استفسر فيها عن أسباب عدم حضوره اجتماع قاعة الخلد للكرد المستقلين عقب انهيار المفاوضات عام ١٩٧٤م حيث أجاب تحريراً (... إنني من الراضين لمشروع حكومة البعث في تطبيق الحكم الذاتي ومن المؤيدين لمشروع الحزب الديمقراطي الكردستاني برئاسة الملا مصطفى البارزاني... وان كركوك جزء لا يتجزأ من حدود كردستان...).



امتد حتى إلى المقابر بدرسها تارة وبدفن العرب في مناطق كركوك وفي توطين عشرات الآلاف من الفلسطينيين فيها إلى جانب تغيير أسماء الأحياء والمناطق الكردية وتسميتها بأسماء عربية أو بعثية عنصرية واستفزازية مثل حي البعث وحي النخوة وحي العمل الشعبي وحي القادسية وأم المعارك وصدام الصمود... وغيرها. ولا بد من الإشارة إلى موقف الزعيم المرحوم الملا مصطفى البارزاني هنا حيث قال أثناء مفاوضات عام ١٩٧٠م للوفد الحكومي المفاوض بخصوص كركوك ما يلي: «إن كركوك هي جزء من كردستان وأذا ظهر في الإحصاء أن أكثرية سكانها ليسوا من الأكراد فأنا لن اعترف بذلك، انني لن أحتمل أمام الأكراد مسؤولية التخلي عن كركوك...». ومن أجل عراق موحد تتعزز فية قواعد الاحترام للقانون ومفاهيم حقوق الانسان لابد من ملاحظة ما يلي:

١- وقف حملات الاستفزاز للکرد والتركمان وللأقليات الأخرى واحترام خيارات القوميات المتأخية واحترام الأديان والمذاهب والطوائف والآراء السياسية والفكرية ومحاربة العنصرية والفكر الشوفيني من أي مصدر كان، ولا يجوز مطلقاً اتباع ما قام به صدام من سياسة التبعيث بالقوة، وهي سياسة باطلة ومخالفة للقانون، وكذلك سياسة تعريب السكان (جعلهم من القومية العربية) بالترهيب والترغيب لأنها سياسة فاشلة لن تقود إلا إلى المزيد من الآلام والأحقاد، ولأن من يزرع الرياح لا يحصد إلا العاصفة، وهي سياسة مخالفة للإعلان العالمي لحقوق الانسان، ذلك أن كركوك هي واحدة من المدن العراقية التي تعد رمزاً من رموز الاخوة والتسامح والوثام بين الكرد والتركمان والعرب والأرمن والآشوريين ومختلف الديانات والمذاهب والأفكار.

٢- اعتماد ثقافة التسامح والاعتراف بالآخر ونشر ثقافة حقوق الانسان.

٣- تأسيس صندوق وطني يسمى بـ«صندوق تعويض المتضررين» لتعويض السكان الذين تضرروا من سياسات التطهير العرقي والتهجير وكل متضرر من جرائم النظام من عائدات النفط وتخصيص نسبة منها لضحايا هذه السياسة المخالفة للقانون الدولي وللدستور العراقي وللقوانين الوطنية، كما لابد من تعويض كل متضرر من جرائم النظام في حلبجة الجريحة وقلعة دزه وخانقين وضحايا جريمة الأنفال وإعادة المهجرين والمهاجرين وبترك الحرية في الاختيار ونبذ سياسة القوة والاستبداد المدمرة، ولا بد من تعويض التركمان الذين طردوا من ديارهم وقراهم وهجروا قسراً بدون أي مبرر والسماح بعودتهم إلى مناطقهم.

٤- إعادة التقسيمات الادارية السابقة وفقاً لخرائط واحصاءات عام ١٩٥٧م ووفقاً لإشراف لجنة وطنية ودولية.

٥- ادخال مدينة كركوك ضمن فيدرالية كردستان على أن تقع ضمن سيطرة حكومة اقليم كردستان أي أن المدينة تكون واقعة ضمن الحدود الجغرافية لكردستان، ثم إن الشعب الكردي هو جزء من الشعب العراقي ولكنه ليس جزءاً من الشعب العربي ولا يجوز القول بذلك أو استفزاز الكرد أو غيرهم بهذه المقولات العنصرية الضيقة أو القيام بسياسة التعريب وبهذا تكون عقدة كركوك قد حلت قانونياً وتاريخياً في ارساء أسس السلام والاستقرار في عراق موحد، وفي هذا ضمان للحل السلمي والأخوي والتعايش بين الجميع وفقاً للقانون.

٦- إلغاء التسمية الحالية للمدينة وهي «التأميم» وإعادة التسمية السابقة لها «كركوك» وكذلك إعادة تسميات القرى والمدارس والأحياء السكنية والمناطق السابقة إلى حالها التي كانت سائدة قبل عام ١٩٥٧ أو ايراد تسميات أخرى غير استفزازية للكرد والتركمان والآشوريين والكلدان والأرمن.

٧- الاعتراف بالاشتراك في مدينة كركوك لجميع القوميات والأديان والمذاهب والأفكار وممارسة الحقوق وفقاً للقانون بالتساوي واحترام قواعد حقوق الانسان حيث يرى الأستاذ جلال الطالباني: «أن أكثرية مدينة كركوك ما زالت كردية ويلبها التركمان الذين يشكلون نسبة كبيرة من سكان المدينة أما العرب فما زالوا أقلية لا تتجاوز العشرة بالمائة من نفوس كركوك...»<sup>(١٢)</sup> وفي معرض حديثه عن هذا الاشتراك يقول الأستاذ جلال ما يلي: «وفي اعتقادي يجب أن لا يثير موضوع كركوك خلافاً لأن الشعب الكردي يعارض الانفصال عن العراق أولاً، ولأن ثروة العراق شماله ووسطه وجنوبه يجب أن تكون لجماهير الشعب الكادحة بعربه وكرده وتركمانه».

إن التعايش في مدينة كركوك في عراق المستقبل القائم على النظام الفيدرالي ضمن سياسة التسامح والوئام وبتفعيل دور القانون ومؤسسات المجتمع المدني الاختيارية سيؤدي إلى تحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين جميع الأصول الاثنية والديانات والمذاهب والاتجاهات السياسية وضمن حرية التفكير والرأي طبقاً للدستور الفيدرالي ودستور حكومة اقليم كردستان من أجل توظيف ثروات العراق الطبيعية لبناء السلام والاستقرار وخدمة الانسان.

(١٢) انظر مؤلف الأستاذ جلال الطالباني: كردستان والحركة القومية الكردية، دار الطليعة، بيروت ، ط٢- ١٩٧١م، ص:٣٦، وانظر باللغة الفرنسية مؤلف زميلنا الفاضل الدكتور علي بابا خان (أكراد العراق Les Kurdes D' Irak ) وهي أطروحة قيمة طبعت في باريس ١٩٩١ وكذلك المؤلف القيم له باللغة الفرنسية أيضاً المعنون «العراق من ١٩٧٠- ١٩٩٠م» وفيهما يتحدث المؤلف عن جرائم النظام في كركوك وفي مختلف أنحاء كردستان وضد الشيعة أيضاً.

## تقارير عن كركوك من قبل زائرين أوروبيين معاصرين

د. ميريلا كالييتي - باحثة إيطالية  
ترجمه الى العربية: شاخوان كركوكي

الرواية التقليدية تقول أن نبوخذنصر هو من أسس المدينة التي تسمى في المصادر السريانية كارخا دي بيت سلوخ، بين ٦٠٥ و٥٦٢ قبل الميلاد، بعد سقوط نينوى (٦١٢ ق.م). هذا التاريخ يحتمل أن يكون صحيحا فلو أخذ المرء بالإختفاء شبه الأنبي لمصيف أرابخا من النصوص، التي توجد بقاياها على مسافة حوالي ثلاثة كيلومترات شمال غرب كركوك<sup>(١)</sup>. كانت أرابخا العاصمة القديمة التي ازدهرت في منتصف الألفية الثانية، في وقت السلالة الآرية الميتانية، وباتت لاحقا موطن سلالة ساكا من أديابين<sup>(٢)</sup>.

ذكر كوينتوس كرتيوس أنه بعد النصر في أرببلا (في الأول من أكتوبر/ تشرين الأول، ٣٣١ قبل الميلاد) "وصل الأسكندر في يوم مسيره الرابع الى مدينة مينس. ويوجد في ذلك الموقع كهف به نبع تتدفق منه كمية كبيرة من القار، وهناك حقيقة مشهورة تقول بأن أسوار بابل، ذلك العمل الجبار، مدعمة بالقار من ذلك النبع" (في، أي، ١٦)<sup>(٣)</sup> يمكن أن تكون تلك المدينة هي كركوك الحالية<sup>(٤)</sup>. قدم بلوتارك وصفا مفصلا عن النفط الذي كان صب على الطريق ثم تصرم فيه النيران لينشر من جهة إلى أخرى (٣٥، ١-٢)<sup>(٥)</sup>.

(\* لا يمكن هنا إيفاء حق العون الكريم الذي لقيته من العديد من الأصدقاء. أنا مدين بصورة خاصة للبروفيسور فابريزيو بيناشيتي والبروفيسور أنجيلو ميشيل بيمونتيس لتعليقاتهما المشجعة وانتقاداتهما، وكذلك باربارا فيجينيلي لمساعدتها في مراجعة النص الانجليزي. وأود أن أعلن أن الأخطاء الموجودة هي أخطائي.

(١) جان موريس فيي.

(٢) إرنست. إي. هيرتسفيلد، إيران في الشرق القديم، نيويورك: كتب هاكلر آرت، ١٩٨٨، ص ١٦١، أرببلا (واسمها الحالي أرببيل) كانت بلدة رئيسة في منطقة أديابين.

(٣) كوينتوس كورتوس، بترجمة إنجليزية من قبل جون سي. رولف، كامبردج، مطبعة جامعة هارفارد - لندن: وليام هاينمان المحدودة، ١٩٧١، ص ٣٣١.

(٤) سترابو، ١٦، ١، ٤، جيوكوب سيبييرت، ١٩٨٥، ص ٩٦.

(٥) بلوتارخ، فايث باراليل، أليساندرو. ٢٠٠٠، الص ١٢١-١٢٥.

كانت تلك المرة الأولى التي يرى فيها الشعب اليوناني النيران الأزلية لباباكركر. وحسب إقتراح من خادم حمامه، سمح الأسكندر الكبير بتجربة ثانية. فصب النفط على ولد من الملعب وأضرمت فيه النار. فأحرقته النار بشكل مروع لكن تم إنقاذه بفضل الكثير من جرار الماء<sup>(٦)</sup>. أما الملك الفارسي داريوس فيقال بأنه أسكن خمس قبائل من مدينة عشتار الفارسية في كارخا، لكن مصدر المعلومات هذا قد يعزى الى الأسكندر ايضاً<sup>(٧)</sup>.

ملاحظات لو سترينج تقول إن (كاركوك) لم تذكر من قبل ياقوت ولا الجغرافيين السابقين، لكنه مذكور من قبل علي اليزدي (آي، ٦٦١) "كمحل قريب من طاووق"<sup>(٨)</sup>. المصادر الشرقية عن هذه المدينة قليلة. فقد روى شرف خان البتليسي في بداية القرن السادس عشر "في إمارة بابان، فتح الأمير بداغ ابن عبدال بك كركوك التي كانت تحكم من قبل بغداد"<sup>(٩)</sup>. ولم يزر ابن بطوطة المدينة، وكتب أوليا جلبي حول النفط الذي يتدفق من حقل في كركوك. في بداية القرن ١٩ وصف مرزا أبو الطالب خان مدينة كركوك على أنها "كبيرة وحصينة، لكنها مهددة بالإنهيار. والبيوت التي داخل جدران الحصن مبنية من الحجارة والطابوق، لكن تلك التي في الضواحي فإنها من الطين فقط. تقع كركوك وسط سهل واسع يوفر موقعها ميزة مهيبة وتمكن رؤيتها من مسافة كبيرة"<sup>(١٠)</sup>.

لا يمكن الادعاء بأن هذه الدراسة شاملة. ولكن أدبيات الرحالة الغربية عن كردستان غزيرة، ومع ذلك فإن المعلومات عن كركوك نادرة جداً ويصعب العثور عليها قبل منتصف القرن التاسع عشر. وربما كان هذا بسبب الموقع الجغرافي لكركوك، الذي لا يمر به نهردجلة. فالنهر هو المسار المسلوك بين الموصل وبغداد. كما أن كركوك ليست على طريق التجارة بين بغداد وبلاد فارس. وكذلك لم يكن الرحالة يزورون كركوك لأنهم لم يجذبوا إليها. وكانوا يفضلون زيارة أربيل، بسبب سمعة معركة أربيل، التي انتصر فيها الأسكندر الكبير. وكانت العماديه الإتجاه المفضل بسبب موقعها الغريب، حيث تجثم فوق جبل وفيها مستوطنات مسيحية ويهودية هامة. وكانت السليمانية ووديانها جذابة أيضاً عند نهاية القرن الثامن عشر.

(٦) روبن لين فوكس، أليساندرو مانغو، (تورينو: ١٩٨١، ص ٢٥٦).

(٧) جان موريس فيي، ١٩٦٤، ص ١٩٣.

(٨) جي. لو غربية، أراضي الخلافة الشرقية. بلاد ما بين النهرين، بلاد فارس، وآسيا الوسطى من الغزو المسلم إلى عهد تيمور، (كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، ١٩٠٥)، ٩٢ ملاحظة ١.

(٩) شرفخان البدليسي، ترجمة الشرفنامه إلى الكردية من قبل هزار، (بغداد: المجمع العلمي الكردي)، ١٩٧٢، ص ٥١٩.

(١٠) مرزا أبو الطالب خان، في آسيا، أفريقيا (ميلانو: طالب، ابن محمد الأصفهاني، توجه إلى كلكتا في فبراير/شباط ١٧٩٩ وعادت في ١٨٠٣.

كل هذه المدن كانت خاضعة لحكم السلالات الكردية القوية. إن المدن الأكثر ذكرا - والتي كانت مؤشرات على أهمية الموقع - هي: العماديه (قبل الكل في القرنين السابع عشر والثامن عشر)، بتليس ودياربكر حتى القرن التاسع عشر، أربيل منذ القرن الثامن عشر، وكانت ماردين قبل الكل حتى القرن الثامن عشر، السليمانية كانت هامة طوال القرن التاسع عشر. وربما يكون السبب في قلة المعلومات على كركوك هو كون أوضاعها السياسية غير مستقرة. فأحيانا كانت تحت السيطرة الفارسية وفي أحيان أخرى كانت تحت سيطرة الحكومة في بغداد.

كانت السنوات في أواسط القرن التاسع عشر هي العصر الذهبي من الرحلات والإستكشاف في هذا الجزء من الشرق الأوسط. المجموعة التقليدية من الزوار (كانت تتألف من الرحالة، الدبلوماسيين، المبشرين الكاثوليك، والتجار) وفي القرن التاسع عشر أضيفت إليها مجموعة جديدة تشمل الضباط العسكريين، علماء الآثار، المبشرين الأنجلوسكسون والبروتستانت الأمريكيان. العديد منهم كانوا وكلاء وعناصر نشيطة لتنفيذ سياسات القوى الأوروبية، أرسلوا إلى كردستان لغرض إستكشاف والحصول على المعلومات الجغرافية والاستراتيجية، ولتنظيم الملكيات الجغرافية وتحديد الممرات المائية وخطوط الإتصال التي تربط بين المدن، والتعرف على الصفات الطبيعية للأرض، وتسجيل ملاحظات علمية عن الموارد المعدنية، التربة والإمكانات الزراعية والقطعان وأعداد وحجوم الخرائب، السكان، علم آثار، الأمن العسكري، النظام الضريبي، الجماعات الدينية<sup>(١١)</sup>، الحسابات الإجتماعية الأنثروبولوجية، وهكذا<sup>(١٢)</sup>. الإهتمام ببلدة كركوك ارتبط بظهور النفط في تلك المنطقة وأهمية النفط في الإقتصاد العالمي.

اعتبر الزوار الأوروبيون الأتراك مغتصبين للأراضي المسيحية أو لتراثهم، ولهذا يطالب الغرب بإرجاع تلك الأراضي إلى مالكيها الأصليين. لهذا السبب يحتوي وصف على عنصرين عادة: الأسماء والأنصاب التي تبين صلتهم بالعصر القديم، والحديث عن اندثار تلك الأنصاب

(١١) مذكرات جويل ريدوين لصالح كلوديوس جيمس ريتش وجورج بيرسي عن المسيحيين الشرقيين. ١٩٨٨، الص ٢٣٤-٢٣٥.

(١٢) نشرت عدة مقالات عن هذا الموضوع بمجلة الجمعية الجغرافية الملكية حول الإمبراطورية العثمانية وبلاد فارس، وأبعد مناطقهم، ككردستان في القرن التاسع عشر. إزداد هذا الإهتمام خصوصا في فترات ١٨٣٩-١٨٤١ و ١٨٦٣-١٨٦٨. أنظر حسابات وليام أبنسورث، جيمس برانت، فريدريك فوربز، آر. جي. كاردن، آر. إن. غلاسكوت، توجيهات... ، فيسكونت بولنكتن، إتش. سي. راولنسن، جي. جي. تايلور.

بسبب إهمال السلطة العثمانية. لذا فإن التقارير تكشف معاناة الزائر الذي يحاول إيجاد توازن في تحليله بين القلاع ذات النقوش اليونانية أو اللاتينية من ناحية، والمواقع المسيحية المقدسة وأماكن الحج الأخرى<sup>(١٣)</sup>.

قال المقدم جسني "في بعض الحالات، تجد المواقع القديمة مازالت معروفة، لكن العدد الأعظم منها مجهول، ومدن هذه الإمبراطورية (الآشورية) التي كانت رائعة ذات مرة، تتمثل بضعف في البلدات الحديثة مثل الموصل، سعرت، العمادية، (بلدة الميديين) بتليس، وان، أربيل، سليمانية، كركوك، كويسنجق، زاخو، رواندن، جوله ميرك (هكاري)<sup>(١٤)</sup>.

قصص رحالة القرن التاسع عشر تضم أوجه شبه كبيرة فيما بينها. فهم جميعا يشيرون دائماً إلى رحلة نيبور. هذه القصص تقارن كركوك بأربيل بسبب موقعها الكائن على تلة. علاوة على ذلك تتم الإشارة إلى وجود النفط والعديد من الأعراق (كرد، عرب، تركمان، يهود، كلداشوريون). العديد من الزوار يشيرون إلى مقتبسات من كتاب باليونانية القديمة واللاتينية. يرد ذكر قبر النبي دانيال في الغالب. والذي ما زال إلى اليوم موقعا للحج في كركوك، لكن المعروف هو أن القبر الحقيقي هو ذلك الذي في سوسه<sup>(١٥)</sup>. ويقال أن رفاق النبي دانيال: حنانيا، ميشيل، وعازريا، الذين كانوا يخدمون في بيت نبوخذنصر مدفونون في مسجد النبي دانيال في كركوك. وطبقا للتوراة، فإن الملك صنع تمثالا عظيما من الذهب وطلب كل رعيته بتقديسه. لكن رفاق دانيال الثلاثة رفضوا الطاعة وإختاروا الذهاب إلى فرن. لكن النيران لم تؤثر فيهم فاقتنع نبوخذنصر بهذه المعجزة، وطلب من أولئك الذين إتهموهم بالجريمة الدخول في الفرن<sup>(١٦)</sup>. هذا التقليد بالطبع له صلة "بالاحتراق في فرن ناري"، ويتعلق بالنيران الأزلية المشتعلة في الغاز المنبعث من النفط في منطقة تعرف باسم باباكركر على حوالي ميلين شمال غرب البلدة. هذا المسجد قيل بأنه كان كنيسة حتى القرن ١٨<sup>(١٧)</sup>. لكن المصادر التاريخية للقرن الخامس لا تذكر مثل هذه الكنيسة، وهذا دليل على أن التقليد المذكور ليس قديما<sup>(١٨)</sup>.

(١٣) ستيفاني بيراسيموس، جولة في الامبراطورية العثمانية، ١٩٩١، ص ١٨ و ٢٠.

(١٤) العقيد إف. آر. جسني، بعثة لمسح الفرات ودجلة، نفذت بأمر من الحكومة البريطانية، في السنوات ١٨٣٥، ١٨٣٦، و١٨٣٧، ٤ أجزاء، ١٨٥٠، أنظر الجزء الأول، ص ١٢٠.

(١٥) م. ستريك "السوس"، الموسوعة الإسلامية، الجزء الرابع، ١٩٣٤، ص ٥٩٤.

(١٦) سفر دانيال ٣: ١-٢٤، "دانيال"، في: جون. إل. ماكنزي، قاموس التوراة، لندن دبلن: جيفري جابمان، ١٧٢، ١٩٦٥ "جي. جي. كولينز، "دانيال، كتاب، "ديفد نوئيل فريدمان (رئيس تحرير)،

قاموس التوراة المرساة، (نيويورك: دوبلداي، ١٩٩٢)، ٢٩-٣٧.

(١٧) جان موريس فيي، (بيروت ١٩٦٨، الجزء الثالث، ص ٥٢).

(١٨) جان موريس فيي، ١٩٦٤، ص ٢١٦.

في ١٦٧٨ توجه الطبيب الفينيسي، أنجيلو لجرنزي، إلى بلاد ما بين النهرين وبلاد فارس. وكتب مقالا بعنوان "حول أمة الكرد" وفي ذلك المقال يشير خطأ إلى كركوك بدلا عن تكريت<sup>(١٩)</sup>.

يقدم كارستن نيبور أول وصف تفصيلي لكركوك في نهاية القرن الثامن. وبسبب أهمية وصفه ولأنه استعمل كمصدر من قبل العديد من الكتاب فإننا نقتبسه هنا بالكامل: "تقع كركوك في سهل جميل خصب يزرع بالكاد، على إرتفاع قطبي ٣٥-٢٩ درجة. وهناك بقايا قليلة جدا من المدينة الواقعة عند أسفل تل صخري. والتل محاط بحائط أرضي يدعى الحصن لأن قوات الإنكشارية تقطنه. الحصن قذر جدا لم أر مكانا مثله في حياتي وكذلك المساكن في حالة سيئة جدا. هنا هناك ثلاثة مساجد ذات منارات، ولكن واحدا منها مميز بفضل وجود قبور الأنبياء دانيال، ميشيل، حنانيا وعازريا فيه. اليهود لا يشككون في أن هؤلاء الأنبياء مدفونون هناك فعلا. ولكن المسلمين لا يسمحون لهم بدخول المساجد والصلاة قرب تلك القبور.

هناك تقريبا أربعون كلدانيا أو نسطوريا في كركوك انضموا الى الكنيسة الرومانية. ولما سمعوا بوصول أوروبي إلى المدينة، بادر البعض منهم فورا بزيارتي وبدت عليهم البهجة للقاء رجل من المدينة الأبدية وأصروا على بقائي هناك بضعة أيام أخرى. كان هؤلاء يشككون من عناد المسيحيين الشرقيين الآخرين غير المستعدين للتخلي عن أخطائهم القديمة والاعتراف بالبابا ككاهن السيد المسيح. فنصحت هؤلاء الناس الطيبين بتحمل المسيحيين الآخرين بصبر، دون إعلامهم بأنني نفسي لست من أتباع مذهبهم.

بصورة عامة تبينت بأن المسيحيين الشرقيين يساعد بعضهم البعض لكنهم جميعا لا يطيقون الرومان الكاثوليك. وكان كل الذين حولهم الرهبان الأوروبيون والبعثات التبشيرية ألد أعداء الذين لا يريدون التخلي عن كنيستهم القديمة.

يسكن كركوك باشا ذنبي حصان، هو لا يعيش في المدينة بل في الجانب الآخر من النهر وأرضه محدودة جدا. أما بقية حكومة شهر أصول العظيمة الممتدة على طول الطريق من طاووق إلى أربيل فتبع، كما أسلفت، بغداد في الوقت الحاضر. ذللم يبذل نادر شاه جهودا كبيرة لإحتلال المدينة ذات الحصن، لكن بما أنه لم يكن سعيدا جدا في الموصل فقد اضطر للإسحاب، فخسر الكثير من جراء ذلك. عثرت على العديد من القنابل في الطريق كان الفرس قد خلفوها وراءهم قبل عشرين سنة.

في هذه المنطقة طواحين كثيرة، وهذا يوضح نقل كميات كبيرة من الطحين من هنا إلى

(١٩) أنجيلو لجرنزي، ١٧٠٥، ص ٧١.

بغداد، بينما تستورد التمور و سلع أخرى من البصرة. وقد قيل بأنه توجد قرب كركوك ينابيع يخرج منها القار. وهناك موقع اسمه باباكركر وهو أكثر المواقع تميزا حيث الأرض ساخنة جدا بحيث يمكن غلي البيض واللحم عليها. وكل ما تحتاجه هو حفر حفرة ووضع قدرك فيها. ويقال بأن النيران يمكن رؤيتها هنا ليلا، هذا ما أخبرني به أشخاص زاروا هذا المكان<sup>(٢٠)</sup>.

ويقدم أوليفير وصفا مفصلا للمدينة، أخذنا تقرير نيبور في الحساب:

"مثل أربيل، تقع كركوك على تل وسط سهل واسع وهي محاطة بجدار دفاعي وحامية إنكشارية قوية. يسيطر باشا بغداد على متسلم<sup>(٢١)</sup>. جزء المدينة يقع في أدنى التل.

كانت كركوك لوقت طويل جزءا من باشوية (باشالق) شهزور لذلك كان هناك باشا بذيلين. لكن في الوقت الحاضر يوجد في كركوك متسلم معين من قبل الباشا، بينما شهزور وكل الأراضي الواقعة شرق دجلة والزاب الكبير وكردستان فهي جزء من باشوية بغداد.

ربما تكون هذه المدينة قد إحتلت مكان مينس القديمة، سنتحدث عن تخميننا هذا فيما بعد. يذكر كوينتوس كرتيوس أنه بينما كان وجيشه في الطريق إلى بابل، وصل الأسكندر الكبير من أربيل إلى مينس في أربعة أيام. مينس مدينة رائعة بفضل كهفها الذي تتدفق منه كمية كبيرة من القار الذي تذكر الروايات التقليدية أن جدران بابل قد دعمت به. وفي الحقيقة فإن القار جاء من منطقة كركوك كما ذكرنا.

وصلنا الى كركوك على ظهور الخيل قادمين من أربيل في خمس عشرة ساعة (...). في المنطقة لا توجد آثار ولا مواقع أفضل موقعا من كركوك. لذا يمكن أن يكون التل مستوطنة مدنية هامة منذ عصور قديمة. منذ مغادرتنا الموصل استخدمنا البترول للإضاءة، حيث يتم تليل بالات من القطن الخام يصب القار من قدر عليها. ورائحة هذه الشعلة لا تطاق في غرفة ما لم توجد فتحة في الجدار لخروج الدخان. وتصنع كتل من روث البقر الممزوج بالقش والقار تستعمل في الإضاءة والطبخ. وتضاء الطرقات بقطع القماش القديمة المنقوعة في النفط<sup>(٢٢)</sup>. في ١٨١٨ قدم الدومنيكي جيوسيب كامبانيلي وصفا تفصيليا عن منطقة كردستان بأكملها. وذكر كركوك ضمنها لأن المدينة كانت تقع في الماضي ضمن منطقة نفوذ إمارة بابان (ص ٥١-٥٣) وكذلك بسبب علاقاتها التجارية بمدينة (عقرة) الكردية حيث عاشت قبيلة زيباري المحاربة القوية (ص ٣٤)(٢٣).

(٢٠) بالفرنسية.

(٢١) المتسلم كان نائب حاكم سنجق.

(٢٢) بالفرنسية.

(٢٣) جوسيب كامبانيلي، ١٨١٨، الص ١٦-١٧.



وصف جيتانو موروني كركوك في كتابه (ديزياناريو) على أنها "البلدة الرئيسة لسنجق، تقع على تل يتوسط سهلا. المدينة لها حصن يحميها فوق جبل شديد الانحدار، وفي أسفله يجري كركوك صو. واحد من المساجد مشهور لأنه يشاع أنه يضم قبور دانيال ورفاقه، لكن الأتراك لا يسمحون لليهود بزيارة المكان. وها هنا يعيش معا الأتراك، الأرمن، النساطرة والكرد... وهناك تسع كنائس وأكثر من ١٧٠٠ كاثوليكي" (٢٤).

ويمكن العثور على وصف مقتضب للمدينة في كتابات بوجور "... يمكن الوصول الى سيريا عبر الجداول من حيث تمكن رؤية تدفق النفط. في المنطقة بأكملها تجري الإضاءة بواسطة مصابيح من القطن المنقوع في هذا القار. ومثلها مثل أربيل، تقع كركوك على تل يقع في منتصف سهل جميل ينتج كل أنواع الثمار. قد يبلغ عدد سكان هذه المدينة ما بين خمسة إلى ستة آلاف ساكن، وهي محاطة بجدار بسيط ذي منافذ" (٢٥).

أما بكنغهام فيقدم أحد أكثر الأوصاف تفصيلا عن كركوك:

"إنها تتكون من ثلاثة أجزاء متميزة، لكل منها حجم يعتد به" (٢٦). أحد هذه الأجزاء هو أساسا تل اصطناعي عال وشامل على المنحدر المائل، مثل الذي سبق وصفه في أربيل. تقوم على هذا بلدة محصنة، أكثر منها قلعة، ضمن الجدران التي تضم عدد كبيرا من المساكن، ومآذن ثلاثة مساجد تمكن رؤيتها من تحت تعلو فوق بقية البنايات. وقد قيل أنه لا يحق إلا للمسلمين بالسكن هناك، وعددهم قدر بما بين خمسة وستة آلاف لكن هذا التقدير مبالغ فيه. الجزء الثاني، ومع كونه تابعا بالنتيجة حسب رتبة القاطنين فيه، فإن أهميته دفاعية وهو الجزء الأكثر سكانا من بين الأجزاء الثلاثة. هذا الجزء ينتشر على السهل عند قدم القلعة، ويوجد فيه الخان الرئيس، المقاهي، الأسواق، الخ، ولا ترى فيه إلا مآذن مسجدين فقط، لأن سكانه ليسوا جميعا من المحمديين، بل يحتوي خليطا من الأرمن، النساطرة، والمسيحيين السوريين. يبلغ عدد سكان هذا الجزء حوالي عشرة آلاف نسمة، والمقبرة فيه كبيرة تحتل مساحة من الأرض تعادل مساحة قرية متوسطة الحجم.

الجزء الثالث يبعد نصف ميل عن الجزعين السابقين، وفي بيت في هذا الجزء حصلنا على مكان نتوقف فيه للنوم بعيدا عن حرارة ذلك اليوم المحرقة. هذا الجزء أصغر وأكثر تفرقا من

(٢٤) كركوك في: جيتانو موروني، ١٨٤٦، الص ١٦-١٧.

(٢٥) بالفرنسية.

(٢٦) يقول راوولف عن هذا: "بعد سبت اليهود، انتهت إقامتي ورفاقي، ومضينا في طريقنا من جديد، ووصلنا في ٢٦ ديسمبر/كانون الأول إلى كركوك المدينة الرفيعة المجيدة، القابعة في سهل، في بلاد خصبة جدا، وعلى مسافة أميال أربعة تلة أخرى، وسيجد رفاقي عملا في كلاهما، ولذا أمضينا يومين قبل أن نواصل المسير" ص ١٦٢.

الجزعين الآخرين من البلدة، ولا يستطيع إضافة أكثر من ألف إلى العدد الإجمالي لسكان كركوك، الذي قد يبلغ إجمالاً خمسة عشر ألف نسمة.

كان هذا أول مكان رأينا فيه الأشجار منذ مغادرتنا الموصل، وهنا كان انتشار النخيل يفوق أي شجرة أخرى. سمعت أنه يوجد في هذا المكان أكبر عدد من ينابيع النفط، في ضواحي كركوك حيث الأرض التي تنبعث منها ألسنة اللهب، وكلاهما يعتبره السكان من المعجزات التي لا توجد في أي مكان آخر في العالم، ومن فضل الله على تربتهم. وقد قيل بأنها تتواجد بصورة رئيسة بين التلال الصخرية التي مررنا بها عند منتصف الليل على طريقنا من آلتون كوبري إلى هذا المكان، لذا لم تتسن لي فرصة رؤيتها.

خلال استكشاف البلدان المحاذية لدجلة والفرات بعد اجتياز الزاب، وما زال الكلام عن التوجه صوب البحر، يقول دي أنفيلي إن البلاد التي تقع على الشاطئ الأيسر أو الشرقي يدعى كرم، الذي يعتقد بأنه يسهل فيه إكتشاف جرمايا، البلاد التي أسماها بتوليمي على أنها تقع ضمن أراضي الإمبراطورية الآشورية، قرب منتصف المسافة بين الشمال والجنوب<sup>(٢٧)</sup>. وفي تحقيقاتي عن هذا الاسم لم أعثر على تأكيد مقنع على أن الاسم أطلق على هذه البلاد، وكل ما حصلت عليه نتيجة تحقيقاتي هو الرواية الشعبية دون أن أحصل على شيء عن التاريخ أو الجغرافية. ومع ذلك يحتمل أن كارخ، أو كارخا، التسمية التي أطلقت من قبل أميانوس مارسيلينوس وسيموكاتوس، اسم كارخ الحالي، قرب سامراء، على ضفاف دجلة، إلى الجنوب.

وأن كارخا هي أقرب إلى نينوى التي تحدث عنها ماسيوس وأورتيليوس والتي انفصلت عنها الأخيرة لتصبح كركوك الحالية، التي يعتقد عموماً أنها ديمترياس سترابو وكوركورا بتوليمي. الأجزاء الثلاثة من البلدة كبيرة بما يكفي للإقرار بالإعتقاد أنها يمكن أن تكون حضرية في أوقات تالية، وأطلق اسمها على المنطقة في الفترات السابقة، وإن كانت قائمة فربما هي كرم أسيماني، التي مازالت البلدة الأكبر في كافة أنحاء السهول إلى شرق دجلة. بينما، من الناحية الأخرى فإن وجود قلعة على تل مرتفع، كاف للاعتقاد بأنه كان حصن بريد يتمتع بالأهمية، وهناك احتمال بنفس القوة وهو كونها محطة عسكرية رومانية أثناء وجود قواتهم هنا. في كل الأحوال، يمكن أن يبقى القليل من الشك حول ما اذا كانت هذه كركوك التي ذكرت من قبل الجغرافي الفرنسي في المحطات القديمة، عند مقارنة التفاصيل بتلك التي الموجودة في الحقيقة قرب هذه البقعة<sup>(٢٨)</sup>.

(٢٧) بالفرنسية.

(٢٨) بالفرنسية.

يتحدث تيبولوس في مراثياته<sup>(٢٩)</sup>، عن أرض إرك، إحدى المدن أسست من قبل نمروذ على ضفاف دجلة، وفي أرض شينار حيث الينابيع المنتجة للنفط، التي يسميها الشاعر "مياه قابلة للاحتراق من أرض إرك"، كتلميح محتمل إلى بعض المعلومات المعروفة في وقته عن هذه الينابيع، إذ أن جغرافية بلاد بابل وإمبراطورية آشور كانت معروفة دائماً بشكل شعبي عند المتعلمين الرومان، والتي كتبت بعد فتوحات الإسكندر في الشرق<sup>(٣٠)</sup>.

لدى عودتي إلى البيت حيث رفع التتر، وجدت حشداً كبيراً بدا وكأنه ينشد الترفيه من رقص دب. كان حيواناً أشعث أبيض كبيراً، جلب من قبل الكرد الذين يعرضونه، من الجبال الثلجية المحيطة ببلادهم على مسافة أربعة أيام إلى الشرق. وقالوا بأن هذه الحيوانات نادرة جداً بين تلالهم، والسماح بعرضه بدا إشارة ضمنية إلى أنه كان مخلوقاً لا يرى كثيراً هنا<sup>(٣١)</sup>. ومن خلال تقرير دليلي، المصحح بشهادات آخرين إستجوبتهم بشأن الموضوع نفسه، علمت أنه يوجد في كل من الأجزاء الثلاثة المكونة لكركوك عشر مساجد، و٢٤ مقهى، ١٠ خانات، وحمامان عامان وأربعة أو خمسة من أماكن العبادة المسيحية. البلدة خاضعة لباشا بغداد، وضواحيها خصبة بما فيه الكفاية لإنتاج يعتد به. والحاكم واحد من أتباعه المقربين، ومعه عدد من الجنود يكفي لدفاعه الشخصي<sup>(٣٢)</sup>. قام وليام أينسورث بمسح لتعزيز المعلومات المتوفرة الميزات الجغرافية لكردستان وجوارها لصالح الجمعية الجغرافية الملكية<sup>(٣٣)</sup>. فوصف جيولوجياً جنوب كردستان كالأتي "تقدم الماء العذب من بين أحجار كلس، جبس، جبس كلسي، ورمال وأحجار رملية، إضافة إلى القار، النفط، الكيريت، وخزائن ملح. وهي

(٢٩) بالفرنسية.

(٣٠) النفط مذکور كتكثر في بلاد بابل، وقيل للاستخدام كقار سائل. وهناك إصرار على الصلة بينه والنار، يقول بلييني إن ميديا أحرقت محظية زوجها. وأنها تبللت به وعندما إقتربت من المذابح للتضحية احترقت.

(٣١) وحش بري هو الأكبر تقريبا في هذه البلاد في أيام سيروس الأكبر وشكل اصطياده جزءاً هاماً من تعليم الأمراء والنبلاء في بلاد فارس.

(٣٢) جي. إس. بكنغهام، الرحلات في بلاد ما بين النهرين. بضمن ذلك رحلة من حلب، عبر الفرات إلى أورفا، (مدينة أور الكلدان) عبر سهول التركمان، إلى ديار بكر، في آسيا الصغرى، من هناك إلى ماردين، على حدود الصحراء العظيمة، ومن خلال دجلة إلى الموصل وبغداد: البحث على خرائب بابل، نينوى، أربيل، قطيسفون، وسلوقيا، (لندن: هنري كولبورن، ١٨٢٧)، ٢٣٦-٢٣٩.

(٣٣) "أوامر مجلس الجمعية الجغرافية الملكية في لندن معنونة إلى زعماء بعثة الإستكشاف في كردستان. الأول من يونيو/ حزيران ١٨٣٨". مجلة الجمعية الجغرافية الملكية في لندن (لندن)، الجزء التاسع، ١٨٣٩، جزء ثاني (جون موراي) الصفحات ١٣ و٢٢.

تحتوي النافورات المحترقة لأبي ككر أو كركوك بابا، عند إرتفاع ٥٤٣ قدما<sup>(٣٤)</sup>. ويحلل الجيولوجي بالتفصيل "تركيبة الخزين الكلسي في أبي ككر حسب تسمية العرب، كركوك بابا حسب تسمية الأتراك، وكلاهما يعني أبو الغليان، وهو موقع مميز لعرض النيران، الذي يبدو وكأنه كان موجودا منذ فترات غابرة، أبعد بكثير عن الوقت الذي لاحظها فيه سترابو.

حجر الكلس في هذه النقطة غلب كليا المرمر والجبس، وتتمركز النيران في هذا التشكيل إلى حد ما مقترية من قمة الحافة. الطبقات ليست على عمق عام واحد، لكن المنحدر تقريبا يتخذ من نفس النقطة مركزا مشتركا، دون أن يترك خطأ محدا متميزا..."<sup>(٣٥)</sup>.

لاحظ المقدم جي شيل، أنه على "ثلاثة أميال قبل الوصول الى كركوك عبرنا عدة حفر نפט، التي نشرت رائحة منتنة إلى مسافة كبيرة. النفط يستعمل في كركوك للإنارة والنار. كركوك بلدة مفتوحة كبيرة في سهل، ومثل كل البلدات في هذا الجزء من العالم هي جزء عظيم من أطلال: الطاعون، المجاعة، وأنا أعتقد أن الكوليرا حطمتها تقريبا. وبالقرب منها حصن بني على تل، ليس عاليا لكنه وعر جدا. ويقال أنه لا صناعات فيها ماعدا نوع من قماش ملون خشن، لكن هناك تجارة رائجة للجوز الذي يجلب من جبال كردستان. نهر كركوك المسمى خاصة جاي، كان جافا حينها: هنا رأينا، للمرة الأولى النخيل التي كانت سنتذكرنا، إن كان ضروريا، بأننا كنا الآن في مناخ حار جدا. السكان عرب وعثمانلية، مع بعض المسيحيين واليهود، لكن لا كرد. تلبس النساء عمائم هائلة، لها تأثير غريب جدا على شخص لم يعهد رؤية الإناث في الشرق بغطاء الرأس ذاك"<sup>(٣٦)</sup>.

بني كارل ريتير، بحثه المفصل عن كركوك على أوصاف رحالة معاصرين (نيبور، شيل، كير بورتر وأينسورث)<sup>(٣٧)</sup>:

"لم يبق كم المدينة القائمة عند أسفل تل وعر إلا القليل جدا. وطبقا لنيبور، فإن التل حصن ذو حامية قوية. وقد فتح من قبل نادرشاه بجهد صغير بعد أربع وعشرين يوما من الحصار المستمر. المكان قذر. وهناك ثلاثة مساجد ذات مآذن، في أحدها توجد قبور الأنبياء دانيال،

(٣٤) ديليو. إف. أينسورث، بحوث حول الإمبراطورية الآشورية، بلاد بابل، وكالديا، تشكيل جزء أعمال بعثة الفرات (لندن: جي. ديليو. باركر، ١٨٣٨)، ٢٧.

(٣٥) المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٣٦) العقيد جي. شيل، "ملاحظات على رحلة من تبريز، خلال كردستان، عبر وان وبتليس وسعيرت وأربيل الى السلمانية، في يوليو/تموز وأغسطس/آب، ١٨٣٦"، مجلة الجمعية الجغرافية الملكية في لندن، الجزء الثامن (١٨٣٨): ص ١٠٠.

(٣٧) كارل ريتير، ١٨٤٠، الص ٥٥٢-٥٥٨.

ميشيل، حنانيا وعازريا. في عهد نيبور كانت هناك أربعون من عوائل الكلدان والنساطرة عاشوا هناك وإعتبروا أنفسهم موحدين. (...)

عاش في كركوك ولوقت طويل<sup>(٣٨)</sup> ابن لعميد جنوي أمر ببناء العديد من البنايات. أبوه، جيكال<sup>(٣٩)</sup>، كان سجيناً في القسطنطينية، وأسلم ثم اكتسب لاحقاً لقب باشا بالاسم المشهور جقاله زاده<sup>(٤٠)</sup>.

وجد كير بورتر في كركوك الكثير من السكان، ما بين ١٠-١٢ ألف تركي وكرد وعرابي وأرمني ويهودي، واعتبرها إحدى أهم مدن جنوب كردستان. في زمن نيبور كان ثم العديد من الطواحين التي تعمل لتجهيز بغداد بالطحين مقابل التمور والسلع الأخرى.

وتحدث كير بورتر عن إنتاج كمية كبيرة من النبيذ والعرق، ومعظم الشراب المنتج يستهلك هناك على الرغم من وجود مجتمع مسلم<sup>(٤١)</sup>.

في الفترة عينها يكتب هوراشيو ساوثغيت:

"المكان له نفس المظهر الخارجي لأربيل، التي مررنا بها في اليوم التالي. يقع جزء منه على القمة المستوية لتل يبلغ ارتفاعه بين ١٠٠ و ١٥٠ قدماً، ومحيطه يتراوح بين ميل واحد وميل ونصف الميل. هذا الجزء تحيطه جدران، وجوانب التل وعرة جداً لا يمكن توغلها إلا من خلال طرق مائلة. أما بقية البلدة، وهي الجزء الأعظم، فتقع في السهل عند أسفل التل على الجوانب الجنوبية والشرقية له. هذه المرتفعات الكثيرة جداً في هذه المنطقة وصولاً إلى الغرب حيث ماردين، إصطناعية بلا شك، وبنيت لأجل برودة أكثر وأمان أعظم. قال ضابط في أربيل بأن التل الذي تقوم فوقه المدينة قد بني من كميات كبيرة من الطابوق. خارجياً، كل التلال مغطاة

(٣٨) يقول بيترو ديلا فايل أنه خلال رحلته إلى بغداد حظي بضيافة في قصر ضخم لمحمد باشا الذي أصبح باشا بغداد مرتين ويلقب جقال أوغلو.

(٣٩) هو في الأصل "Cicalla".

(٤٠) هو في الأصل جقالزاده يوسف صنعان باشا (١٥٤٥-١٦٠٥) ويعرف أيضاً باسم جقال أوغلو ينحدر من عائلة بارزة في جيكال. ولد في مسينا بصقلية وحصل على الاسم المسيحي سيبليون سيكال. أسره المسلمون في البحر في ١٥٦١ وأخذ إلى أسطنبول حيث أسلم وتمرن في القصر الامبراطوري. ومن خلال زواجه بواحدة من حفيدات السلطان، ضمن لنفسه الثروة والجاه والحماية. وتنقل بين المناصب الأغوية في البلاد، ورافق السلطان محمد الثالث في الحملة الهنغارية في ١٥٩٦. توفي في دياربكر التي كان ابنه محمد حاكماً لها في ١٦٠٥. أنظر ف ج باري "جقالزاده".

(٤١) كارل ريتز، ص ٥٥٣.

بالتراب. وهي ليست على قدر قليل من الأهمية كمواقع قوية فقد اضطر محمد علي مرزا الكرمنشاهي، عند إحتلاله هذه البلاد، أن ينتظر عشرة أيام قبالة كركوك، ثم رحل وسافر بعد أن يئس من التمكن من احتلالها. أنا لم أصعد إلى الحصن، لكن جزء البلدة القائم في أسفل الحصن يضم حوالي ١٥٠٠٠ شخص، بينهم عدد كبير من اليهود. هناك أيضا حوالي خمسون من عوائل الكلدان في المكان، كانت أولى التي سمعت عنها منذ غادرت بغداد.

ركبنا خلال الأسواق، التي يطغى عليها باعة القماش، واستأنفنا مسيرتنا شمالا وصعدنا التلال، تلال الكبريت المذكورة أعلاه. في نهاية ساعة من المسير، قمنا بإلتفاف لزيارة بقعة طالما حصلت على معلومات عنها، تمكن فيها رؤية النار وهي تتدفق من الأرض في عدة أماكن. بعد بضعة دقائق صعدنا مرتفعا صغيرا لنجد أمامنا انبعاث نيران من مجموعة فتحات صغيرة في الأرض. كان عمق الفتحة الواحدة حوالي ست بوصات، من الواضح أن يد الانسان حفرتها. كان اللهب، كما إكتشفنا حالا من خلال اللون والرائحة ينبعث عن احتراق الكبريت. ولدى قلب التربة في بعض مواقع هناك تبين لنا أنها غنية به، وعند حفر فتحات جديدة قرب الفتحات المحترقة، إنفجرت نيران جديدة حالا. لا شك أن اتقدت أول مرة عن طريق الصدفة، ولكنها استمرت الاشتعال فوق السطح فقط بواسطة المزيد من الفتحات الجديدة الإفتتاحية. كان هناك العديد من الفتحات القديمة، احترق كل الكبريت الذي كان فيها وبقت التربة كلسا نقيا<sup>(٤٢)</sup>.

وحسب ليكلاما النيجيهولي:

"كركوك قديمة. يعتبرها بعض الكتاب (أوليفير، ريتز) مدينة مينس كوينتوس كرتيوس، التي توقف عندها الأسكندر في رحلته من أربيل إلى بابل. ويرى الكتاب الآخرون رأي دي أنفيل الذي يسمي المدينة بكرورا بتوليمي (١٤٦،١،٦) ... في الوقت الحاضر يوجد في كركوك ٢٠٠ الى ٣٠٠ مسيحي ومائة عائلة يهودية من بين ١٢-١٣ ألفا من سكانها. أحاطت الجدران التل (...). ذا الملامح القديمة، الآشورية ربما. في كنيسة قديمة، محولة إلى مسجد هناك قبر قيل بأنه قبر توماس غير المشهور، القائد العسكري التابع للملك شابور<sup>(٤٣)</sup>. وهناك عدة كنائس تعود إلى الأوقات المبكرة للمسيحية حولت إلى المساجد. إضافة إلى الكنيسة المرتبطة بذكرى النبي دانيال، هناك واحد أخرى يقال بأنها تحتوي قبر مريم العذراء المقدسة. هذه النصب

(٤٢) هوراشيو ساوثغيت، قصة رحالة في أرمينيا، كردستان، بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين لمراقبة أوضاع المحمدين والمسيحيين في تلك البلدان، الجزء الثاني، (لندن: تميل وبوغو، نيويورك: دي. أبلتن وشركاه، ١٨٤٠، الص ٢٠٨-٢٠٩.

(٤٣) توماس غير، قيل إن اسمه الحقيقي كان طهمازغرد. أو توهم يزغرد كان قائدا في نصيبين =

المختلفة التي بنيت من الحجارة ليس بها شيء مميز يستحق الزيارة. يمر عبر كركوك جدول صغير توسي جاي. وعلى الجانب الآخر للمدينة هناك السراي، قصر الحاكم، بسيط لكنه كبير ومريح على ما يبدو.

(...) من فوق أي تل يمكن أن ترى حفرة صغيرة، مسماة باباكركر، تتدفق منها النيران. وفي مكان قريب هناك آبار غنية بالنفط ومنها يمكن الحصول على القار اللازم لتغطية جدران بابل والمدن الآشورية الأخرى<sup>(٤٤)</sup>.

في النصف الأول من القرن العشرين، فإن الضابط البريطاني إي . بي . سون يقدم الوصف الذي ربما يكون الأكثر تفصيلا والأكثر روعة عن كركوك:

"المدينة التي يبلغ عدد سكانها ١٥٠٠٠ على الأقل هي واحدة من البلدات الثلاثية اللغة عند حدود كردستان. الكل فيها يتحدث التركية والعربية والكردية، واللغتان الأولى والأخيرة تستخدمان دون تمييز في الأسواق. (...) القوة التركية واضحة جدا هنا. ولكونها قريبة إلى بغداد، سبعة أيام، ولها سكان ناطقون بالتركية، فهي مؤهلة لتجهيز المدارس العسكرية بعدد كبير من الشباب، وهؤلاء عادة فتیان نصف متعلمين تجعل منهم تلك المدارس عاطلين أشرارا لا يمكن أن تراهم بدون زي رسمي. وفي النتيجة يحصلون جميعا على وظائف في البريد، البرق، الشرطة، أو الجمارك، أو ينضمون إلى صفوف الجيش الزائد عن الحاجة والمنفصل "كضباط"، ويعودون إلى مدينتهم المحلية للتسكع في المقاهي التي لا تعد، ويكسبون قوتهم بالإستبداد على عديم حظ يمكنهم موقعهم من إبتزازه وإضطهاده. لذا تجد كركوك ملأى بالأزياء الرسمية التي تضم حثالة البلدة، وحوش سكرانة في أغلب الأحيان تستنزف حياة المكان، وتفعل أي شيء لتعيش، فهؤلاء عادة لا رواتب لهم. على الرغم من هذه الكثرة من الشرطة، ما كنت أجزؤ على الدخول وحدي الى المنطقة المزدهمة من سوق كركوك حيث الغريب لا يلفت إنتباههم.

الهندسة المعمارية في هذا المكان عربية تماما، أما تأثير الفرس الملحوظ في بغداد، الموصل وديار بكر والمدن الأخرى من بلاد ما بين النهرين وسوريا فلا تجده هنا. مبان الحجارة الصلبة

---

= أرسل الى كارخا دي بيت سلوخ من قبل الملك الساساني يزيدجرد الثاني لقمع المسيحيين. حيث تأثر بصبر إحدى النساء المسيحيات، شيرين، على موتهم أبنائها وأقر بالإيمان بالسيد المسيح وفي ٢٥ سبتمبر/أيلول ٤٤٦ صلب هو أيضا. أصبح طهمازغرد الراعي الرئيس لكنيسة طهمازغرد التي بنيت في حوالي ٤٧٠ في كركوك. هذا الملجأ حطم بإنفجار في ١٩١٨ لأنه إستعمل كمستودع ذخيرة من قبل الأتراك. وأعيد بناؤه في ١٩٢٣، دون الالتفات الى تصميم البناية الأصلية. جان موريس فيي، ١٩٦٨، ص ٥١. هوفمان، الص ٥٠-٥١. إليويرت، ١٨٩٥، ص ٣١٩.

(٤٤) بالفرنسية.

لا جمالية لها، بضع مساجد ومآذن بسيطة بدون تزيين، وسوق مقوس هائل، يعكس الميزات المعمارية للمكان. السكان التركمان، أو بالأحرى التجار من السكان، أفضل بكثير مقارنة مع شعب بغداد والموصل. لا يعيرون الغريب اهتماما كبيرا، ولا إن كان يتلفت الى اليمين واليسار، ولا يزعجونه، كما هي الحال عند عرب المدن الأكبر. عند شراء الغذاء والسلع الأخرى في الأسواق، وجدت في كل مكان أمانة مدهشة ونية حسنة تجتذبات عطف الغريب، وهذا كان على الرغم من اعتباري فارسيا ومحمديا شيعيا من الذين لا يجدون عند السنة إلا القليل جدا من العطف.

يمكن أن أقتبس مثلا يبين كيف كانت هذه الروح المضيفة تظهر في أغلب الأحيان (...). هناك عدد كبير من الكلدان ومن المسيحيين السوريين، أهالي بغداد، وقليل من الأرمن أيضا هناك، يعملون في الدوائر الحكومية والتجارية، لكنهم مواطنون من ديار بكر أو أرمينيا. المستوطنة الكلدانية من العصر القديم جدا، هاجروا الى هنا، كما هو شائع عندهم، في عهد ألب أرسلان، في القرن الحادي عشر. إذا كانت كركوك، كما يحكي سكانها، من مخلفات ملوك سلجوق، فهذا محتمل. وبخلاف كلدان الموصل لم ينس هؤلاء الكتابة السريانية، وبينما لا يتكلمون غير التركية، فإنهم يستخدمونها في الكتابة بينهم. فقط الكلدان الذين يعيشون بين الكرد، احتفظوا بلغتهم لفظا وكتابة. وفي الموصل، حيث تعتبر جزءا من التعليم جيدا لمعرفته، فإن استعمالها أقل شيوعا، وعلى المرء أن يذهب إلى القرى ليسمعها تستخدم كلغة تخاطب. هناك كنيسة في كركوك تدار من قبل الكهنة من الموصل. والكلدانيين، كغالبية الذين يعيشون ضمن الأراضي التركية، رومان كاثوليك، حيث ماتت الكنيسة الكلدانية القديمة تحت الإعتداءات العديمة الضمير للكاتوليك الرومان، التي تابعت سياسة مكافيلية في إخضاع الكنيسة القديمة إلى الولاء البابوي، التغيير الذي لم يكن إلا الى الأسوأ<sup>(٤٥)</sup>. في كركوك لا يتعرضون الى الإضطهاد، على الرغم من الجهود الدورية لرجال الدين المسلمين للتحريض ضدهم. ووجود هؤلاء ضروري جدا لجعل أي مذبحة محتملة لا شيء سوى كارثة للتجار المحمديين، الذين كانوا يستخدمونهم لضمان سلامتهم ويثقون فيهم ثقة عظيمة، وفي أغلب الأحيان يودعون مبالغ كبيرة لديهم. هذه الأمانة، والقدرة على التواصل مع المسلمين بالتفاهم ناجم عن سلوكهم كمسيحيين ملتزمين، يختلفون كثيرا عن الأرمن، السوريين، والمسيحيين العرب.

(٤٥) خشية أن يكون هذا البيان يبدو لا مبرر له، دعمه برأي الكلدانيين بأنفسهم. فهم في أكثر الحالات مدركون للظروف التي تحول فيها غيرهم إلى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وقلما يعلقون على الموضوع بل يكتفون بإظهار أسف عميق، إذ يعرفون الآن بأنه كان محتمل أن يكون عندهم التعليم المقيم دون تفكك كنيستهم، فقد أبلغهم بذلك رئيس أساقفة كانتربري.



وتميزهم الأكمام وأغطية الرأس وقمصانهم، حيث يرتدون سترة مخططة طويلة تبلغ كعوب أحذيتهم، وسترة الزواوي أو "سلطه"، على أية حال، هم لا يتزينون بعمل اللفيفة من الذهب والفضة كما يفعل الكرد.

أكمام قمصانهم تحيط الرسغ، ولا تظهر تحت الأكمام الطويلة لسترتهم، بينما غطاء رأسهم فهو عبارة منديل أزرق يلف حول طاقية، يلبس واسعا وبدون تغيير، يحيط الرأس مباشرة، لا يبرز كعمائم المسلمين.

حتى السنوات الأخيرة كان يتم تمييزهم بملابسهم المخططة الصفراء الفاتحة، وقد أجبروا دون شك على إختيار ذلك اللون في العصور الوسطى المبكرة من قبل خلفاء بغداد، الذين أمروا جميع الكفار بارتداء لباس متميز، اختير له اللون العسلي عادة.

في كركوك هناك مستعمرة كبيرة من اليهود، هم أول من تجد من ذلك الجنس المنتشر من هنا شرقا خلال كل كردستان وصولا الى سنندج في كردستان الفارسية وهمدان.

قد يكون هؤلاء أحفادا مباشرين من يهود الأسر الثالث<sup>(٤٦)</sup>، الذين نقلهم نبوخذنصر إلى بلاد بابل في القرن السادس قبل الميلاد مباشرة بعد سقوط الإمبراطورية الآشورية.

يستعملون اللغة الآرامية، وفي كردستان يتكلمون العبرية، والمثير هو أن الكلدانيين في سنندج في كردستان واليهود في نفس المكان، رغم مرورهم بالعهد المختلفة، يتكلمون تقريبا بالضبط اللهجة السامية القديمة نفسها وهذا برهان قاطع على الأصل السامي للكلدانيين إن كان هناك من يريد إثبات ذلك.

في كركوك، كما في كل كردستان، الجزء الرئيس من السكان من تجار الجوخ والقماش، فتجارة قماش القطن والقماش المطبوع هي كليا في أيديهم. ويرى أخوتهم في الدين في بغداد أن قطن كردستان مجهز من مانجستر من قبل يهود بغداد القاطنين هناك.

وهكذا فإن كركوك عبارة عن مجموعة من كل أجناس شرق تركيا، يهود، أرمن سوريون عرب، كلدان، ترك، تركمان، وكرد، متحررة الى درجة كبيرة من التعصب. وإضافة إلى أنها تحكم بقوة من قبل حاكم تركي ذي قوة عسكرية كافية، كان الكرد القسم الصعب الوحيد من السكان، بإحتقارهم لكل القواعد والأوامر التي لا تصدر من خاناتهم. لسوء الحظ هذه الحالة الممتازة لا تمتد لأكثر من ميل أو إثنين خارج البلدة، حيث العرب والكرد يصلون ويجولون متى شاؤوا ويتحدون الكل.

---

(٤٦) "في السنة الثالثة من عهد يواكيم ملك يهودا جاء نبوخذنصر ملك بابل إلى القدس، وحاصرها. ووضع نبوخذ نصر، يواكيم ملك يهودا تحت يده مع جزء من سفن بيت الله حملهم إلى أرض شينار." دانيال ١: ١-٢.

في الأسواق قد ترى من حين لآخر لمة من السمر، يتكلمون لهجة لا يمكن لأن يميزها الا المسافرين الى جنوب غرب بلاد فارس. هؤلاء هم اللر الفيلية، من رعايا الدولة الفارسية، الذين يضمن حضورهم وجود القنصل الفارسي هنا<sup>(٤٧)</sup>.

في ١٩٣٧، يصف أرنالدو جيبيولا أبار النفط و كركوك "كل الأديان ممثلة في كركوك، إنها مكان إجتماع الأجناس المختلفة: الكنائس الكلدانية، آباء نسطوريون، معابد يهودية، مساجد وحتى عبدة شيطان، الإيزدية من الجبال التي فصل صحراء سوريا عن العراق"<sup>(٤٨)</sup>.

يكتب الضابط البريطاني سيسيل جون إدموندز الوصف المفصل التالي:

"مدينة كركوك مبنية في جزء منها على التل المستطيل العظيم الذي يرتفع حوالي ١٢٠ قدم فوق مستوى السهل وجزؤها الآخر عند قدمه على ضفتي خاصه جاي. النصف الغربي للتل كان خرائب في معظمه والعوائل المسلمة البارزة تقطن في بيوت حديثة نسبيا. لكن الحي المسيحي على الجانب الشرقي مازال مسكونا وفي حالة جيدة، بعدة بيوت كبيرة ترتفع، مثل حيطان مدينة محصنة، من الحافة ذاتها من المنحدر الحاد. من بين العديد من المساجد، التكايا، أضرحة وأنصاب أخرى في البلدة تجدر الإشارة هنا فقط الى اثنين: القبر المزعوم لدانيال والبرج الثماني الأضلاع القديم من عهد سلجوق. الرواية التقليدية بخصوص شكله ترتبط بالطبع "بالفرن الناري المشتعل"، النيران الدائمة للنفط التي تشتعل بالغاز في موقع يدعى باباكركر حوالي ميلين شمال غرب البلدة وقرب أبار يدوية ضحلة بدائية لصناعة النفط التي إزدهرت هنا منذ أيام هيرودوتس وفي وقت سابق. الثاني، طبقا للنقش، نصب بني تكريما لسيدة نبيلة سميت بوغداي خانم، لكنه يستغل الآن بصورة رئيسة من قبل شاغلي البيوت المجاورة حيث تعرض على سطحه المستوي كتل من الروث للتجفيف للوقود. بموجب أولى المعاهدات الحدودية في ١٥٥٥ أصبحت كركوك تابعة للعثمانيين، لكن تم إحتلالها بشكل مؤقت من قبل الفرس على الأقل مرتين أثناء حروب القرنين التاليين، في ١٦٢٣-١٦٣٠ من قبل الشاه عباس وفي ١٧٤٣-١٧٤٦ من قبل نادر شاه.

لدى كتابتي هذه، يقدر عدد السكان بحوالي ٢٥٠٠٠، (...). في القرن الثامن عشر كانت كركوك مركز المحافظة العثمانية (إيالة) شهرزور، التي تشمل لواء كركوك الحديث، أربيل والسليمانية (إسميا)، تحت متسلم عين من قبل بغداد، ضمن إصلاحات مدحت باشا، والتي بغداد من ١٨٦٩ إلى ١٨٧٢. أطلق اسم شهرزور على سنجق كركوك (يقابل لواء كركوك

(٢٧) إي. بي. سون متنكرا إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان، الملاحظات التاريخية عن القبائل

الكردية وكدانيي كردستان، (لندن: جون موراي، ١٩٢٦) (الثاني)، ص ١٢٠-١٢٤،

(٤٨) أرنالدو سيبولا، ١٩٣٧، الص ٥٤-٥٥.

وأربيل الحاليين) بينما شهرزور التاريخية فتقع خارجا في سنجق السلمانية الجديد. شكلت ولاية الموصل في ١٨٧٩، وبقيت كركوك بلدة حامية مهمة، ولأسباب تتعلق باللغة والتركيبة العرقي للسكان، كانت مركز تجنيد هاما للموظفين الحكوميين والجندرمة تعتمد عليه الإدارة العثمانية. العوائل الأرسوقراطية البارزة أما كانت من الأتراك الحقيقيين، وحتى إن كانت اصولها كردية، فقد إعتبرت أنفسها تركية. أهم هذه العوائل كانت: نفطجيزاده التي كما يشير إسمها، إمتلكت وإستغلت النفط القديم، ويعقوبيزاده وهم ملاك أراض وهم أصلا من عشيرة زنكنه الكردية، وقيردار التي تتألف من ملاك الأراضي والتجار. بالإضافة كان هناك عدة جنود وموظفون حكوميون ليسوا من العوائل العريقة والغنية، بلغوا مراكز عليا في الخدمة العثمانية وعادوا إلى محافظتهم المحلية بعد تجزئة الإمبراطورية. أبرز الكرد كان سيد أحمد خانقا، من عائلة برزنجه، لكنه بخلاف الأغلبية النقشبندية، أبقى الباب مفتوحا في تكية موهوبة ولا يمارس تأثيرا عظيما بشكل مصطنع على مواطنيه الفلاحين، الذين يشكلون المجموعة العرقية الأكبر في اللواء ككل.

تحت الإمبراطورية الساسانية كانت كركوك مركزا للنساطرة، حيث كرسي الأسقف الحضري لبيت جرمي. هذه الجالية القديمة تمثل الآن من قبل حوالي ١٥٠ من عوائل الكلدان أغلبها، كما ذكرت، تعيش في إحدى أقدم الأحياء على التل. هم كانوا برئاسة إستيفان جيري، الذي مازال يحمل اسما من أسماء القدماء، ومن قبل ثلاثة تجار كبار وملاك أرض مسيحيين هم ميناس غريب وقسطنطين وتوما هندي الذين يحظون بتقدير كبير، وكان الأول عضوا في المجلس الإداري المنتخب وهو هيئة كان لها دور كبير في أيام الأتراك لكنه بدأ يفقد استقلالته تحت الإدارة العراقية الأكثر مركزية.

وحتى الحرب يمكن لهذه الجالية أن تفخر بحمايتها أقدم كنيسة مسيحية على وجه الأرض، كنيسة شهداء القرن الخامس التي بنيت تخليدا لذكرى ضحايا قمع الملك الساساني يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧)، فقد استخدمها الأتراك كمخزن للعتاد تم تفجيره وتدميره تماما مع انسحابهم في العام ١٩١٨.

كانت الجالية اليهودية أدنى شأنًا من المسيحيين، لدى مقارنتهما بصورة عامة من قبل التجار. وكان على رأسهم الراباي وتاجر اسمه إسحق إفرام، الذي أصبح فيما بعد النائب اليهودي في برلمان الموصل. كما كان رئيس مديرية مالية اللواء، عزيز أفندي، الذي عرف بكونه موظفا كفوًا مشهودا له بالنزاهة من اليهود المحليين أيضا<sup>(٤٩)</sup>.

(٤٩) سي. جي. إدموندز، كرد وترك وعرب. سياسة وسفر ويحث في شمال شرق العراق ١٩١٩-١٩٢٥، (لندن: مطبعة جامعة أكسفورد، ١٩٥٧)، ٢٦٤-٢٦٧.

في نهاية هذا البحث أود الإشارة الى أن وجود المسيحيين واليهود يجب أن يؤخذ في الحسبان لأنه طالما كان عطف الأوروبيين والشرق أوسطيين من نفس الديانة تجاه هؤلاء هو الدافع طوال القرون الماضية لزيارة كردستان وكركوك.

لو أخذت موقع كركوك على الخريطة، حيث الإمبراطورية الآشورية إلى الشمال، بابل إلى الجنوب، ميديا إلى الشرق والصحراء العربية إلى الغرب، لن تفاجئك تعددية المدينة من ناحية سكانها. منذ بداية عهد المسيحية استقر العرب في الغرب، والکرد والتركمانيون إشتروا في الشرق<sup>(٥٠)</sup>.

انتشرت المسيحية في المدينة بوصول الحواريين أداي وماري<sup>(٥١)</sup>. وكما اليهودية، كانت المسيحية قوة كبيرة في الامبراطورية الساسانية (٢٢٦-٦٥١) التي تركت تأثيرها في العراق. بحلول القرن الثالث قسمت هذه المنطقة، بإدراج شمال بلاد ما بين النهرين والمنطقة المحيطة به، إلى سلسلة أبرشيات، بكنسيات في سنجار، أربيلا، كركوك، حلوان وغيرها<sup>(٥٢)</sup>. قال أسيماني بأن بيت جرماي (في المصادر السريانية، محافظة كركوك) لم تكن مستقلة بل خاضعة لبلاد فارس. كان للتنافس بين الفرس والرومان تأثير قوي على المسيحيين الذين اضطهروا في ظل حكم يزيدجرد الثاني، وقدموا ١٢٠٠٠ شهيد في كركوك في ٤٤٥<sup>(٥٤)</sup>.

في النصف الثاني من القرن الخامس "عم الإضطهاد على ما يبدو بلاد ما بين النهرين، وقد لمسنا ذلك في كارخا، غرب حلوان، فقد قتل جون الميتروبولي آلاف المسيحيين الآخرين. تعرف كارخا اليوم بكركوك، وليس بذى أهمية تاريخية قليلة اجتماع جمعية جديّة سنويًا لإحياء ذكرى هؤلاء الشهداء، في الكنيسة الصغيرة على الرابية خارج البلدة التي صبغت بدمهم"<sup>(٥٥)</sup>. القديس أنستاسيوس كان راهبًا فارسيًا، استشهد في ٦٢٨ في ظل حكم خوسرو الثاني،

(٥٠) جان موريس فيي، ١٩٦٨، ص ١٦.

(٥١) جان موريس فيي، ١٩٦٤، ص ١٩٤.

(٥٢) إحسان يارشاطر (حرر من قبل)، تأريخ كامبردج لإيران. المجلد ٣ (١). عصور السلوقيين والبارثيين والساسانيين (كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، ١٩٨٣، ص ٤٩٩.

(٥٤) جان موريس فيي، ١٩٦٤، الص ٢١١-٢١٣ أو في ظل حكم يزيدجرد الثاني (٤٣٩-٤٥٧)، تعصب ديني توج بمحاولة تحويل أرمينيا المسيحية عن دينها بالقوة، وكان لرجال الدين الزرادشتي دور هام في هذا المشروع الواسع الإنتشار لإضطهاد كل الأديان غير الزرادشتية، بضمن ذلك الأقلية اليهودية. إحسان يارشاطر (حرر من قبل)، تأريخ كامبردج لإيران، المجلد ٣ (٢) عصور السلوقيين والبارثيين والساسانيين (كامبردج: مطبعة جامعة كامبردج، ١٩٨٣، ص ٩٤٢.

(٥٥) بيرسي سايكس، أي تأريخ بلاد فارس، (لندن: مكميلان وشركاه، ١٩٥١)، الص ٤٣٥-٤٣٦.

وتأتي ذكراه في العديد من التقويمات من القرون الوسطى وموسوعات الشهداء في ٢٢ يناير/كانون الثاني. دفن جسمه دفن في دير سانت سيرجيسوس قرب بيت سلوخ (كركوك)، حيث استشهد. عندما بلغت أخبار الألام وموت أنستاسيوس جاليتيه الرهبانية الخاصة في القدس، ظهرت هناك رغبة عظيمة لاستعادة بقايا الشهيد الفانية. تم الحصول على هذه البقايا بسرية، حيث أن رهبان سانت سيرجيسوس لم يكونوا يرغبون بالتخلي عن تلك البقايا - وأعيدت بنجاح إلى فلسطين، إلى القيصرية أولاً ثم إلى القدس، حيث وصلوا في الثاني من نوفمبر/تشرين الثاني ٦٣١. بحلول منتصف القرن السابع (ربما بحلول سنة ٦٤٥)، جرى تمجيد رأس أنستاسيوس في روما. في دير "أد أكواس سالفيا" قرب سانت باول خارج الأسوار حيث آثار سانت أنستاسيوس، ليصبح المكان بعد فترة قصيرة مكاناً مقدساً يحج إليه<sup>(٥٦)</sup>. الأب الكلداني جون الثامن هرمز حول السكان المسيحيين لكركوك إلى الكاثوليكية بين ١٧٦٧ و ١٧٨٠<sup>(٥٧)</sup>. كمرأة للعالم التوراتي، لعب المسيحيون الشرقيون دوراً هاماً في العديد من القرون. طبقاً للمصادر اليهودية، زار كركوك اليمني يحيى (زاخاريا) الظاهري (أفتر هاتاماني) الذي عاش في النصف الثاني من القرن السادس عشر وجاءت من صنعاء في اليمن. يحمل كتابه عنوان سفر هاموسار (سفر التعاليم). يحتوي الفصل الثالث منه وصفا لرحلته عندما خرج من بغداد لزيارة كركوك. ورأى قبور دانيال ورفاقه هناك. ووصف يهود كركوك "برجال فسق وفجور مذنبين"<sup>(٥٨)</sup>.

"المستوطنة اليهودية الأولى المعروفة في كركوك تعود إلى القرن السابع عشر. هناك معلومات متوفرة عن اليهود المحليين الذين تاجروا بشكل رئيس مع بغداد أثناء القرن الثامن عشر. الرحالة المختلفون يهود وغير يهود من القرنين التاسع عشر والعشرين يتحدثون عن جالية يهودية تبلغ حوالي ٢٠٠ عائلة يعيشون في حي منعزل في المدينة"<sup>(٥٩)</sup>.  
المسافر الأوروبي الأول بعد بنيامين التوديلي والذي أعطى وصفاً تفصيلياً عن اليهود الكرد واختراق المرتفعات الكردية شخصياً كان آر ديفيد دبيت هليل، الذي جاءت رحلته في أوائل القرن التاسع عشر. زار كركوك وبعد ذلك بغداد (١٨٢٧)<sup>(٦٠)</sup>. لا شك، أن رحلة آر ديفيد

(٥٦) كارميلا فيرجيلو فرانكلين، بول مييرت، ١٩٨٢، الص ٣٧٣-٤٠٠.

(٥٧) جان موريس فيي، ١٩٦٨، ص ٤٨.

(٥٨) إيريك براور، أكمل وحرر من قبل رافاييل بيتاحيا، يهود كردستان، (ديترويت: مطبعة جامعة وين الرسمية، ١٩٩٣)، ٤٠، ٦٤، ٣٦٨ الهامش ١٠.

(٥٩) "كركوك،" موسوعة جودايكا، الجزء العاشر (القدس: دار نشر كيتز، ١٩٧١، ص ١٠٤٨.

(٦٠) إيريك براور، المصدر نفسه، ١٩٩٣، ص ٤٢.

كانت إنجازا هاما. القليل من الرحالة زاروا مثل هذه الأقسام الكبيرة من كردستان. بسبب خطر الهجوم على المسافرين من قبل القبائل الكردية، كما أن السلطات الحكومية رفضت إصدار رخص سفر. كتاب آر ديفيد يعاني في الحقيقة من أنه قضى فقط وقتا قصيرا في كل مكان ولذا لم يكن قادرا على التآلف مع حياة الناس. في ١٨٤٨، أنهى جوزيف إسرائيل بنيامين (بنيامين الثاني) جولته في كردستان في كركوك<sup>(٦١)</sup>.

في هذا الوقت، بدأ مجتمع لندن للترويج للمسيحية نشاطاته بين اليهود، وهو منظمة تتبع الكنيسة الإنجليزية، العمل بين يهود كردستان وبلاد ما بين النهرين. وانقلب أغلب المبشرين الذين بعثهم المجتمع يهودا. هنري هارون ستيرن، يهودي متحول، خرج من بغداد وزار كركوك (١٨٤٨) من بين مدن أخرى. في ١٨٤٨ أيضا زار ب. ه. شتيرنشوس الجالية اليهودية في كركوك<sup>(٦٢)</sup>.

---

(٦١) المصدر نفسه، ص٤٧. أنظر أيضا يوسف إسرائيل بنيامين، (باريس: ليفي فريس، ١٨٥٦،  
الصفحة ١٦ و٢٤٠.

(٦٢) إيريك براور، ص٤٥

## دور الحكومة العراقية في تدمير البنية الحضرية لكركوك

دكتور آزاد شيخاني  
باحث كردي عراقي - لندن

الخلفية التاريخية للتطور الحضري لكركوك يكتنفها التعقيد. لكن يمكن بصورة عامة ربط عملية تحضر كركوك بأواخر العشرينات، أي مع النمو الاقتصادي الذي نجم عن اكتشاف النفط في المدينة. وفي الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية تصاعدت نسبيًا وتيرة تلك العملية. فقد تم جلب عمال مهنيين في مجال النفط من سكان الأجزاء الوسطى والجنوبية من العراق. ومع تقدم عملية التحول إلى حضرة في كركوك توفرت فرص كثيرة للعمل في المدينة. وفي هذه الأثناء بدأت عملية التهميش والاستثناء التدريجي للکرد من العمل في الوظائف العامة والقطاع الإداري. وباتت نزعة التمييز هذه روتينًا مورس طوال العقود التالية. عبر محمد أمين زكي، الذي كان وزيرًا للاقتصاد والنقل في الثلاثينات، عن قلقه من سياسة التمييز ضد الكرد التي مورست من قبل العراق المشكل حديثًا. ففي مذكرة له وجهها إلى الملك فيصل في كانون الثاني ١٩٣٠، قال محمد أمين زكي "بالرغم من أن الكرد يشكلون ٥١٪ من سكان كركوك فإن سياسة التوظيف المتبعة لا تعكس ثقلهم العددي في المدينة"<sup>(١)</sup>. وتقول المذكرة أيضًا "بموجب الالتزام والكلمة التي ألقاها رئيس الوزراء أمام مجلس النواب العراقي في كانون الثاني ١٩٢٦ (الكلمة نفسها التي ألقاها وزير المستعمرات أمام عصبة الأمم في الثالث من أيلول ١٩٢٦) فإنه يجب أن يمارس الكرد حقوقهم في التوظيف والتعليم في مناطقهم، إلى جانب اعتبار لغتهم لغة رسمية"<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر حديث م. أمين زكي في "دوو تهقه لاي بي سوود"، صباح غالب، ١٩٨٤، مطبعة هلويسست، لندن.

(٢) كان تدخل حزب البعث في كركوك بعد ١٩٦٣ مقتصرًا على تدمير حي "جمهوري" وحي "خانقا" في كركوك، إضافة إلى هدم عدد من القرى المحيطة بكركوك ومصادرة أراضيها.

بالرغم من إجراءات التمييز هذه في فترة حكم الملك فيصل، فإن هناك إجماعاً عاماً على أن الآلية التي سارت بواسطتها عملية تهيمش الكرد وتدمير مناطق سكنهم في كركوك كانت بطيئة جداً حتى العام ١٩٦٣<sup>(٣)</sup>. ورغم أن جزءاً مركزياً من عملية الاضطهاد القومي للكرد بدأ بعد ١٩٦٣، فإن الخطوات الجادة لإعادة هيكلة التكوين الديموغرافي للمدينة لم تبدأ قبل العام ١٩٧٠.

### أثر إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠ في التطور الشكلي لكركوك

من بين كبرى نقاط الخلاف في المفاوضات بين الحزب الديمقراطي الكردستاني (ح.د.ك) والحكومة العراقية كانت قضية وضع كركوك في إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠. كان الكرد يقولون بما أن للمدينة غالبية كردية فيجب بالتالي أن تكون ضمن منطقة الحكم الذاتي، بينما كان العراق يقول إن للعرب وجوداً أكبر في المدينة. ولغرض التخلص من هذه المشكلة الخلافية وبموجب المادة ١٤ من الإتفاقية تم الإتفاق على إجراء إحصاء رسمي خلال عام من التوقيع على الإتفاقية، وذلك لتحديد وضع المدينة. وإضافة إلى تأجيل الإحصاء، فإن العراق بدأ يعمل على إعادة رسم التكوين الديموغرافي للمدينة.

كانت الخطوة الأولى التي اتخذتها بلدية كركوك في هذا المسار بناء حلقة من المساكن في الجزء الشرقي من المدينة، الذي تقطنه غالبية كردية غالبية. وبعد فترة قصيرة من إعلان إتفاقية ١٩٧٠ بدأت السلطات المحلية ببناء حي الكرامة (٦٠٠ دار) ثم بعد ذلك بنت حي المثني في ١٩٧٢ (٥٠٠ دار)، وبين هذين الحيين تم فيما بعد توزيع ألفي قطعة أرض على ضباط شرطة عرب. وكانت عملية التعريب الأولى هذه موضع قلق عند السكان الكرد. واعتبر الكرد بناء هذه المستوطنات انتهاكاً لبنود إتفاقية ١١ آذار ١٩٧٠.

وجاء في دعوى للحزب الديمقراطي الكردستاني (ح.د.ك) في ١٩٧٢ أن "الجزء الشرقي من مدينة كركوك تمت إحاطته بأحياء بنيت من قبل الدولة ومنحت حصراً إلى العوائل العربية القادمة من خارج المناطق الكردية". وطالبت بـ"إيقاف سياسة التعريب والتبعيث، كما نطالب بوضع حد لعملية تغيير الواقع القومي للمنطقة الكردية"<sup>(٤)</sup>.

ورداً على اتهامات جريدة (الثورة) لسان حال حزب البعث الموجهة ضد الكرد، نشرت جريدة التآخي (لسان حال ح. د. ك) خلال الفترة بين ٢٤ تشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٧٢ سلسلة مقالات بعنوان "من أجل السلم والوحدة وتنفيذ إتفاقية ١١ آذار". وقالت جريدة

(٣) أنظر علي باباخان "الكرد، ص ٨٣، ١٩٩٤، باريس.

(٤) (هذا الهامش بالفرنسية التي لا أعرف عنها شيئاً).



التأخي أنه "بخلاف بنود إتفاقية ١١ آذار، لم تتم إعادة الموظفين المحليين الكرد الذين فصلوا من وظائفهم بسبب كرديتهم الى وظائفهم في المدينة. كما لم تتم إعادة أي شرطي من الذين استأنفوا العمل بعد ١٩٧٠ في أي من مراكز الشرطة في كركوك، بل على العكس وضعوا في مراكز شرطة خارج كركوك. إضافة الى هذا فقد تم جلب مئات العائلات العربية التي ليست من كركوك أصلا الى الأحياء السكنية في كركوك، وتم الى جانب هذا بناء مؤسسات شرطة لهم لتعيينهم فيها وتشجيعهم على السكن في كركوك".

كان بناء هذه المستوطنات في أغلبه بموجب خطة استراتيجية. ومع عدم إعلان خطة رسمية بهذا الخصوص، فإن الحكومة العراقية، وبينما كانت لاتزال تتفاوض مع (ح. د. ك)، قامت بوضع خطة شاملة لتحقيق هدف التعريب. ولهذا الغرض دعت الحكومة العراقية في العام ١٩٧٣ شركة عالمية اسمها دوكسيادس تتخذ من أثينا مقرا لها لوضع تصميم أساس لمدينة كركوك. وكان الغرض من التصميم الأساس رسم خطة لتطوير كركوك خلال ٢٥ سنة قادمة. أما هدف التصميم فكان إعادة التوازن وتنظيم كثافة أحياء المدينة. ولهذا صممت أحياء جديدة في الجزء الجنوبي من المدينة الى جانب خطة مفصلة للحفاظ على القلعة الأثرية. من جهتها قامت السلطات العراقية بتشكيل لجنة متعددة الأطراف من مهندسين عراقيين واقتصاديين وإحصائيين للعمل مع فريق دوكسيادس.

وتبين نظرة عامة الى تصميم دوكسيادس فإنه يتبين بأن التصميم كان يهدف أساسا الى خلق أحياء جديدة ومد المدينة باتجاه جزئها الجنوبي. والنقطة الأكثر تناقضا في ذلك التصميم الأساس هي أنه كان في جانب منه يخطط لإعادة تأهيل القلعة بينما يخطط في الجانب الآخر لهدم العديد من الأحياء الكردية في الجانب الشرقي من المدينة. وبصورة خاصة كانت الأحياء الكردية: الشورجة، المصلى، إمام قاسم، آزادي ورحيماوا أهدافا للهدم ليبنى محلها ملعب ضخمة وعدد من المباني الحكومية. وكان رئيس فريق شركة دوكسيادس لوضع التصميم الأساس لكركوك قد أقر للأعضاء الكرد في اللجنة المتعددة الأطراف التي أشرنا إليها فيما سبق، بأن محافظ كركوك ضغط عليه ليمضي قدما في خطة هدم تلك الأحياء الكردية.

والى جانب التطور في شكل المدينة، فقد تأثرت الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية بالوضع العام الذي نجم عن الوضع العام الذي برز بعد إتفاقية ١١ آذار. وتأثرت التركيبة الديموغرافية للمدينة بسبب سياسة الحكومة. وكانت نتائج إحصاء ١٩٧٧ عندما ظهر أن نسبة العرب هي ٤١, ٤٤٪ والكرد ٣٧, ٥٣٪ والتركماني ١٦, ٣١٪ مؤشرا واضحا يدل على اتباع هذه السياسة.

كما تغير النظام التعليمي بشكل كبير. فقد بدأت أعداد المدارس العربية تزيد عددياً على حساب المدارس الكردية، وشمل هذا التغيير جميع المراحل الدراسية. بدأ عدد المدارس الكردية بالانخفاض تدريجياً ومع حلول نهاية السبعينات قررت الحكومة غلق جميع المدارس الكردية والتركمانية وتسميتها بأسماء عربية. وبعد العام ١٩٨٠، أصبحت العربية لغة التعليم الوحيدة في كركوك.

### **الطرق التي اتبعت لتحويل التركيب الموقفي لكركوك**

من الصعب الحصول على بيانات دقيقة حول حجم الأحياء الجديدة في كركوك، لكون هذه المعلومات تحت سيطرة العراق. وبسبب تردد الوكالات الرسمية في نشر المعلومات عن عدد العرب الساكنين في كركوك، فإن معظم البيانات المتوفرة تقريبي. لكن الأمر المؤكد هو وجود توسع ملحوظ للمدينة ظهر في العقود الثلاثة الأخيرة. وبحلول العام ١٩٨٩، بعد عشرين سنة من التعريب الإلزامي تم بناء حوالي ٥١ تجمعاً سكنياً عربياً في مدينة كركوك تتسع لحوالي مائتي ألف ساكن بحلول أوائل الثمانينات<sup>(٥)</sup>.

ومع إصرار الحكومة العراقية المتعمد على تغيير التركيبة الحضرية لكركوك بدوافع أمنية وستراتيجية، فقد قامت الحكومة بنفسها بجزء كبير من النمو الحجمي ومنحت تلك المساكن مجاناً إلى عناصر قوات الجيش والشرطة والأمن الذين استقدموا إلى المدينة. وفي هذا الصدد تم ربط تعريب كركوك بعسكرتها، فهما وجهان لعملة واحدة. باختصار، يمكننا تحديد خمس طرق اعتمدها الدولة العراقية خلال العقود الثلاثة الأخيرة في كركوك:

١- العسكرية: من خلال الترويج لنمو قطاعي الجيش والشرطة في المدينة، من ناحية الكثرة العددية واحتلال الأرض لأغراض العسكرية والتعريب. ولتفعيل هذه العملية قامت الدولة بمصادرة الأراضي من خلال مصادرة الأرض وتجريد أصحابها الكرد والتركمان من ملكيتها وكذلك بالإفادة من الأراضي الأميرية<sup>(٦)</sup> المتاحة للحكومة وتوزيعها على ضباط

(٥) للمزيد من التفاصيل حول عدد ومواقع هذه المستوطنات أنظر "سياسة التعريب في كركوك"، منشور للاتحاد الوطني الكردستاني، ١٩٨٣، مطبعة إبراهيم أزو.

(٦) بخلاف الوضع في فلسطين، حيث تشجع دولة إسرائيل من خلال مؤسساتها الحكومية وغير الحكومية، على شراء كل ما يمكن من الأرض من الفلسطينيين بهدف تهويد الأراضي المحتلة، فإن الوضع في كركوك مختلف تماماً، فمن جهة، صادرت الحكومة العراقية أراضي الكرد والتركمان لصالح المستوطنين من ضباط الشرطة والجيش، ومن الجهة الأخرى يمكن للدولة الاستحواذ على الأراضي الأميرية متى دعت الحاجة إلى ذلك.

الشرطة والجيش. ومن هذه الناحية يمكننا تعريف نمو ثلاث مجاميع من المناطق التي كانت هدفا لعملية العسكرية/التعريب:

- المحور الذي يربط كركوك مع الدبس: هذا المحور يمتد من الجانب الغربي للمدينة وصولا الى قصبه الدبس، حيث أحيط من الجانبين بالأحياء التالية: القدس، دور استخلاص الكبريت، ميسلون، الرافدين، ضباط حطين، نواب ضباط حطين، دور الإذاعة، التأميم، ٣٠ تموز، حي البعث، حي المثني، دور الضباط وألخ.

- المحور الذي يربط كركوك وبغداد والذي يربط كركوك وتكريت. الأحياء التي بنيت على هذين المحورين هي: حي غرناطة، حي البعث، دور السكك، حي الإشتراكية، حي الخضراء، حي الواسطي.

- المحور الرابط بين كركوك وويلان. بنيت على جانبي هذا المحور الأحياء العربية التالية: حي الحجاج، حي العروبة، حي الوحدة، حي الحرية، دور الأمين، دور ضباط الصف، حي الخطباء، حي الشرطة، حي ٩٠٠٠، وأخيرا توزيع ٢٥٠٠٠ قطعة أرض سكنية على ضباط عرب بين كركوك وويلان.

وبهذا صارت لكركوك جغرافيا جديدة. وبدى أن هذه الجغرافيا أغفلت النمو الطبيعي للمدينة. وصار الشكل الحضري لكركوك يبين بوضوح منطقة مركزية في الوسط كردية وتركمانية محاطة بسلسلة طولية من المستوطنات التي يقطنها السكان العرب على الجوانب الغربية والجنوبية للمدينة.

٢- طرق مسح المستوطنات: هذه الطريقة عبارة عن مسح وهدم الأحياء الكردية من قبل السلطات العراقية. تحت مسمى محو مظاهر الفقر وبذريعة توسيع شوارع المدينة تم هدم عدد من الأحياء الكردية وأرغم سكانها على مغادرة المدينة. وتم هذا بفضل قانون طبقته السلطات المحلية يمنع الكرد من تطوير أراضيهم أو تعمير ممتلكاتهم.

وهنا ايضا، بإمكاننا تحديد أربع مناطق استهدفت من قبل سياسة التخطيط هذه:

- المحور الممتد من طريق كركوك-السليمانية حتى الجانب الآخر من جسر الولادة. هذا المحور شبه الدائري تم فيه خرق حي الشورجة الكردي ليتم تدمير حوالي ١٠٠٠ دار ليصبح أكثر من ٥٠٠٠ عائلة بلا مأوى. جاء تدمير هذا الحي في العام ١٩٧٧ عندما تقدمت لجنة هندسية أول الأمر بخطة الى محافظ كركوك تقضي بربط طريق السليمانية بطريق بغداد عن طريق محور يمر خارج الحي الكردي. لم تحظ هذه الخطة بقبول المحافظ الذي طلب بدلا من ذلك بوضع تصميم جديد، وتم ذلك ووضع تصميم يخترق حي الشورجة ويدمره. ولما بدأت عملية الهدم، ولما لم يتلق أغلب السكان تعويضا معقولا من السلطات المحلية يمكنهم من إعادة

إسكان أنفسهم في مكان آخر، وجد أغلب هؤلاء السكان أنفسهم لا خيار أمامهم إلا الرحيل عن المدينة.

- المحور الذي كان مزمعا أن يربط "رحيماوا" مع "زيوية". ومع أن هذا المخطط لم ينفذ بالكامل فإنه دمر جزءا كبيرا من حي رحيماوا الكردي.

- تكبير ومد خط السكك الحديدية القديم الذي يربط كركوك وأربيل. تم تصميم مشروع الخمسين مترا الخاص بالسكة الحديدية بصورة تتعمد المرور عبر الأحياء الكردية وتدمير عدد من الدور والضواحي الكردية الواقعة قرب محطة السكة الحديدية.

- التدمير مع إغفال متعمد المناطق التي يقطنها الكرد والتركماني في القلعة التاريخية. فحتى منتصف الثمانينات كانت ٥٠٠ عائلة تسكن القلعة، وكانت مواقعها الأثرية ومبانيها محمية بشكل جيد. وبعد سنوات من الإهمال الذي عانت منه القلعة قررت الحكومة العراقية في ١٩٩٨ هدم ثلثي مباني القلعة وأرغمت سكان القلعة على إخلائها.

٢- طريقة التمييز: تماما مثل سياسة التمييز التي مورست ضد السود في جنوب أفريقيا، شهد المواطنون الكرد في كركوك سياسة نمو منفصل وتمييز عرقي فرضته السلطات المحلية كوسيلة لضمان الوضع المميز للمهاجرين العرب ولينتفع مجتمعهم من الثروة الضخمة التي تنتج في المدينة. هذه السياسة تعبر عن نفسها في عدم اهتمام الدولة بتوفير الخدمات العامة والبنية التحتية للأحياء الكردية وبعض الأحياء التركمانية. ف منذ ١٩٧٠ لم تشهد أية منطقة كردية أي نوع من أنواع العمل من أجل تطويرها. بينما جميع الطرق وشبكات الاتصالات في المناطق الكردية بحاجة الى التبليط والتطوير، وكذلك الحال بالنسبة الى أنظمة الصرف الصحي. وبخلاف المستوطنات العربية فإن شبكات المياه في المناطق الكردية ليس فيها ماء. بل يتم تزويدها بالماء بالخرانات المتنقلة. وكنتيجة لهذا، ينبغي على الناس الوقوف في طوابير لفترات طويلة يوميا من أجل الحصول على اللوازم الأساسية لحياتهم. ويلمس أثر هذه السياسة بصورة أوضح في أحياء آزادي، إمام قاسم، شورجة، إسكان، زيوية، رحيماوا، بيربادي، المصلى التي لم تشهد أي نوع من التطوير من جانب الحكومة في السنوات الثلاثين الأخيرة. عدم المساواة العربي-الكردية يمثل هوة واضحة في سرعة ونوعية التطور في الأحياء العربية والكردية في المدينة. فبينما تجد مناطق العرب نظيفة وشوارعها منظمة جيدا وكذلك بنيتها التحتية، تجد الأحياء الكردية وعلى النقيض من ذلك تفتقر الى البنية التحتية الأساسية والخدمات العامة.

٤- الطريقة الإدارية والأمنية: تتألف هذه الطريقة أولا من صياغة الإطار الإداري لكركوك بصورة تحول الكرد الى أقلية على مستوى المحافظة. في العام ١٩٧٦ قام العراق باقتطاع

٤ أفضية كردية من كركوك (كفري وكلار وطوزخورماتو وجمجمال) وألحقها بمحافظات صلاح الدين وديالى والسليمانية. وبعد ذلك مضت الحكومة قدما في هدم القرى الكردية التي تحيط كركوك. وهناك بيانات مختلفة حول عدد القرى والبنى التحتية التي دمرها العراق في محافظة كركوك. يقدر شورش م رسول (١٩٨٨) ما دمره العراق في محافظة كركوك بـ ٢١٨ قرية، ١٦٠ مدرسة، ١٩٠ مسجداً، الى جانب ترحيل ٦١٣٩٤ مواطنا كرديا بحلول نهاية الثمانينات<sup>(٧)</sup>. بينما يقدر آخرون أنه بحلول أواخر الثمانينات كانت القوات العراقية قد دمرت ٧٨١ قرية كردية وست نواح منها قادركرم، سنكاو، ريدار، تيله كو، أغجر، تم فيها مجتمعة هدم ٣٩١٧٨ داراً<sup>(٨)</sup> إضافة الى ٢٨١ مدرسة، ٦٥٧ مسجداً، ٦٩ مركزاً صحياً و١٥٧ من العتبات المقدسة، ١٤٣٥ بستان فاكهة و٤٧٢٧٧ من الأغنام والمواشي تم تدميرها في محافظة كركوك.

ويهدف إختراق المناطق الريفية المحيطة بكركوك، أعلنت الحكومة العراقية الأراضي التي تحيط بكركوك ومنها حقول النفط والأراضي الزراعية منطقة عسكرية وأمنية، وقامت بزرع ألغام في كثير منها لمنع المرور عبرها. ولتحقيق هذا الهدف تم أيضا إخلاء القرى الواقعة الى الشرق والشمال الغربي من كركوك من سكانها بالقوة، وخاصة في المناطق الواقعة بين كركوك وقرههنجير وريدار، والمحور الذي يصل بين كركوك والديس ومنطقة مخمور (على جانبي الزاب الأسفل) حيث تأثرت هذه المناطق بشدة بسياسة التهجير.

٥- طريقة التطهير العرقي: هذه الطريقة اعتمدت على تطهير كركوك من السكان غير العرب. ومع أن التطهير العرقي مورس بشكل واسع من قبل الحكومة العراقية منذ الثمانينات، فإنها بلغت ذروتها في التسعينات. وتؤكد مصادر الأمم المتحدة استمرار سياسة التعريب وتعمل الحكومة العراقية بقوة على إغراء العرب بمنح وحوافز أخرى للقدوم الى كركوك مع وضع عوائق تشريعية في وجه نقل الملكية الى المواطنين غير العرب. كما أن الترحيل القسري لغير العرب ومصادرة ممتلكاتهم تجري على قدم وساق. والإجراء الشائع هو قيام محافظة التأميم بإصدار قرارات تأمر بترحيل المواطنين غير العرب عن المحافظة. هذه القرارات تضم تفاصيل الإجراءات التي على الأجهزة الأمنية اتباعها خلال عملية الترحيل، وهي:

(٧) شورش م. رسول، ١٩٨٨، إحصائية حول الانتهاكات في كردستان العراق، من منشورات (أ.و.ك).

(٨) إحصاء عام للنواحي والقرى التي دمرت في محافظة كركوك، من منشورات فرع كركوك للحزب الاشتراكي الكردستاني، ١٩٨٩، العراق.

- يتم احتجاز أحد أفراد العائلة المرحلة الى المحافظات الشمالية لحين رحيل العائلة.
  - مصادرة أملاك المرحل.
  - مصادرة بطاقات العضوية في مؤسسات المحافظة.
  - مصادرة البطاقة التمييزية.
  - تبليغ مدراء الأمن ومسؤولي حزب البعث في كل منطقة بقرار الطرد.
- وتقدر تقارير الأمم المتحدة بأن ٩٤٢٦٩ كرديا تم في الفترة بين ١٩٩٢ و ٢٠٠٠ ترحيلهم من كركوك الى المنطقة التي يسيطر عليها الكرد (الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٤ آب ٢٠٠٠).<sup>(٩)</sup>

وتبين المراسلات بين القلم السري في محافظة التأميم وبين قيادة فرع التأميم لحزب البعث والتي أتاحت للمقرر الخاص للأمم المتحدة، ماكس فان دير شتويل، مسؤولية إدارة كركوك عن ترحيل آلاف من العائلات الكردية والتركمانية. ومن بين وثائق أخرى، يقف المقرر الخاص على نسخة من كتاب مراسلة تحمل تاريخ ٧ كانون الثاني ١٩٨٨ موجه من محافظ ديالى الى قيادة فرع ديالى لحزب البعث، يقول إن إجراءات عقابية ستتخذ ضد أي من المسؤولين المحليين يفشل في الحد من تدفق العائلات الكردية الى منطقتهم كما سيتم اعتقال أي مواطن يوفر عملا أو طعاما أو مأوى لأي قادم كردي جديد.

### مقترحات مستقبلية

شهدت العقود الثلاثة الأخيرة تقدما كبيرا في عملية تعريب كركوك لتلائم الأغراض العسكرية والأمنية. وهذه العملية غيرت بشكل واضح المعالم الجغرافية والديموغرافية للمدينة. وحقيقة تشجيع السلطات العراقية لعملية تعريب كركوك من خلال بناء مستوطنات عربية كبيرة أو طرد الكرد من كركوك ومصادرة ممتلكاتهم من قبل الحكومة تعيد الى الأذهان التجارب القديمة للمستوطنات اليهودية على الأراضي العربية<sup>(١٠)</sup>.

يتوقف مستقبل كركوك على مسألة اقتلاع جذور عدم التوازن الحضري لتتمكن المدينة من مواصلة دورها كأهم مدينة عراقية متعدد القوميات. وبعيدا عن العثور على حل سياسي لمسألة كركوك، فإن من الضروري أيضا ابتكار حل عملي وتقني للتغلب على المشاكل الواقعية

(٩) الجمعية العامة للأمم المتحدة، ١٤ آب ٢٠٠٠، "وضع حقوق الإنسان في العراق". الجلسة ٥٥، أ/٥٥/٢٩٤.

(١٠) حول سياسة التهويد في الأراضي المحتلة أنظر "هذه الأرض أرضنا، الضفة الغربية تحت الاحتلال الإسرائيلي"، جين ميترز ومارتن أورث وكريستين ستريزينغ، ١٩٧٦.

التي يعانيها المواطنون الكرد والتركمان الذين يعيشون في كركوك. إذا نظرنا الى كركوك من منظار تخطيطي، فلن نجد المرء صعوبة في ملاحظة أن الكرد في كركوك حرموا من أبسط أسباب الراحة والبنية التحتية. فالمواطنون الكرد لا يفقدون أرضهم فقط بل إنهم ضحايا لسياسة تمييز عرقي أيضا. كما أن غياب اهتمام بلدية كركوك بتقديم الخدمات العامة الى المناطق الكردية يظهر التوزيع غير العادل للسلطة والثروة في المدينة بين الجماعات العرقية، وهذا أيضا يدخل في إطار التمييز العنصري. إن سياسة تخطيط عادلة ومنصفة في كركوك، يمكن ان تكون خطوة أولى باتجاه تحسين نوعية الأحياء الكردية والتركمانية في كركوك. وهذا يتطلب تلبية مطالبهم من قبل الدولة العراقية. إن تلبية هذا المطلب حاجة ملحة بالنسبة الى البنية التحتية والخدمات العامة في تلك المناطق. وهذا يتطلب إلغاء جميع الإجراءات والقوانين التي سنتها السلطات المحلية من أجل حرمان الكرد والتركمان من حقوقهم في شراء الأراضي والعقارات وترميم دورهم أو التعامل بالملكيات.

ويمكن تحسين نوعية الأحياء الكردية والتركمانية أيضا من خلال توفير مصادر المياه اللازمة لهم والتي هم محرومون منها حاليا. وفي مجال البنية التحتية، يجب أن تساعد الدولة العراقية المستقبلية الأحياء الكردية من خلال تزويدها بأنظمة صرف صحي والتي أدى غيابها الى انتشار الأمراض. وعلى بلدية كركوك المستقبلية أن تعمل على تحسين الطرقات الداخلية وتوفير فضاءات عامة مفتوحة والأرض لأغراض إعادة البناء.

عملية صياغة التخطيط واحدة أخرى من المجالات التي يمكن التدخل من خلالها. المشاركة العامة الفاعلة يجب اقتراحها لعرض الحاجات والطموحات المحلية قبل وضع أية خطة للمدينة. ويمكن إسناد ذلك جزئيا الى مختاري الأحياء الذين يجب أن يكونوا منصفين ومن المواطنين المناسبين للمهمة دون الالتفات الى قومياتهم. وهؤلاء يجب أن يكونوا منتخبيين بطريقة ديمقراطية من قبل السكان المحليين وليسوا معينين من قبل النظام على أساس الانتماء الحزبي كما هو الحال الآن.

الدولة العراقية المستقبلية يمكنها أيضا تحسين نوعية الحياة في الأحياء الكردية من خلال توفير التعليم باللغة الكردية وإعادة فتح المدارس الكردية والتركمانية والمكتبات والمراكز الرياضية والثقافية في المدينة.

ومن منطلق إقامة نظام مستقبلي ديمقراطي إتحادي تعددي في العراق، يتبين أن عملية إسكان منصفة وسلمية هي السبيل الوحيد للتعامل مع قضية كركوك. ولقيام أية ديمقراطية في عراق المستقبل لا بد من وحدة بين القوميات المختلفة التي تقطن المدن متعدد الأعراق مثل

الكرد والعرب والتركماني والآخرين في كركوك وطرح الضغائن، التي زرعتها بينهم حكومة البعث، وراء ظهورهم. وتجب إقامة نظام تقاسم سلطة بين القوميات التي تعيش في المدينة، الى جانب صياغة آلية مناسبة لإدارة المدينة. ويجب أن يكون ثم قبول للأخر ويجب تعزيز تقبل الاختلاف والتعدد القومي. ويجب أن تكون هناك مساواة في السلطات والحقوق والواجبات، ويجب تدريس الثقافات في مدارس العراق الجديد العربية والكردية والتركمانية والسريانية، لتتم تربية جيل جديد يؤمن بالديمقراطية ويحترم حقوق الإنسان. وهناك ضرورة وجود تفاهم اذا أريد للوضع في كركوك ألا ينتهي بحمام دم. ويجب أن يكون هناك أيضا تفاهم لمصالح جميع الذين عاشوا في كركوك تاريخيا. وهذا التعايش لا يمكن تحقيقه على المدى البعيد إلا من خلال حل شامل لقضية كركوك. هذه التسوية لا يمكن أن تؤدي الى حل بين ليلة وضحاها، لكنها تمهد لخطوة أولى تتخذ باتجاه التعايش السلمي بين كل مواطني كركوك.